مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ — أكتوبر ١٩٦٠ المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ثورات النهضات وعوامل البعث

بقلم : أحمد حسن الزيات

تعيش الجمهورية العربية المتحدة اليوم في ثورات ثلاث كما قال بحق وفعل بصدق مثيرها العظيم جمال عبد الناصر : ثورة سياسية تحقق الحرية وتثبت الاستقلال على الوحدة والحيدة . وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية وتبنى المجتمع على المساواة والتآخي . وثورة اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة على العدل والتعاون .

وهذه الثورات الثلاث هي جماع القوى العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من السكون والكمون والتعطل يد مصرفه حازمة ، تحكم لتصلح ، وتهدم لتبنى ، وتحرث لتزرع .

فالبلاد كلها من أسوان إلى القامشلي عزمة لاتنى ، وحركة لاتفتر ، وزحف لايقف .

ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لاتستطيع وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم المجتمع الذي يجدر به إلا إذا اعتبرناه حيوانا له معدة وليس له قلب ، وله شهوة وليس له عقل ، لا إنسانا ينزل بين خلق الله في المنزلة الوسط بين البهيم والملك ، يكون بماديته مرتبطا بالأرض ، وبروحيته متصلا بالسماء !

نعم ، تستطيع الثورات الثلاث بقواها المادية والفكرية أن تلين الحديد ، وتزرع الصخر ، وتقهر النيل ، وتنشر المعرفة ،

وتبسط الرخاء ، وتيسر الأداة والحياة للعامل والفلاح ، وتوفر القوة والعدة للجيش والشرطة ؛ ولكنها لاتستطيع أن تضع التقوى فى القلب الأغلف ، ولا أن تبعث الحياة فى الضمير الميت ، بدليل أننا أصبحنا فى مدى ثمانى سنوات أمة على وجه الدنيا وفى جبهة الركب ، نقول فنسمع ، ونطلب فنجاب ، ونعمل فنجد ، ونزرع فنحصد ، فى ظل حكم ديمقراطى عادل، ونظام اشتراكى معتدل ، يضمنان للفرد مساعدة الكل ، ويكفلان للكل مساندة الفرد ، ثم لايزال فينا المرتشى والمختلس واللص والمزور والمستهتر والهدام والمنافق والخائن ، ومن يستحب العمى على الهدى ، ويؤثر منفعة نفسه على منفعة الناس . لابد إذن لهذه الثورات الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح الملهم والشعاع الهادى : هى الثورة الدينية !

ولعل الذوق التى لايستسيغ ذكر الثورة بجانب الدين ، لأن مفهومها الذى استقر طويلا فى الأذهان يتضمن التمرد والتهور والاستبداد والاضطهاد والقتل ؛ ولكن هذا المفهوم قد غيرته الثورة الناصرية - وهى الثورة الأولى فى بابها من تاريخ الإنسان - فلم يبق منه إلا التحرير والتطهير والتعمير والتطوير والإصلاح . لذلك لم تخضب صحائفها البيض بالبقع الحمر ، ولم تسبل على منكرات العهد الذاهب غير ستار المعروف . وعلى هذا المفهوم الجديد للثورة نريد ثورة الدين . والدين بطبيعته وحقيقته ثورة مستمرة : ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغى والعدوان وما دامت هذه الكبائر فى الأرض فالثورة دائمة والحرب قائمة ؛ إنما نريد إذكاء شعلتها وإعلاء سناها لتجد فيها ثورتنا العامة القبس الذى يحييها بحرارته ويهديها بنوره . والمصلح الذى أرسله الله على فترة من المصلحين ليجدد ما اندرس ويبين ما انطمس ويقيم ما انهار ، هو الذى يستطيع أن يرفع الإبهام عن كلمة الله ، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد . وهو يدرك فيما أدرك من فساد الحكم وعبث السياسة وبغى الإقطاع أن الوازع الدينى قد ضعف فى نفس المسلم ، لأن نور الإسلام قد انكفأ فى قلبه أو انطفأ فى ضميره ، فلم يعد إسلامه إسلام الصدر الأول الذى فتح الدنيا فى عهده وأضوى العالم إلى كنفه ؛ وإنما أصبح خلطا عجيبا من العقيدة السالفة والصوفية الزائفة والأساطير الموروثة والتقاليد الدخيلة ، يوهم معتقديه أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم عليه من رتق العقيدة وظلام الفكر وخدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقا لما يتوهمون فى بعض ما يسمعون أو يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والآراء الملفقة ؛

فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه أن امتزجت به كل نحلة ، وسرت إليه كل علة ، وتراءت فيه كل حالة . فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه . فالثورة الدينية بالمعنى الذى ذكرته هى تحرير العقل من الاقتداء العاجز والمتابعة المسلمة ، وتطهير السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة ، وتطوير الفقه فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، ليطابق مقتضيات العصر ، ويجابه مشكلات الحضارة ، ثم عرض هذا الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم .

ذلك ما يجب أن يدخل فى تخطيط الجمهورية للسنين العشر القادمة ؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك . والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ ، وهيأ له من الموضع ، وأتاح له من الكفاية ، أقدر ورثاث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى وتوجيه الأمة الكبرى إذا تسنى له أن يؤدى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة ، وبالمفهوم الذى أعلنه المؤتمر العام للاتحاد القومى إذ قال : « يعلن المؤتمر - إيمانا بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا المقدسة دفاعا عن عروبتنا وقيمنا الروحية - تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد الإسلامى الجليل حتى يستمر منارة ترسل أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم ، - وتمكينا له من مسايرة تطورنا المعاصر - يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن للأزهر الوسائل ليكون أداة صالحة لخدمة أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن العربى ، وتحقيق وحدته الشاملة فى إطار مفهومات القومية الحقيقية » .

أما رسالة الأزهر فجماعها حفظ التراث الإسلامى وتنقيته من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والبدع الضارة ، ثم نشره على العالم عن طريق التعليم والتأليف والترجمة والدعوة .

وسبيله إلى ذلك - فيما أرى - أن يمكن من جمع هذا التراث المتفرق المشوش فى ثلاثة أسفار : سفر فى التفسير تشرح فيه الآيات الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم الثابت ، ويجمع بين ما صح من أقوال السلف وما صلح من آراء الخلف . وسفر فى الحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة ، وسفر فى الفقه يشمل ما تواتر من الأحكام وصح من المذاهب وسلم من الآراء ؛ ثم يوضع متنه مواد كالقانون ويشرح شرحا فنيا يستوعب أصوله ويستقصى

فروعه فى غير حشو ولا استطراد ولا تعمية .

هذه الأسفار الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ، ثم يجرد منها مختصرات تدرس فى المدارس وتنشر فى الجمهور وتترجم مع المطولات إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ، ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه .

أما ما عدا ذلك فما كان صحيحا بقى فى المكتبات ليرجع إليه المتخصص والمؤرخ ، وما كان زائفا صنع به ما صنع عثمان فى كل مصحف غير مصحفه ، فإن الإبقاء على الزيف من الأحاديث والآراء لبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام ، وتعمية للطريق على السالك .

أذكر أن أحد الأساتذة الكبار عليه رحمة الله قدم رسالة بالفرنسية إلى (السربون) عن (حال المرأة فى الإسلام) نال فيها من خلق الرسول وشرعه وسلوكه . فلما أنكر عليه من أنكر استدل على كل ما ادعى بأحاديث مروية فى (طبقات ابن سعد) وفى الشفاء للقاضى عياض . ولما ردوا حجته بأن هذه الأحاديث موضوعة قال : وما يدريني أنها موضوعة والكتب التى نقلت عنها معتمدة متداولة ؟ وأشباه هذا الأستاذ ممن ضللتهم النقول وخدعتهم الكتب يخرجون على الناس كل حين بالرأى المجازف أو الكتاب المخالف ثم لا ينبههم نقاد الحديث إلى أن ما نقلوه منحول أو مدخول إلا بعد أن يكون الرأى قد سار والكتاب قد انتشر ! فلو أن هذه الأحاديث المفتراة لم تكن منشورة على العيون يقرأها من لا يميز بين ما اتصل منها وما انقطع لما طارت الشبه والظنون حول العقيدة .

فالثورة الرابعة غرض من أغراض الثورة ، وضرورة من ضرورات الإصلاح ، وطبيعة من طبائع الدين ، ووجيبة من وجائب الأزهر ، فإذا شبت مع الثورات الأخرى فكنست الغثاء ونفت الخبث وطهرت شريعة الله من سموم البدع ، ونقتها من شوائب الفرق والشيع ، فوردها الناس صافية كقطرة المزن خالصة كفطرة الله ، كانت جديرة بأن تبنى للعرب المجتمع المثالى الذى يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير ، فلا تجد فيه متى يكتمل بناؤه المخازى التى تقترف فى الدواوين ، ولا المآسى التى تمثل فى البيوت . ولا المهازل التى تشاهد فى الطرق ، ولا المساوئ التى تحدث فى التعامل . ويومئذ يغتبط المصلحون بفتح الثورة ، ويعتز المواطنون بعز الوطن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله ؟

أحمد حسن الزيات

صدى جامعة القرويين
فى الجمهورية العربية المتحدة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن
وكيل الجامع الأزهر

[الكلمة التى ألقاها صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر فى الاحتفال الذى أقيم فى مدينة (الرباط) لمناسبة مرور ١١٠٠ سنة على إنشاء جامعة القرويين فى شهر أكتوبر الحالى]

أيها السادة :

أحمل لحضراتكم من القاهرة تحية الجمهورية العربية المتحدة ، وتحية الأزهر ، وتحية شيخه الأكبر وعلمائه ، وأحمل إلى المغرب وعلماء القرويين بالذات تهنئة علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخهم : الشيخ محمود شلتوت بمناسبة الاحتفال بمرور قرابة أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين . الذى أصبح فيما بعد مركزا فى المنطقة الغربية من العالم الإسلامى لدراسة التراث الإسلامى والعربى .

والقاهرة ـ عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ومقر الأزهر ـ تذكر لجامع القرويين كثيرا من أوجه الشبه التى تربطه بالأزهر ، وتجعله من ذلك صنوا له ، فى تاريخه وفيما حدد له من رسالة . وفيما واجهه من أحداث ، وفيما له من مواقف إزاء العدوان الأجنبى على الوطن العربى وعلى مقومات الثقافة الإسلامية والعربية .

(ا) هناك التشابه بين الأزهر الذى قام بالقاهرة وجامع القرويين الذى قام بفاس فى نقطة البداية . كل منهما قام على أنه مسجد ، ثم أصبح بعد ذلك مسجدا جامعا لفترة من الفترات ثم مقرا للدراسات الإسلامية والعربية .

(ب) وعند ما صار كل منهما مقرا للدراسات الإسلامية والعربية تناولت الدراسة فيهما جميع فروع المعرفة المختلفة التى يتكون منها التراث الإسلامى والعربى .

فبجانب علوم اللغة والفقه وعلوم التفسير والحديث والعلوم الأخرى الدينية كانت الطبيعة وكان الطب وكانت الرياضة وكانت الفلسفة ، كل منها يكون جانبا من جوانب فروع المعرفة التى عنى بها الأزهر وجامع القرويين . وكان لكل فرع من هذه الفروع

علماء مبرزون هنا وهناك يرحل إليهم طلاب العلم ويقيمون لديهم فترة طويلة أو قصيرة للتلمذة عليهم فى موضوع المعرفة والتعرف على منهجهم فى البحث . وكان من أشهر العلماء فى الأزهر الأئمة العلماء: ابن الحاجب، وخليل والخرشى، والزرقانى، والعدوى، والدردير والأمير، والبنانى، وابن السبكى، وجلال الدين المحلى، والسيوطى، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وابن حجر، والعينى، والأسنوى، والأشمونى، والصبان، والملوى، وابن الهيثم الذى وضع الأسس العلمية لنظريات نيوتن فى علم الطبيعة . وكان من أشهرهم فى القرويين : الأئمة العلماء الحافظ أحمد بن على بن قاسم الزقاق، والمفتى محمد بن قاسم القصار، والفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى، والمتكلم أبو عمرو السلالجى وهو من طبقة أبى المعالى الجوينى فى الشرق، والمحدث ابن رشيد السبتى والحافظ أبو العلاء العراقى، واللغوى ابن زاكور، والرياضى ابن البناء المراكشى، والطبيب أبو القاسم الوزير .

(ج) وكان هناك تشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى طريقة الدرس وفى منهاج البحث : فكانت هناك الحلقة، وكانت هناك المناقشة، وكانت هناك المحاضرة والتعقيب عليها، وكان أسلوب الدراسة فى واقع أمره أسلوباً لتربية العقل، وتخطيط طريق التفكير والوصول إلى الحق فى ذاته . وما كان للجامع الأزهر ولجامع القرويين من أسلوب فى البحث إذ ذاك هو ما للجامعات المعاصرة اليوم فى منهج البحث .

(د) وهناك التشابه فيما طرأ على التعليم فى كل منهما من تغيير وما أصابه من تقلبات، تبعا للعهود السياسية التى مرت على كل من القاهرة وفاس : فنجد تشابها فى طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون فى مصر والأدارسة فى المغرب، وتشابها فى طابع التعليم أيام أن حكم الأيوبيون بمصر والموحدون بالمغرب . كما نجد تشابها فى إطار المعرفة نفسه : اتسع فترة فشمل جميع الفروع المختلفة التى يضمها اسم التراث الإسلامى والعربى، وضاق فى فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة والطبيعة والطب والفلسفة .

(هـ) وهناك تشابه كذلك بين الأزهر والقرويين فيما مر على التعليم فى كل منهما من مراحل الإصلاح والتطور : سواء فى طريقة التعليم أو فى نظام الاختبار أو فى تعدد المراحل أو فى منهاج المواد، أو فى تغيير الكتاب : فقسمت مراحل التعليم فى كل منهما إلى ثلاث، وأخذ بنظام المحاضرة بجانب نظام الحلقة فى طريقة التدريس، ورتبت كتب التعليم

على حسب ما بينها من اختلاف فى الحجم وفى أسلوب التعبير ، وعلى أية حال لم ينتقل التعليم فى كل منهما طفرة ليساير الوضع الغربى سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحى وفكرى وعلمى ، وما لها من طابع التمسك بالقيم التى خلفها آباؤنا فى حياتنا وتوارثناها جيلا بعد جيل . وربما كان لهذا الطابع الذى للأزهر وجامع القرويين على السواء دخل كبير فى مقاومة الغزو الفكرى ، والغزو السياسى والاقتصادى للوطن العربى .

(و) ويسوقنا من أجل ذلك الحديث عن وجه التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين ، وفيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأجنبى ، وفيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر وعنته ، وفيما سببه المستعمر لحملة التراث الإسلامى والعربى فى كل منهما من أذى وأضرار مادية وأدبية فى المجتمع العربى الخاص والعام ، وفيما ضيقه من خناق على هؤلاء وأقامه من عقبات فى سبيل سعيهم فى الحياة ، وفى الحصول على وضع فى المجتمع يجعل منهم مواطنين لهم ما لمواطنيهم الآخرين من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

(ز) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين فى حفظ التراث الإسلامى والعربى وصيانته من التبديد والضياع ، فلم تفتر عناية كل منهما عن رعاية حفظ القرآن الكريم ودرسه وتفهم معانيه ولم تفتر رعاية كل منهما عن نقل ما كان للأولين العرب والمسلمين إلى خلفائهم من بعد جيلا بعد جيل من أفهام فى القرآن ، ومن حلول لمشاكل الحياة ومن معارف كانت تدور فى محيطهم الثقافى . وقد كانت صدور علماء وطلاب كل من الأزهر وجامع القرويين مقراً للقرآن الكريم ، وكانت عقولهم مرجعاً لتفكير المسلمين ، وكانت ألسنتهم تنطق بأسلوب كتاب الله ، وهو الأسلوب العربى المبين ، فحفظوا القرآن من التحريف ، وحفظوا التفكير من الضياع .

(ح) وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين فى تأثر الأزهر بعلماء بغداد الذين وفدوا فى عهد المماليك إلى القاهرة فى سنة ٦٥٦ هـ بعد سقوط بغداد ، وفى تأثر القرويين بعلماء الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب بعد سقوط الأندلس فى القرن الرابع عشر الميلادى .

(ط) وهناك التشابه فى حركة الإصلاح القوية التى قام بها محمد عبده فى الأزهر فى نهاية القرن التاسع عشر والشيخ أبو شعيب الدكالى فى القرويين فى أوائل القرن العشرين .

(ى) وهناك التشابه بين الأزهر وجامع القرويين فى تربية الحماس القومى ، وتنمية الروح الوطنى ، والقيام بالحركات المعبرة عن سخط الوطن وتكوين الرأى العام ، والدفع إلى بقائه فى النضال بين الدخلاء الغاصبين وبين أصحاب الوطن المعتدى عليهم .

كل هذه الأوجه من التشابه بين الأزهر وجامع القرويين تجعل لجامع القرويين فى القاهرة صدى قويا لا يتضاءل ولا يضعف مهما فرق الاستعمار فيما مضى بين أجزاء الوطن الواحد ومهما حاول بأساليبه المختلفة أن يضعف من الصلات الثقافية والترابط الروحى بين فاس والقاهرة ، ومهما حاول وبذل فى وضع العقبات المادية والمعنوية فى طريق لقاء العربى القاهرى بالعربى المغربى .

وإن احتفال اليوم بمرور أحد عشر قرنا على جامع القرويين سوف يترك صداه وأثره فى القاهرة ، وسوف يذكر بتلك المواقف التاريخية التى وقفها جامع القرويين فى صيانة الوطن العربى وتراثه الروحى والثقافى وصيانة لغة الإسلام وهى اللغة العربية .

وسوف تذكر القاهرة بالفخر لجامع القرويين هذه الأمجاد كما تذكر الأزهر سواء بسواء هذه المواقف والأمجاد نفسها فى تاريخ الوطن العربى فى المنطقة الشرقية منه .

وإن الاستقلال الذى حظى به المغرب ، وحظيت به مصر يرجع كثير من الفضل فيه إلى جامع القرويين هنا والأزهر هناك . ومن أجل هذا كان على جامع القرويين وعلى الأزهر على السواء مهمة جديدة بعد هذا الاستقلال وهى الاستمرار فى حفظ مقومات المجتمع الإسلامى والعربى بحفظ تراثنا الروحى ولغتنا العربية الإسلامية ، ولكن بصورة تجعل من أبناء الجيل المعاصر مؤمنين أقوياء بعروبتهم وبإسلامهم فى مواجهة ما يتحداهم من غزو فكرى وثقافى .

والأمل كبير هنا وهناك فى أن يقوم الأزهر ويقوم جامع القرويين بهذا الدور بعد الاستقلال ليضيفا مجدا إلى أمجاد وموقفا تاريخيا إلى مواقف تاريخية أخرى .

ونحن هنا اليوم نحتفل باسم الأزهر معكم ، وفى بلدكم الطيب بمرور أحد عشر قرنا على إنشاء جامع القرويين ولنا أمل كبير أن تحتفلوا معنا غدا بقاهرتنا العزيزة بمرور عشرة قرون على جامعتنا الأزهرية الخالدة .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمد نور الحسن

وكيل الجامع الأزهر

الأدب العربى القديم

أدّى رسالته وبؤدّيها

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثرت فى العصر الحاضر دعوات التغيير والتبديل فى مذاهب الفن والفكر والعقيدة وسائر المذاهب التى تشترك فيها الجماعات البشرية .

وعمت هـــذه الدعوات أقطار العالم ، وأجناس الأمم ، ولم تخصنا نحن فى بلادنا الإسلامية أو العربية .

ولا يستغرب انتشار هـذه الدعوات فى العصر الحاضر لأن أسبابه كثيرة منتظرة قد نجملها فى سببين جامعين : « أحدهما » تلك الرجة العنيفة التى زلزلت أركان العالم بعد الحربين العالميتين ، فلم تدع أمة من أممه على حالة كانت عليها . و « ثانيهما » شيوع حرية الرأى بين مئات الملايين من الخلق ، بعضهم حسن الثقافة ، ومعظمهم جهلاء فى حكم الأميين ، ولكنهم جميعا ينزعون إلى الاستقلال بالرأى والذوق ، ويقابلون التعليم أحيانا بالتحدى والمقاومة إلى أن يبلغ منهم مبلغ الإقناع أو الطاعة والقبول .

وليست دعوات التغيير كلها نهجا واحداً أو سواء فى قيمتها ، فمنها الصالح المستحسن ، ومنها المتعجل المردود ، ولكنه يصدر عن نية حسنة فلا يستر وراءه باطنا غير الظاهر المتكشف للأبصار والأسماع ، ومنها ما هو من قبيل المكيدة المبيتة لترويج مذاهب الهدم . وتقويض الدعائم التى تقوم عليها المجتمعات الإنسانية .

والغالب على الدعوات الصالحة أنها إحياء للقواعد السليمة يزيدها قوة ومنعة ولا يمسها فى أساسها بغرض من أغراض الهدم والتقويض ، فهى فى جوهرها محاربة للجمود وخروج بالعقول الإنسانية من سنن الآلات إلى سنن الأحياء الذين يطبقون القواعد فى زمانهم على بصيرة وعلم بما يقتضيه اختلاف الأزمنة والأحوال وكل دعوة من هذه الدعوات الصالحة خليقة أن تترك بعدها قواعد قائمة تضيف إلى ما تقدمها أو تعززه وتقويه . فهى من عوامل التدعيم والتقوية وليست من معاول الهدم والتقويض .

أما الدعوات المتعجلة ، فإنها تحمل على وجهها طابع العجلة الذى يكشف عن حقيقتها لأيسر نظرة وأقرب روية ، ومثلها فى كل عصر مثل الأزياء التى يقبل عليها طلاب التغيير والتسلية ويعرضون عنها . كما أقبلوا

عليها بغير سبب مقنع غير « اتباعهم كل ناعق » ، وإيثارهم الناعق الطارئ على الناعق المألوف ، وليس أهون من شأن هذه الدعوات المتعجلة على ناقد يعرفها ويعرف أمثالها ، ويستطيع أن يبطل لغوها بمجرد الإشارة إليه ؛ لأنه من السخف والتهافت بحيث تدفعه إشارة عارضة تنبه الأذهان إلى مواضع الخطأ فيه .

وأصعب من هذه الدعوات علاجا دعوات الهدم والتقويض التي تتراءى للناس في أثواب النفاق ، وتموه عليهم المكيدة باسم الدعوة إلى الحق والغيرة على الإصلاح . فإن مهمة الناقد هنا مضاعفة مشتبكة ؛ لأنها مهمة الكشف عن الخطأ ، ومهمة الكشف عن سوء النية ، ومهمة التغلب على الأهواء النفسية التي يثيرها دعاة الهدم والتقويض لتخدير العقول ، واجتذاب الأسماع للإصغاء والاقتناع .

وليست هذه الدعوات خاصة بنا في بلادنا الإسلامية أو العربية ؛ لأن مذاهب الهدم تلقى شباكها حول العالم كله ، ولا ترى أنها تنجح في بلد واحد ما لم تتردد وتتجاوب في غيره من البلدان .

ولكن الأمر الذي يخصنا نحن أن الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هي حملة على لسانها أو على أدبها وثمرات تفكيرها على أبعد احتمال ، ولكن الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة ؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها ، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان .

* * *

آخر هذه الدعوات التي تعجل بها المتعجلون ودسها معهم الدساسون أن الأدب العربي القديم أدب عتيق لا يصلح للبقاء لأنه كان أدبا شخصيا ، ولم يكن أدبا اجتماعيا يخدم الأمم ويمثل حياتها لها أو لمن يقرأ تاريخها من بعدها .

ويكفي أن نعلم أثر الأخذ بهذه الدعوة لنعلم أنها لا تبرأ من شبهة الكيد والنفاق ، وإن تعجل بها أناس من المخدوعين بها على غير علم بعقباها أو على استخفاف بهذه العاقبة .

فإن انقطاع الصلة بيننا وبين ماضينا في اللغة والأدب أشبه شيء بتجريد الإنسان من الذاكرة وتركه في أيدي المسخرين له أداة طيعة منقادة لكل ما تقاد إليه ، بل الأمر أخطر من ذلك وأوخم عقبى ، لأن فاقد الذاكرة يبقى

له قوام آدمى ينتفع به على حسب استعداده للنمو والتعلم ، ولكن فقدان اللغة والأدب عندنا يشل ذلك الاستعداد ولا يبقى بعده « قوما إنسانيا لهم قوام » .

أما جانب التعجل من هذه الدعوة فخطبه هين كما تقدم ، وخطؤه ظاهر لا يحتاج إلى أكثر من سطر واحد للإشارة إليه ، وليس له بعد الإشارة إليه من قدم يثبت عليها .

فنقول أولا وآخراً : إنه لا يوجد فى العالم أدب يثبت بين قومه جيلا بعد جيل دون أن يكون فيه ما ينفعهم ويعبر عن حياتهم ولو كان مداره كله على الموضوعات التى يسمونها بالشخصيات ، وهى لا تقبل الثبات بعد جيلها لو لم تكن من صميم « العموميات » .

أى موضوع - يبدو أنه من مواضيع « الشخصيات » ألصق بها من موضوع المديح أو موضوع الهجاء ، أو موضوع الغزل أو الرثاء ؟ .

قد يبدو المتعجل أن قصيدة المدح كلام لا يعنى أحدا غير السيد الممدوح والشاعر المادح ولا فائدة فيها لأحد بعد ذلك غير كاسب المدح وكاسب العطاء .

وليس أظهر من هذا الوهم عند أقرب نظرة فإن قصيدة المدح لو كانت كذلك لما استحقت من الممدوح نفسه أن يبذل فيها درهما واحدا ، ودع عنك المئات والألوف مما يذكره الرواة فى أحاديث الجوائز والهبات . فلولا أن المجتمع يستفيد شيئا من القصيدة ويحفظها لهذه الفائدة لما احتفى بها الممدوح ولاجاشت بها ملكة التعبير فى الشاعر :

إن المجتمع يستفيد من القصيدة أنها تحيى فيه أخلاقا لا قوام له بغيرها فى قيادته وسياسته ومعاملاته المتبادلة بين أفراده ، وتلك هى أخلاق الشجاعة والرأى والحزم والكرم والمروءة والحياء ، وشمائل النبل والفداء ، ولم يخطئ أبو تمام حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة العلا من أين تؤتى المكارم

فهذا على التحقيق هو « دور » الشعر فى بناء المجتمع والمحافظة على قوامه وأسس تكوينه والدفاع عنه ، وإنه لمن الفهاهة أن يقال : إن الشاعر قد يمدح من لا يستحق المديح وقد يسكت عن إسداء الثناء إلى من يستحقه . فهكذا يمكن أن يقال عن الخطأ والانحراف فى تطبيق القانون ولا يقول أحد - من أجله - بإلغاء المحاكم وإسقاط القوانين .

وربما سلم الناقد المتعجل بدور المدح فى المحافظة على قوام المجتمع ولم يسهل عليه أن يسلم بمثل ذلك لشعر الهجاء ، فإنه أقرب إلى سقط القول من شعر المديح باستحقاق أو بغير استحقاق .

إلا أن الناقد المتعمق فى دراسة المجتمعات

قد يحكم على شعر الهجاء حكمه ، الأخلاق ، كما يشاء ولكنه لا يستطيع أن يهمله فى الاستدلال على المجتمع وأخلاق خاصته وعامته وأخلاق شعرائه وأدبائه ووظيفة الأدب والثقافة المعترف بها بين جملة أبنائه .

فمن شعر الهجاء نعرف الصفات التى تحقر صاحبها بين أبناء عصره ، ومن الاعتدال فى الذم أو المبالغة فى الفحش نعرف كيف كان المجتمع سليما يكفى فيه القليل من اللوم المساس بمنزلة الملوم ، أو نعرف كيف كان المجتمع موبوءا ملوثا بالعيوب لا يهان فيه المهجو بما دون الإفحاش البالغ فى اتهامه بالرذائل والشبهات ، فلا يكفى فيه اللوم القليل لإسقاط الرجل الرفيع فى أنظار عامة قومه ، بل لا بد من الهبوط بذلك الرجل إلى الحضيض ليزدريه من يوقره ويرعاه ، وقد نعرف من الهجاء هل يهان الرجل لاتصافه بالرذائل المنسوبة إليه أو يهان لاجتراء الشاعر عليه واستخفافه بسطوته وقدرته على الانتقام والتنكيل بأعدائه ؟ ونعرف - بعبارة أخرى - أن استبداد الحاكم أهم عند هذا المجتمع من صفاته الصحيحة أو المكذوبة فى معايير الأخلاق .

ولا ريب أن وظيفة الأديب تتمثل لنا من مقدار تعويله على المدح والذم فى تحصيل رزقه ، ومن مروءته أو سقوط مروءته فى التوسل بالوسائل المقبولة أو المحظورة لاستدرار الرزق واستحقاقه من الممدوحين ، جزاء للبلاغة والإجادة وحسن التقدير أو خوفا من البذاء وحياء ممن لا يبالى الحياء .

* * *

ولو كلف نقادنا المتعجلون أنفسهم مؤنة النظر إلى أقوال النقاد الغربيين الذين ينتحلون آراءهم لعرفوا شيئا عن أثر الغزل العربى الذى زعموه لغوا ذاهبا بغير أثر ، ولغطا كاذبا لا يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة ، ولا عن حياة اجتماعية صحيحة . فإن مؤرخى الآداب الأندلسية قبل الفتح العربى وبعده قد أوشكوا أن يتفقوا على أثر هذا الغزل فى تحول آداب الفروسية وشئون المرأة والبيت التى تتصل بهذه الآداب ، وقد نسبوا إلى الغزل العذرى والغزل الصوفى آثارا متغلغلة فى تقاليد القوم وخواطرهم الدينية ، ويتواتر هذا الرأى فى كتبهم فلا يتكلف ناقدنا المتعجل جهدا فى مراجعته حيث التمسه من تواريخ الآداب الأندلسية التى تعد بالعشرات .

وفى وسعهم ، بغير الرجوع إلى أولئك النقاد الغربيين ، أن يدركوا أن غزلنا العربى يعلمنا - بين الكثير مما نتعلمه من الشعر البليغ - كيف كان ناظموه ومنشدوه ينظرون إلى محاسن المرأة الجسدية والنفسية وكيف كان الرجل فى العصور المتوالية يكسب عطف

المرأة وإعجابها ويكسبها عطفه وإعجابه ، وكيف كانت خلائق الجنسين فى علاقات التحية ، وعلاقات المعيشة ، وكيف كانت علاقات البيت والزواج إلى جانب علاقات الجنسين فى الحياة العامة . وكيف كانت عواطفهم القويمة وعواطفهم المنحرفة بين عهود الفطرة وعهود الترف وعهود الاختلاط بالأمم الأجنبية . ولا يطلب من فن من فنون الشعر فى اللغة العربية أو سواها أن يصور لنا العالم الذى يشيع بين أبنائه تصويرا أصدق من هذا التعبير .

* * *

ومن لم يفهم من شعر الرثاء فى اللغة العربية إلا أنه شعر بكاء ينتهى بانتهاء مأتمه فليس له أن يتصدى لفهم أدب ولا أن يستخلص أحوال الناس عامة من أقوال الشعراء أو أقوال المؤرخين .

فنحن قد ننسى أسماء الموتى المبكيين فى دواوين شعرائنا الأقدمين ثم نخرج منها بالفائدة الأدبية والفائدة الاجتماعية التى تستفاد من كلام جدير بالاطلاع عليه كيفما كان .

فمن هذا الشعر نتبين قيم الحياة الفانية وقيم الحياة الباقية عند ناظميه والمستمعين إليه . ومنه نتبين عواطف الحزن ودواعيه التى تنم عن مآثر الأموات والأحياء . ومنه نتبين كل خلق يتجلى فى موقف الفراق الأخير ويحمده الناس فى مقام العزاء والوفاء ، ولا تتبين دلالة الرثاء العربى على « الحياة العربية » من شىء كما تتبين فى تخصصه بالناطقين بالضاد وقلة المشابهة بينه وبين أشعار الأمم فى رثاء موتاها ، وإن كان الموت قضاء على الأحياء فى كل أمة وكل لسان .

فالأدب الذى يصح أن يسمى بالأدب « الشخصى » لا وجود له حيث يعيش الأدب جيلا بعد جيله ولا نقول جيلين ولا ثلاثة أجيال . وقد عاش الأدب العربى كما نعلمه الآن أكثر من خمسين جيلا إذا حسبنا أن الإنسان الواحد تتلاقى فى حياته ثلاثة أجيال.

ومن فضول القول أن نزيد على فضائل الأدب العربى أنه دروس لغة تقوم اللسان وتهدى إلى أساليب التعبير عن خوالج النفس ومعانى الأفكار ، ولا تزال هذه الفضيلة بغية الحكماء والمرشدين إلى هذه اللحظة من القرن العشرين قرن العلوم والصناعات والمنافع المادية والمذاهب التى لا تبالى جمالا فى القول ولا جمالا فى الأخلاق . فإننا نكتب هذه المقال وأمامنا قوائم بأسماء أشتات من الكتب تبحث فى السيمية Semantics وفى « معانى المعانى والألفاظ » وفى تصحيحات قضايا المنطق الواقع التى تقوم على تعديل الأداء اللفظى فى عرض

الفروض والبراهين ، وكل أولئك خلاصته أنه تعليم لغة وتعبير ، لا يستغرب الإنسان أن يوليه العالم المتحضر هـذه العناية إلا إذا نسى هذا الإنسان أنه « حيوان ناطق » قبل كل شيء .

إن خطب النقد المتعجل هين كما أسلفنا فى صدر هذا المقال ؛ لأنه يحمل طابع الخطأ على وجهه فلا يحتاج إلى أكثر من الإشارة إليه ، وهـذه الإشارة تقول فى كلمات معدودات : إن الأدب الذى يعنى شخص قائله ومشتريه بالمال لن يعيش يوما واحدا فى عمر أصحابه ، فإن عاش خمسين جيلا فهو أدب أناس آخرين غير القائلين والمشترين .

وخطب الناقدين المغرضين عسير لما يبديه من ظاهر خادع وباطن مستور ، ولكنه قد يكون فى هـذه القضية أهون من نقد المتعجلين ؛ لأن الغاية منه تحقق مآرب العاملين عليه خفية وجهرة ، ولا شك فى وجود هؤلاء العاملين عليه ولا فى الغاية التى يقصدون إليها وحسبنا هذا وذاك من تحذير غنى عن التوكيد والتكرير ؟!

عباس محمود العقاد

لا قطع ! وغرم ابن حاطب الضعف !

أو [ادرءوا الحدود بالشبهات]

روى أن غلمانا لابن حاطب بن أبى بلتعة سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، فأتى بهم عمر ، فأقروا ، فأمر كثير بن الصلت بقطع أيديهم ، فلما ولى ردّه ، ثم قال أما والله لولا أنى أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له ، لقطعت أيديهم . ثم وجه القول لابن حاطب بن أبى بلتعة فقال : وايمن الله إذ لم أفعل ذلك لأغرمنك غرامة توجعك ، ثم قال : يامزنى ، بكم أريدت منك ناقتك ؟ قال : بأربعمائة . قال عمر لابن حاطب : « اذهب فأعطه ثمانمائة » .

الإيمان بالله

للدكتور محمد البهى

تحدث الناس واختلفوا فى حديثهم حول الإيمان بالله .

وحديث الناس عن الإيمان بالله ، وعن قيمته ، واختلافهم فى هذه القيمة ليس حديث اليوم ، ولاحديث الأمس القريب أو الأمس البعيد ، وإنما هو حديث يتكرر وسيتكرر الحديث عن الإيمان وقيمته ، طالما الإنسان هو الإنسان ، يختلف فى تفكيره ، وما يراه منطقا اليوم يراه غدا وهما أو باطلا .

إن بعض الناس يرى ضرراً فى الإيمان بالله وبعضاً آخر يرى عدم ضرورته فى الحياة . وهناك من يرى ضرورته ووجوبه ، كى يصلح الفرد ويسعد المجتمع .

وهؤلاء الناس الذين يرون ضررا فى الإيمان بالله هم فى واقع الأمر لا يريدون رفع الإيمان من حياة الإنسان ، وإنما يريدون نقل الإيمان من دائرة الإيمان بالله إلى دائرة الإيمان بشىء آخر ، والسبب الذى حملهم على نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة شىء آخر ، هو الاستئثار بالسلطة فى التوجيه والقيادة ، أو الخروج على الأقل عما يسمى تبعية ووصاية .

فالذى يعرف أن الإيمان بالله احتكرته فى أوروبا هيئة دينية معينة ، وكانت تمارس عن طريق احتكارها للإيمان بالله سلطة فى فهم الدين ، وفى توجيه الناس : فى تفكيرهم ، وسلوكهم على السواء .

وهذا الوضع أثار بعض المفكرين وأثار فيما بعد بعض رجال السياسة فأنكروا على تلك الهيئة المعينة سلطتها فى فهم الدين وبالتالى سلطتها فى التوجيه ، وعندئذ رغبوا فى التخلص من هذه التبعية التوجيهية ، ونادوا بالتحرر من سلطة هذه الهيئة ، وهنا نادى بعض رجال الفكر بنقل الإيمان من الله إلى العقل الإنسانى ، ثقة فى قدرة هذا العقل ، وفى استقلاله فى التوجيه ، دون حاجة إلى أن يتلقى التوجيه من سلطة أخرى أجنبية عنه ، وهى تلك السلطة التى تمارسها الهيئة الدينية ، وعندما دعا هذا البعض إلى الإيمان بالعقل ، بالغ فى قيمته ، وجعل له خالقية فى حياة الإنسان .

ومع ذلك لم تسلم هذه الدعوة من نقد ؛ لأن العقل الإنسانى مهما سما . ومهما تجرد عن الهـوى والغرض فى الحكم والتخطيط والتوجيه ، فإنه يتأثر بظروف الإنسان . وهى ظروف متقلبة ومتغيرة ، فالإنسان يشعر بطمأنينة فى لحظة ، ويقلق فى لحظة أخرى تالية . ويشعر بالصحة فى آن وبالمرض فى آن آخر ، ويشعر بمتعة فى وقت ، وبمرارة فى وقت آخر . . . وهكذا فهو موجود غير ثابت ولذا تفكيره ـ وهو عملية عقله ـ غير مستقر كذلك ، ولذا ما يأتى به من أحكام ، أو تصورات وإدراكات لا يخلو من هـذا الاضطراب ، وعندئذ لا يصلح أن يكون تفكير الإنسان قانونا يصلح لتوجيه قوم معينين ، فضلا عن أن يصلح لتوجيه البشرية كلها .

وإزاء هـذا الاعتراض على قيمة العقل واستغلاله فى التوجيه ، نادى بعض المفكرين فى عهد آخر لاحق بنقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل الإنسانى معا ، إلى دائرة الحس والواقع ، وبرر ما دعا إليه على هذا النحو بأن الدين الذى هو مصدر الإيمان بالله لا يخرج عن كونه مصدر تغرير للإنسان ؛ لأنه فهم الدين من تصرفات رجال تلك الهيئة الدينية المعينة التى احتكرت السلطة فى تفسيره والسلطة فى توجيه الإنسان معا ، كما برره بأن العقل إذا استقل عن الحس والواقع ، فهو مخدر خداع للإنسان ؛ لأن العقل كثيراً ما يضل ، وكثيراً ما يتوهم ، وتثبت بعد ذلك بتثبيت الإيمان فى دائرة الحس والواقع .

ورأى أن الواقع هو كل شىء فى حياة الإنسان ، وأن على الواقع أن يملى ، وأن على الإنسان أن يطيع ، وما يأتى به الواقع هو قانون الحياة ، وأن ليس الإنسان إلا طبيعة منفعلة بقوانين الحياة .

وكما لم تسلم دعوة نقل الإيمان من دائرة الله إلى دائرة العقل الإنسانى من نقد ، لم تسلم هذه الدعوة الأخرى ، التى تنادى بنقل الإيمان من دائرة الله والعقل معا إلى دائرة الحس والواقع من تعثر كذلك . وربما كان ما يوجه من نقد إلى هذه الدعوة أعنف وأشد ، أو أوضح وأبين . لأن الحس والواقع إذا كان من طبيعته أن يملى ، فالإنسان هو أيضا من الحس والواقع . ولذا فهو يملى كذلك . فإذا أملى غيره فى الحس والواقع عليه فهو يملى على غيره فى هذا الحس والواقع كذلك ، وإذن هو متفاعل مع الحس والواقع ، وليس منفعلا فقط ومعنى ذلك : أنه يعطى ويأخذ ، ويوجه ويتوجه ، ويؤثر ويتأثر ، وليس شيئا سلبياً ينفعل بغيره دوما .

ومعنى ذلك أيضا أن للإنسان إيجابية ،

كما أن للواقع إيجابية . فدعوى نقل الإيمان من دائرة الله ومن دائرة العقل إلى دائرة الحس والواقع وحـــده دعوى قائمة على المبالغة وعلى الخـداع بالحس والواقع ، كما قامت تلك الدعوة الأخرى التى نادت بنقل الإيمـان من دائرة الله إلى دائرة العقل على المبالغة والخداع والعقل .

ومعنى هذا أن قصر الإيمـان على العقل وحده ، أو على الحس أو الواقع وحـده ، فيه الضرر كل الضرر ؛ لأنه قائم على المبالغة والخداع ، وليس الأمر على نحو ما أراد بعض هؤلاء المفكرين من تصويرهم الإيمان بالله بأنه ضرر على الإنسان .

والفريق الآخر الذى يرى عدم ضرورة الإيمـان بالله فى حياة الإنسان — يذكر أنه ما دام فى الإنسان ضمـــير ، يوجهه نحو الخير فلا حاجة إلى إيمـان بالله ؛ لأن الغاية من الإيمـان بالله حمـل الإنسان على فعل الخير ، وعلى اجتناب المنكر والضار

ومع ما يبدو فى هـذه الدعوة من مظهر الإقناع ، فإنها لا تلبث أن تكشف عن وهم . إذ أن لسائل أن يسأل : هل كل إنسان عنده ضمير يدفعه إلى الخير ؟ فإذا كان الجواب لا ، فيسأل مرة أخرى : ما هو مصدر تكوين الضمير عند الإنسان ، إذا لم يكن الضمير أمراً فطرياً ولازما عند كل فرد ؟ .

هل الفلسفة هى مصدر تكوين الضمير ؟ . أية فلسفة هى التى تكون مصدر تكوين الضمير . وأى فيلسوف هو صاحب هذه الفلسفة التى تكون الضمير ؟ . وهل هذا الفيلسوف إنسان تجرد عن ظروف الإنسان العادى وتقلبه ، وعن عوامل البيئة والوراثة ؟ .

هل هو لا يمرض ولا يصح ؟ هـل هو لا يقلق ولا يطمئن ؟ .

هل هو لا يثور ولا يغضب ؟ هـل هو صاحب مزاج واحـد لا يتقلب فيه بين متعة مرة ومرارة أخرى ؟ وأين يوجد هذا الفيلسوف ؟ وفى أى قوم يوجد ؟ ولأية جماعة ينتسب ؟ أينتسب لجماعة البيض أم لجماعة السود ؟

إذا لم يكن الفيلسوف على هذا النحو . ففلسفته لا تصلح أن تكون مصدراً لتربية ضمـــير إنسانى يعلو على الحزبية والهوى ويسمو عن الغرض ، ويفعل الخير للناس جميعا .

ولكن حتى هذه اللحظة لا نعرف مقر هذا الفيلسوف .

وإذن فإن مصدر تكوين الضمير لدى الإنسان لا بد أن يكون مصدراً عاما للبشر جميعاً ، فوق الهوى وفوق الغرض ، فوق ألوان البشر وفوق أجناسهم . وليس هذا المصدر إلا رسالة الله . لأن الله هو خالق الناس جميعاً ومدبر الكون كله وهو بالناس رءوف رحيم .

وإذن لا مفر من الإيمان بالله ، إذا أردنا ضميراً فى الإنسان يدفعه نحو الخير. ومن خداع أنفسنا أننا نعتمد على العقل وحده ، كما نعتمد على الواقع وحده .

والواقع أن الإيمان بالله ضرورة بشرية . يحتمها وجود الإنسان ، وتحتمها طبيعة الإنسان . إن من طبائع الإنسان أن يطيع وأن يعصى ، أى أن من طبيعته أن يختار التبعية ، أو الانفصال عنها . وهو إذا أطاع لا يطيع إلا من هو متفوق عليه فى القوة ، فى الاستغناء وعدم الحاجة ، فى المنح والإعطاء ، فى حسن التدبير وحكمة المعالجة. إلى غير ذلك من أسباب التفوق . وإذا أطاع الإنسان إنسانا غيره لمعنى من معانى التفوق فإنه لا يلبث أن يتوقف عن هذه الطاعة له. إذا أصبح هو متفوقا مثله ، أو إذا انكشف نقص فى ذلك الذى كان يطيعه . والإنسان هو الإنسان ، لا يتفوق إطلاقا ، ولا يستمر اعتقاد التفوق فيه .

ولذا كانت الطاعة الدائمة لذلك الموجود الدائم فى تفوقه ، وليس هناك فى الوجود متفوق على الإنسان تفوقا دائما إلا الله .

فالإيمان بالله إذن تمليه طبيعة الإنسان .

وإذا كان الإيمان بالله تمليه طبيعة الإنسان ففائدته تتجلى فى أن الإيمان بالله أساس الإيمان بالرسالة التى يأتى بها الرسول ورسالة الرسول ما هى إلا تخطيط للصراط المستقيم ، الذى إذا سلكه الإنسان استقام الفرد والمجتمع معا ، وهذا التخطيط للصراط المستقيم هو وحى الله ، أى وحى ذلك الموجود المتفوق على الدوام . ذلك الموجود المرتفع فوق الأجناس البشرية وألوانها ، وفوق الأغراض والهوى ، وفوق الحاجات وفوق التقلبات والأزمات . لان المتفوق دائما لا يفتقر ولا يحتاج ، ولا يتقلب ولا يتطور ، وإنما هو متفوق لأن ذاته متفوقة .

وإذا آمن الإنسان بهذه الرسالة ، وهى رسالة التوجيه الخير ، عندئذ يفيد نفسه ، ويفيد غيره معه فى مجتمعه. لأن فائدة الإنسان ليست إلا لأنه مستقر مطمئن . ولا يكون الإنسان مستقرا مطمئنا إلا إذا عرف منزلة نفسه ومنزلة غيره فى وجوده معه ، وا تعان فى علاقته به ، وأدرك أخيرا أنه وهو أخوان ، وإن غايتهما الخير والسلام .

ولا يخشى أن يؤدى الإيمان بالله ـ وهو لصالح البشرية جمعاء ـ إلى التعصب .

لأن التعصب فيه معنى الاعتداء ، أما قوة الإيمان فمن مظاهرها سهولة فهم الحياة ، والتسامح فى معاملة الناس . والتعصب مظهر الطائفية ، أما التسامح فليس دليلا على التراخى فى الإيمان وإنما هو دليل على حسن المعاملة والتهذيب فيها . وتلك غاية الدين ورسالة الإسلام ؟ .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٢ —

الإيمان بالنفس :

وإذا كان الإيمان بالله هو أول مقوماتنا الروحية ، وأعظمها أثراً فى توجيه حياتنا توجيها إيجابياً جامعا بين مطالب النفس ، ومطالب الجسم ، كل منهما فى حدود الفطرة السليمة ؛ فإن هناك مقوما هاما آخر له توجيهه الإيجابى . وتأثيره الفعال فى حياة الفرد والمجتمع :

ذلك هو الإيمان بالنفس .

فقد دلت الدراسات النفسية قديماً وحديثاً على أن الفرد إذا آمن بأن له كيانا معنوياً خاصاً وأنه ليس مجرد تكرار لغيره ممن يشاركه فى بعض أحواله ؛ فإنه ينبعث فى عمله انبعاثا قويا . ويثمر ثمرات مبتكرة كثيرة ، أما إذا أحس بأنه شخصية ثانوية فى وجودها أو فيما ترتكن عليه ، أو فى قدرتها على الإنشاء والتثمير ، فإنه حينئذ يكون قوة متراخية نزاعة دائما إلى التخلف والتبعية ، وإلى الاكتفاء بالتقليد والتشبه ، ومن ثم يقولون : إن شخصاً واحداً معتداً بكيانه ، مؤمنا بنفسه . خير من ألف شخص تبعيين ، ومن هنا أيضاً كان القادة عادة قلة وأفرادا ، بينما المقودون التابعون آلافا وملايين .

وهذا المعنى كما يلاحظ فى الأفراد يلاحظ فى الأمم . فهناك أمم تعيش لتقود ، وهناك أمم تعيش لتقاد . وما كان هذا وذاك إلا بأن الأولى آمنت بنفسها ، ووثقت بأن لها رسالة فى الحياة هى مخاطبة بأدائها مخلوقة لها ، وبأن الثانية أخذت عن نفسها ، واستقر فى نفوس أفرادها أنها مجرد تكرار لموجودات خلقت لتكون تابعة .

وقد ربط القرآن الكريم بين خسارة النفس وخسارة الإيمان حيث يقول الله عز وجل : « الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » ، فجعل عدم إيمانهم مترتباً على خسارهم لأنفسهم ، ذلك بأن الذى يخسر نفسه لم يعد له وجود معنوى وإن كان له وجود جسمانى ، فتراه يعيش ويأكل ويشرب ويتمتع ويتحرك حركات الأحياء ، ولكنه فى واقع الحال ميت معنوياً لأنه لا تأثير له

فى شىء مما به تكون النفوس نفوسا ، وبذلك لا يكون صاحب ذات توصف بأنها مؤمنة أو غير مؤمنة .

* * *

وتاريخنا ـ نحن المسلمين ـ خير مثل تطبيق لهذا الذى قررناه فى ناحية الإيجاب والسلب .

فقد نهض المسلمون الأولون نهضة قوية حولت العرب من أمة بدوية صغيرة منطوية على نفسها ، إلى أمة ذات حضارة وقوة وتأثير فى غيرها وقيادة عالمية فى مختلف النواحى ، وشتى الميادين ، وسر ذلك أنهم كانوا مؤمنين بأنفسهم وبأن لهم رسالة هيأهم الله لحملها وتبليغها ، وقد فهموا القرآن الكريم على هذا الأساس ، وطبقوا مبادئه على هذا الأساس :

سمعوا القرآن الكريم يقول لهم : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ففهموها على أنهم أمة مطلوب منها أن تكون أمة داعية ، لا أن تكون مجرد أمة مدعوة : وإذن فهى أمة يجب أن تكون قائدة ، ويجب أن تحتفظ دائما بجميع المزايا التى هيأتها لهذه القيادة من العلم ، وإعداد العدة والعدل والآلفة والاجتماع .

وفهموها على أنهم أمة من واجبها أن تحرص على وجود رأى عام قوى مهيب فيها يأمر أفراده بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، أى يكون مجتمعهم قادراً على محاربة الفساد ، وإشعار أهله بغضبه عليهم ، وإنكاره لفعلهم . وعلى تأييد الصلاح والمعروف ، وإشعار أهلهما برضاه عنهم ، وتأييده لهم .

وهذا يعنى أنهم أمة قادرة على إصلاح نفسها فى داخل نفسها ؛ لأن ما لا يكون صالحا فى نفسه لا يكون صالحا لإصلاح غيره.

آمن المسلمون بأنفسهم على هذا النحو ، فقادوا وسادوا وشادوا ، وكان الفضل فى تلقى الغراس القرآنى وتعهده بالنماء للعرب ، لأنهم هم الذين تلقوا الرسالة الأولى ، وفيهم جعلها الله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » حيث يجعلها فى فرد يختاره من بين قومه ، وحيث يجعلها فى أمة يختارها من بين الأمم ، ولا يمكن أن يكون هذا التشريف للعرب بحمل الرسالة ، وتلقى غرسها الأول وصيانته وتعهده ، قد وقع من قبيل الصدفة ، فإن هناك قانونا عاما قرره القرآن الكريم هو ما يرشد إليه قوله تعالى : « الله يخلق ما يشاء ويختار » فخلقه على وفق المشيئة ، واختياره على وفق المشيئة ، وكلاهما يدل على نفى المصادفة ، وعلى إثبات غاية الحكمة ؛ لأن مشيئة الله تعالى متقيدة بتمام علمه وتمام حكمته .

هذا الإيمان بالنفس هو الذى نفع العرب أولا . وقد سرى منهم إلى المسلمين من كل جنس فانتفعوا به أيضا ، فكان للإسلام دولة وصولة ودعوة وتوجيه وقيادة فى كل مجال : فى العلوم والبحث . فى النظر العقلى ، فى الإنشاء والاختراع . فى السياسة والحكم ، فى فقه الحياة ووضع الحلول السليمة لمختلف المشكلات ، فى معالجة النفوس وسياستها الروحية ، فى رسم مناهج الحكم ، وإقرار موازين العدل ، فى وضع قواعد التعامل الدولى بين الأمم بعضها وبعض ... وهكذا أثمر الإيمان بالنفس مدنية وحضارة ازدهر بها العالم ازدهارا . بل لم يعرف العالم ازدهارا عمليا حقيقيا إلا فى ظلهما ، حتى العالم الحاضر الذى لا تسيطر عليه دولة الإسلام ، تسيطر عليه أمهات مبادئ الإسلام وإن زعموها من صنعهم ومن ثمرات تفكيرهم ومدنيتهم .

ثم دار الزمان دورته حين فقد المسلمون إيمانهم بأنفسهم : دار عليهم فأصبحوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين ، وأصبحوا موجّهين ، بعد أن كانوا موجهين ، وصارت المقاييس والمثل مقاييس غيرهم ومثل غيرهم ، ونسوا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » فصاروا يحكمون أوضاع غيرهم وتقاليد غيرهم ، فيقول قائلهم مثلا : « لقد جرى الفقه الفرنسى على كذا ، وقرر الدستور البلجيكى كذا ، ووضع البروتوكول الإنجليزى كذا » أى أنهم يستضيئون بما يقتبسونه من مدنية غيرهم . وفقه غيرهم ، مع أن لهم فقها وعلما وحكما جعلهم الله بها أمة وسطا لغاية معينة هى أن يكونوا شهداء على الناس أى : مراجع للعالم يستهدى هو بهم وينظر إليهم ويقتبس منهم.

ولقد كانت ثمرة هذا الانتكاس فى الإيمان بالنفس ثمرة مرة ذاقها العالم الإسلامى صابا وعلقما ، حينا من الدهر ، حتى أذن الله بانكشاف الغمة ، وأراد أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمة ، فبعث فيهم من بعث ثقتهم فى أنفسهم ، فكان ذلك عَوْدا إلى السلسلة من ذات الحلقة التى كنا تركنا الإمساك بها .

فواجبنا الآن أن نحرص على إيماننا بأنفسنا ، وأن نعلم علم اليقين أن أعداءنا ليسوا بأقوى منا هما ، ولا بأصبر منا على جهاد ، ولا بأولى منا بقيادة وتوجيه ودعوة ، فعن هذا الإيمان انبثق نورنا يوما ما ، وعن هذا الإيمان صدرنا فى نهضتنا الحاضرة ، فاكتسبنا فى أعوام قليلة ما كنا خسرناه أحقابا طويلة .

وينبغى أن ندرك أن المادية الطاغية الباغية فى هذا العالم - وهى تتمثل تارة فى الصهيونية ، وتارة فى الاستعمار ، وتارة فى الشيوعية - تقف

منا موقف الذى يعمل على تشكيكنا فى أنفسنا ، وتشكيكنا فى مبادئنا ومثلنا : فقد كنا نسمع ـ والاستعمار الإنجليزى جاثم على صدورنا ـ أن المصريين لا يمكن أن يتفقوا ، ولا يمكن أن يستغنوا عمن يسندهم فى المجال الدولى ، وأنه لابد لهم من محالفة الإنجليز ، والآن رأينا هذه الدعاوى تزيف ، ورأينا كيف استطاع جمال عبد الناصر أن يجمع كلمة المصريين ، ثم كلمة السوريين ، بل أقول كيف استطاع أن يجمع كلمة العرب أجمعين ؛ لأنى أقصد الشعوب العربية التى تتألف من أبناء العروبة . لا من الحكومات المجلوبة ، ولا من الملوك المسخرة ، وكيف استطاع جمال عبد الناصر أن يقضى على خرافة الاستناد إلى حليف من الغرب ، وأن يكون هذا الحليف هو الإنجليز أو غير الإنجليز ، بل كيف أصبح مبدأ الحيـــاد الإيجابى مبدأ عالميا أخذه عنا غيرنا .

وقد قالوا لنا يوما : إنكم فراعنة ولستم عربا ، فصدقنا ، وقطعنا صلاتنا بإخواننا فى العروبة . أو جمدنا هذه الصلات وذلك ليفيدوا الصهيونية من تفرق الشعوب التى حولها وعدم التفافها حول جامعة تجمعها ، لتخلو لها هذه الشعوب فرادى فتأكلها واحداً بعد الآخر .

والآن لا يقلق الصهيونية شىء كما يقلقها مصيرها المحتوم أمام إيمان العرب بعروبتهم ، وائتلافهم حول قوميتهم ، وإذا كانت الصهيونية يداخلها هذا القلق العظيم على مصيرها ؛ فإن الاستعمار قد يئس أن يعود بعد اليوم إلى أرض العروبة ، وإنما هو الآن يعانى أعراض التصفية وينزع النزع الأخير إلى حيث لا رجعة له إن شاء الله . وذلك نفسه هو شأن الشيوعية : إنما هو شأن اليأس من أن تجد مبادئها فى أرض العروبة بيئة صالحة لنماء بذرتها ولذلك حسبها أن ترضى منا بمبدأ « التعايش السلمى » ليس إلا .

ولست إخصائيا فى السياسة . ولا أحب الخوض فيها ، ولكنى إنما أتحدث من ناحية ما كسبناه حين آمنا بأنفسنا ، وأحذر قومى من الإنصات إلى الذين يحاولون تشكيكنا فيما آمنا به ، حرصا على زلزالنا ، وثقة بأنا إذا تزلزلنا سهل غزونا . وسهلت هزيمتنا .

إن أشد الغزو هو غزو الأفكار والقلوب ، وليس هو غزو البلاد والأوطان بالسيف والمدفع ، فينبغى أن نضع أمام أعيننا تلك الحقيقة . وقد قررها القرآن الكريم لنا حيث يقول: «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » ، وحيث يقول : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون »

البحث موصول إن شاء الله .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية والجنوح إلى الغواية

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

١ ـ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
٢ ـ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
٣ ـ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره
٤ ـ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره

هذه آيات أربع تتفق فى مبناها ومعناها، وكل منها تعتبر مطلعاً لقصة نبى من الأنبياء مع قومه، وقد اتفقت كلها ـ كما وافقتها آيات أخرى ـ على أن الدعوة كانت إلى عبادة الله وحده، وكانت للتنصيص على أنه الإله الواحد، وليس هناك إله غيره

وهذا هو الأصل الذى تنعقد به صلة الناس بربهم، وهو الوثيقة التى تكفلت رسالات الأنبياء بتبليغها ونشرها بين شعوبهم، وامتدت فى سائر العصور المديدة.

وليس فى هذا الأصل تفاوت بين قوم وقوم مهما تراخت بينهم فترات الزمن.

ووراء هذا الأصل الثابت شرائع يختلف بعضها عن البعض فى شىء من مناهجها وتفصيلاتها.

وإذا كان جانب العقيدة وهو الأصل الأول يؤلف بين الأمم المتنوعة، ويقارب بين أجناسها فى إطار العبودية لله، فالشرائع المبثوثة بين الناس فى أزمانهم المختلفة تجمع بينهم كذلك من ناحية الاتجاه إليه بالطاعة فى أى لون من ألوانها المشروعة، ولا تعتبر الشرائع مفرقة بين أهلها كما يزعم الخاطئون الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا.

فما كانت الديانات إلا توجيها للناس نحو الخير. وإن اختلفت من بعض نواحيها أساليب التوجيه: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذى أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه». هذا مع قوله سبحانه: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا».

ولو أن الناس استطاعوا أن يتألفوا على الأخذ بالدعوة الدينية فى أصلها وجوهرها الصحيح لوجدوا أنفسهم فى نظام متناسق،

وعاشوا فى غير شقاق ، وتبينوا فى يسر وارتياح أن اتحاد الأصل الذى واثقهم الله به فى العقيدة يأبى عليهم أن يكونوا خصوما . . وتبينوا ثانيا أن الشرائع السماوية لم يخالف بعضها بعضا فيما اختلفت فيه من فروع لغرض التشقيق بين الناس ، وتوزيعهم شيعاً متنابذة ، بل كان التباين بين الشرائع تطويراً لهم ، وتطويعا لعقلياتهم ، وتمهيدا لتنظيم صفوفهم ، وجمعهم على طابع يتناولهم من الناحية الروحية ، وهى ناحيـة التدين ، كما تناولهم جميعا الطابع الإنسانى الذى انبثق بهم عن أب واحد ، وأم واحدة .

ولكن لحكمة ومشيئة علوية تشعب الناس فى تلقيهم لدعوة الدين ، وانقسموا حولها قديما ، وحديثا ، واتسعت بهم جولات الخلاف ، فلقيت كل دعوة من أهلها عنتا ، ولقيت الدنيا من وراء ذلك شقاقا وتناحراً ، وأصاب أهلها سلفا ما أصابهم بسبب ما جنوا على أنفسهم ، ولم يكن للناس فى شططهم عذر يشفع لهم ، قد بين الله لهم سبيل الهداية ، وحذرهم عواقب المخالفة عن أمره ، ثم لما لم يستجيبوا ، أخذهم بذنوبهم ، وجعلهم سلفا ومثلا للآخرين .

نعم ، كانوا ضحية إسرافهم فى العصيان والانحراف ، وكانوا قصصا يحكيه القرآن لمن بعدهم حتى لا يعيش الخلف فى غفلة ، ولا يكونوا على جهالة بالمصير .

وقد نبه القرآن فى غير موضع منه على أن سنة الله فى خلقه سواء . وأن عدله فيهم قائم وأن من تريثت به الأحداث فليس بنجوة منها دائما ، ومن قبيل التهديد بهذا قوله تعالى ناصحا لنا : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات » ، «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم » .

وأنت ترى فيما يقصه علينا القرآن من شأن الأمم السالفة أنها كانت فى الضلال متتابعة وأنها كذلك فى الهلاك والدمار سواسية ، وإن اختلف كفرها فنونا ، أو اختلف هلاكها أنواعا : ما بين قحط فى الأرزاق ، ثم إحراق بالصواعق ، أو غير ذلك من ضروب العذاب .

وعلى أى نوع كانت من العصيان فهى أمم مسخوطة ، وكانت عاقبة أمرها شؤماً وبورا .

« فكلا أخذنا بذنبه : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا : ريحا ترميهم بالحجارة - ومنهم من أخذته الصيحة : صوتا ترتجف له الدنيا ، ويهلك من فيها - ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

وهذا جانب محدود مما ورد فى القرآن بشأن المتجبرين وما حاق بهم من عذاب الله ، وهو جانب يكفى لإيقاظ المشاعر نحو موقفنا من دعوة الدين وهدايته ، وجنوحا إلى العصيان والغواية .

وقد يرين على بعض القلوب شيء من الغفلة فنخال أن ذنوبنا لم تبلغ ما بلغته ذنوب الغابرين أو أننا معصومون مما يشاء الله لو أراد بنا سوءا ، أو أن النجاة ميسورة لنا بتوبة ندركها يوما ما .

وهذه أمانى مكذوبة ، يرددها فى خواطرنا إيحاء الشياطين .

وتستجيب لها النفس فى غمرة لهوها ، وفى غفلة الضمير .

تلك الأمانى كانت ولا تزال شباك الشيطان ومفاتن الأنفس ، ومصرع الحق ومبعث الباطل ، وضيعة الأمل الصادق ولو كانت حقا كما نتوهم لأتيحت لمن سبقونا إليها وتعلقوا بها ، ثم خذلتهم الأقدار ، وسخرت منهم الدنيا وخرجوا منها دون أن يأخذوا بالحرص من أوله ولم يدركوا الأمر فى أخرياته

وما برح القرآن يذكرنا بتلك السوابق . وبما يحدق بالناس من أحداث كريهة ، وينبهنا إلى أن الناس يجنون على أنفسهم بما تكسب أيديهم ... فنحن الذين نتعثر فى الطريق المعبد ، ونحن الذين نتخطى الصواب فيلاحقنا الضرر ولا بد ، لأننا لم نترفق بأنفسنا فيما نسلك ، ولم نرجع إلى توجيهات الدين فيما أقام لنا من معالم ، وفيما أوضح من أهداف وما يمكنك أن تعرض للناس غاية ينتهون إليها فى انحرافهم وانحدارهم ، ولا يمكنك ان تفرض لهم يوما ينصرفون فيه عن غيهم ، فقد عاشوا على ذلك ، وما زال الشأن هو الشأن ! .

وكأن هامسا يقول . إن الطمع فى ثوب الناس جميعاً إلى هداهم يعتبر إسرافا فى الأمل بل التعلق بالرجاء فى استقامة الجميع يبعد عما أفصح به القرآن : حيث يقول الله تعالى : « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » ، فالهداية لم تكن فى تقدير الله حظا لجميع الناس ، بل فريقا هدى . وفريقا حقت عليهم الضلالة لماذا نحاول نحن من حديثنا عن الهداية والغواية ، ومن تعرضنا للموازنة فى ذلك بين أناس وأناس ؟ ؟ .

والجواب أن المقدور محجوب عنا ، وأننا أمام التكليف سواء ، لا يدرى أحدنا ما شأن نفسه : أهو من المقربين ، أم من المبعدين ، والمطلوب منا جميعاً أن نأخذ فى الطاعة ونوجه ميولنا ، وإرادتنا نحو الخير ونروض أنفسنا على صالح العمل ، وأن نتحبب إلى الله بالكف عن الحرام ، وعن مطاوعة الهوى ، وذلك هو جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر فى مشقته ، وفى عظم ثوابه كما أفادنا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام .

وهذا الاتجاه يملكه المرء عن نفسه ، وهو مناط التكليف الذى نسأل عن تنفيذه أو محاولة تنفيذه « فاتقوا الله ما استطعتم » ، « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .

ومن المسلم به أن التدرج فى الأمر يجعله عادة مألوفة إلى أن يصير فى حكم الخلق المطبوع ومن قبيل ذلك أن الدين يطلب

منا تعويد الصبيان أن يصلوا ويصوموا لتنشأ فيهم الطاعة كعادة متأصلة فلا يرهقهم أخذهم بها بعد أن يشبوا على المخالفة والتمرد

فالسنة فيما نحاوله بعيدة عن التشبث بما قدر لنا أو علينا ، بل المطلوب أن نحرص وأن نسدد ، ونقارب ما استطعنا . فليس لأحدنا أن يتلكأ ويقول : صنعت ما قدر على فعله .

إذ ليس لنا علم سابق بما قرر كما أسلفت ،

وإنما الأمر موجه إلى مغالبة النفس على هواها وترويضها على الامتثال فى جانب الخير

وكل امرئ ذى عزيمة يلمس من شأن نفسه القدرة على التحكم فى ميله كما هو واقع فى شئون المال والنفقات ، والاقتصاد ، والمأكل والملبس ونحو هذا مما يتصرف فيه فيمسك او يسرف كما يحب فكيف لا يقدر على الاتجاه نحو الطاعة ، وقسر النفس على الاستجابة ؟.

إن تجارب الحياة وما يملأ سمعنا من القصص عن الغير يفيدنا فى تأكيد أن أرباب الغواية انحدروا إليها فى هوادة . وظلوا حتى كانوا ضحايا العادات التى جرفتهم ، ويفيدنا أن أهل الطاعة والمثاليين فى أخلاقهم أبناء عادات طيبة تركزت بهم وصارت خصائص يعرفون بها ، ولا يرضون سواها .

ولسنا بحاجة فى هذا السياق إلى الاستشهاد بنظريات الفلاسفة ، ولا بأقوال الحكماء

وإن كانت كلها فى هذا الصدد على وفاق معنا فيما نقرره استمدادا من القرآن الكريم ، واقتباسا من توجيهاته إلى العمل بأحسن ما نسمع ، وإلى تحاشى الضلالة وأسبابها وألا نقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأن نتحاشى الفتن ، ولا نوقظها لتظل نائمة بين الناس .

ولنا شاهد من واقع الأمر المشهود ، فحيثما نجد الغواة مسرفين فى غوايتهم ، ونراهم يتعللون بالمعذرة عن أنفسهم بأن العبد مسير لا مخير كما يزعم بعض المبطلين من دعاة البحث المذهبى نجد من المسرفين من يقلع اختيارا عن غيه ، ويتدارك نفسه بانتباذ تلك المساقط ، والتعوذ بالله من مفاتن الشياطين ، والأخذ بالعروة الوثقى فيصبح يقظا بعد غفلة ، وجادا بعد مهزلة ، ويبصر برشده ما كان محجوبا عنه فى ظلة السفه .

وإذا كان مقررا أن المرء يملك توجيه نفسه فى مجال الاقتصاد كما أشرنا فكيف لا يملك مثل هذا التوجيه فى الجانب الأدبى كما طلب إليه الدين .

والذى أريد الاقتناع به هو أن دعوة الدين إلى الاعتدال ليست دعوة تعسفية ، ولا يقف فى سبيلها إلا أن يقلع المرء عن عادات مستهجنة ، يأخذ بدلا منها بعادات مستحسنة . وإن كانت فى أول أمرها غير هينة ، فإن الطاعة وعمل الخير مجال الحرب

مع الشيطان ، والحرب كلها بحاجة إلى الجلاد والمصابرة ولكل امرئ من دهره ما تعودا .

وهنا تتفاوت مراتب المجاهدين لأنفسهم ، وتتفاوت منازل الناس أمام دعوة الدين « وما منا إلا له مقام معلوم » .

وإذا كان حديثنا هذا صدى لما ينبثق فى الآيات السابقة عن الأمم الخوالى فمن مواصلة الخير بين المسلم والمسلم أن نثير العبرة ، وأن يذكر بعضنا بعضا بوجوب التآزر فى النهوض بمستوانا من كل ناحية حتى تتوازى جوانب المجتمع كلها .

فإذا رجح شأنه من ناحية الاقتصاد ، والتصنيع ، والسياسة ، والتعليم وبدا المجتمع كما هو اليوم فى نشاط يبعث فينا الفخار والغبطة وجب أن يكون كذلك فى ناحية الخلق ، والآداب ، والتدين حتى يكون قوام المجتمع على دعائم قوية تكفل بقاءه ويسلم كيانه من الهزات التى كثيراً ما صدعت بنيان أقوام آخرين .

وهذا هو الكيان الذى تهدف إليه ثورتنا المباركة ، وتتهافت عليه جمهوريتنا الواثبة ، ووصلت إلى مطالبه جهودنا الموفقة .

وما أهمل القرآن وسيلة تصل بنا إلى مبتغانا إلا دفعنا دفعا قويا إلى تناولها ، والاستزادة من ثمراتها .

فالعمل ، وتدريب النفس على الجد ، والترفع بها عن السفاسف : كل ذلك من الوسائل الكفيلة بالغايات النبيلة وحينما يحاول المرء أن يتجه إلى وجهات الخير ويلمس من نفسه تراخيا وأناة فليطرق مع عمله باب الدعاء إلى الله أن يعينه على مقاصده .

وباب الدعاء مفتوح . والله يحب من عبده أن يلتمس الخير عنده ، ويلوذ بدعائه .

وقديما تخلت الأقوام عن دعائه كما تخلفوا عن تلبية رسله فى طاعة ربهم فكان إحجامهم هذا جفاء شرا من تغافلهم حتى فى ساعات البلاء النازل بهم وقد أخذ الله عليهم ذلك الجفاء ، واعتبره قسوة منهم على أنفسهم ، وجنوحا إلى عدوهم الشيطان .

وفى هذا يقول سبحانه « ولقد أخذناهم بالبأساء والضراء ، فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » .

« فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا !! ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » .

فهناك جحود وجمود ، وهناك حاجة وعناد ، وعند الله هداية ، ورجاء ، ولكن الناس أعرضوا وعاندوا ، ونسوا الله فيما يعملون فأنساهم أنفسهم فيما يرجون ويسألون . ونحن نسأله من فضله ، ونضرع إليه بكرمه وجلاله أن يجعلنا من أوليائه لا من أولياء الشيطان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

من القيم الإنسانية فى الإسلام

المحبة

للدكتور محمد يوسف موسى

إذا كانت « الحرية » هى التى تجعل المرء إنسانا حقا ، فلا قوام لحياته ولا كرامة له إلا بها ، فإن المحبة هى التى تربط بين النفوس وتؤلف القلوب ، وتجعل المجتمع والأمة والعالم كله يعيش فى أمن وسلام وهناء . ولهذا . نراها من القيم الإنسانية النبيلة التى جاء بها الإسلام ، وأكدها وحث عليها ، وجعلها الرباط المتين الذى يجمع بين الناس جميعاً ، لا فرق بين جنس وجنس وأمة وأمة . .

إن رابطة الدم تؤلف بين أفراد الأسرة الواحدة ، ورابطة الوطنية تؤلف بين أبناء الوطن الواحد الذى له حدوده مهما كان امتداده وسعته ، ورابطة الدين تجمع بين بنيه وإن تعددت أقطارهم وتنائت بلادهم واختلفت أجناسهم .

ولكن رابطة المحبة أمر وراء ذلك كله ، فهى التى - متى صحت وصدقت - الحبل المتين الذى يلف العالم كله من أدناه إلى أقصاه ، وتجعل الناس جميعا إخوانا يألم بعضهم لبعض ويفرح بعضهم لبعض ، وهنا تذوب فوارق الجنس والوطن والدين .

ومن هذه العاطفة السامية القوية ، تنبع عواطف أخرى لا قوام للإنسانية بدونها ؛ من الرحمة ، والعطف ، والتعاون ، والإيثار ؛ ومن ثم ، يكون الإنسان المحب لغيره ، والذى يسارع إلى تفريج كربته ونفعه بما يستطيع حين الحاجة إليه ، أثيراً لدى الله سبحانه وتعالى . ومحبوبا منه ، وناهيك بسعادة من يحبه ربه ! .

وفى الحديث : « أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله ، أى عبيده ، كما رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما . وفى أحاديث أخرى ، يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان لا يتم ويكون كاملا لإنسان إلا إذا كان يحب أخاه الإنسان ، ومنها قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وذلك لما يعلمه الصادق الأمين من جلال أثر المحبة متى كانت صادقة . فإنها دروع يقى المحبوب السوء ، وسبب لوصول البر والخير إليه ، وعامل للتعاون بين المتحابين فى سبيل الخير العام لهم وللأمة والناس جميعا .

* * *

وإن المرء منا لا يكاد يستطيع تصور إنسان أو مجتمع أو عالم خال من الحب أو المحبة ، اللهم إلا أن يكون إنسانا لا حقيقة له ، ومجتمعا مفككا لا رابطة له ، وعالما كله خواء لا قوام له ولا بقاء .

إن الواحد منا إذا تجرد من هذه العاطفة الإلهية لم يكن إنسانا حقا ، بل يكون كائنا من لحم ودم ، ويغدو ولا صلة تربطه بغيره ، وما أبأس شخصا يكون على هذا النحو ! وإذا تجردت منهـــا أمة صارت قطعانا من حيوانات مفترسة متعادية . وكذلك الأمر فى عالم لم تجمع المحبة بين أمه وشعوبه .

بل إن مدرسة أو جامعة ، أو أى مؤسسة من نوع آخر ، للزراعة أو الصناعة أو التجارة مثلا . لانسود المحبة بين أفرادها والقائمين عليها ، كان عاقبة أمرها خسراً بلا ريب .

وجملة القول فى هذه الناحية ، أن الحياة ، حياة أى إنسان أو مجتمع أو أمة ، إذا خلت من المحبة انطفأت شعلتها ، وجمدت القرائح ، واختفت المواهب ، وأجدبت العقول .

نعم إن المحبة الصادقة ذات الموضوع الطاهر النبيل ، هى التى تدفع للأعمال العظيمة ، وتؤلف بين قلوب الأمة ، وتنسى العامل الناصب ما يلقى من تعب وعناء ، وتجعل الإنسان بنجوة من إغراء الهوى والشهوات وأسر المادة وفتنتها ، وتحمله على التضحيات الجسام فى سبيل الدين والوطن .

يروى ابن هشام فى سيرة النبى ، عليه الصلاة والسلام ، أن امرأة من الأنصار رزئت يوم « أحد » بأعظم ما يصاب به إنسان ، فقد قتل زوجها وأبوها وأخوها وهم يحاربون مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المعركة .

ولكنها لإخلاصها فى محبة الله ورسوله والجهاد فى سبيل نشر دينه ، لم يذهلها هذا الرزء الفادح ، فقد كان همها أن تسأل : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه انظر إليه . فلما رأته قالت : كل مصيبة بعـــدك جلل ! أى صغيرة .

* * *

هذا . والمحبة غريزة فطرية فى الإنسان ، بل وفى الحيوان أيضا ، فلا بد أن تجد لها متنفسا وموضوعا تنصرف إليه . وحينئذ يكون لها أثرها الطيب أو الخبيث بحسب هذا الموضوع الذى تعمل للوصول إليه . والمحبة التى يدعو الإسلام إليها ، ونعتبرها بحق من القيم الإنسانية النبيلة التى بلغ موضوعها من السمو والنبل مكانا عليا .

المحبة ، إذاً ، درجات بعضها فوق بعض ، وفى الذروة منها محبة الله تعالى الذى أنعم علينا بما لا يحصيه من صنوف النعم والآلاء ، ثم محبة رسوله العظيم الذى جاءنا بالهدى والنور ثم محبة المثل العليا نتمثلها فى حياتنا ونعمل للوصول إليها أو الاقتراب منها ، ثم محبة الدين والوطن ورجاله العاملين المخلصين وأبنائه جميعا ، ثم محبة الإنسانية جمعاء ممثلة فى كل أناس وقبيل وأمة .

والمحبة متى كانت صادقة قوية ، يكون من شأنها أن تمثل لصاحبها محبوبه ، فلا يتخيل إلا إياه ، ولا يرى إلا وجهه ، ولا يلذه إلا حديثه . وقصارى القول ، يبلغ به الحال ألا يسمع إلاله ، ولا يطيع إلا أمره ، ولا يبصر أحداً غيره ، ولا يتكلم إلا فى سبيله .

ولنبل هذا الحب وشرفه ، نرى الله سبحانه وتعالى يصف نفسه به ، فقد جاء فى كتابه الكريم أنه يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ويحب المتوكلين ، ويحب الصابرين . ويحب الشاكرين ، ويحب المتصدقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

كما طلب منا أن نحبه ، فقال فى التوراة : « يا ابن آدم ، إنى وحقى لك محب ، فبحقى عليك كن لى محبا » ، وأمر فى القرآن الكريم أن يقول رسوله : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، وتوعد من يعرض عن الإسلام ويرتد عنه بأن يأتى بقوم يحبهم ويحبونه .

* * *

ولكن علينا أن نتساءل : ما معنى محبة الله ورسوله وحقيقتها ومامدى أثرها ونتيجتها ؟ الإجابة عن هذا وذاك يجب أن نكون صرحاء وشجعانا ، وأن نتذكر معنى ما يطلبه منا الدين من الإيمان بالله ورسوله .

إن الإيمان قول وعمل ، وليس بمؤمن بالدين الذى رضيه الله لنا وللناس جميعاً من لا يهتدى بهدى هذا الدين ولا يعمل بما جاء به ؛ فكذلك ليس محباً لله ورسوله من يعلن عن ذلك بلسانه فى كل حفل وناد ومناسبة أو فى غير مناسبة ، ومع هذا فهو لا يجد حلاوة الإيمان فى قلبه ، ولا يعمل بما جاء به من عقيدة وشريعة وخلق ، بل ربما كان فى سلوكه على النقيض مما جاء به .

وهنا يحق لنا أن نتذكر قول الشاعر :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى الفعال بديع !
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

إن الله هو - كما نقول جميعا - القادر على كل شىء ، وكل شىء سواه عدم ، فقلوب العباد كلها بين يديه يصرفها كيف شاء .

ولاحول ولاقوة إلا به . ومن ثم كان وحده هو المستحق للإجلال والإعظام وللعبادة على اختلاف ضروبها .

وهو مع هذا كله ، هو المنعم المتفضل علينا بالنعم التى لا نستطيع إحصاءها . وهو الذى أرسل رسوله بالكتاب المبين الذى هدانا به الطريق المستقيم ، وجعلنا به خير أمة خرجت للناس ، وسخر لنا الأرض وجعلها لنا ذلولا إلى غير ذلك مما هو معروف .

فهو إذا أهل للعبادة والحب ، وأهل لأن يكون وحده من نرجو ونخاف ، وأهل وحده لأن يكون معقد الرجاء والأمل ، وأن نطيعه فى كل ما أمر ، وأن ننتهى عن كل ما نهى عنه .

ومع ذلك كله ، فالكثير منا يعرض عن أداء ما افترضه علينا ، ويقع فى كثير مما حذر منه ونهى عنه . ويتوجه إلى غيره بالرجاء معتمدا على هذا الغير وحده ، متناسيا أن الناس جميعا لو اجتمعوا على أن ينفعوا واحدا منهم بشىء لم يرده الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا بشىء لم يرده الله لعجزوا عن هذا عجزا بينا .

كل هذا نحسه ونعرفه فى كثير من الناس فكيف يكونون محبين لله وهم على هذه الحال من الإعراض عن الله ، ومن عصيانه فى كثير مما يفعلون !

إن المحبة الصحيحة الصادقة تدفع المحب حتما إلى أن يكون فى كل حالاته على ما يرضى المحبوب ، وإلى بذل غاية جهده فى هذه السبيل فكيف إذا كان المحبوب هو الله مالك الأمر كله ، ورسوله الذى أخرجنا الله بفضله من الظلمات إلى النور ، وصرنا أعزاء بعد ذل ، وسادة بعد أن كنا مسودين ! .

إن محبة الله ورسوله تقتضينا ، إذا كنا محبين صادقين ، أن نتفهم الإسلام على حقيقته وأن نزل على أحكامه فى كل ما نأتى ونذر ، وأن نطيعه فى المنشط والمكره ، وأن نبلغ هذا الدين العالمى الخالد إلى الناس جميعا علهم يستضيئون بنوره ، فيسعدون باتباعه

وإن هذه المحبة تجعلنا أن نتخذ الرسول العظيم قدوة لنا فى كل أمورنا ؛ فهو بنا رءوف رحيم كما وصفه الله تعالى فى كتابه ، وفيه لنا فى عامة أحوالنا وفى كل جيل وزمان أسوة حسنة كما نطق بذلك القرآن .

وإن هذا العامل النبيل السامى . أى هذه المحبة الصادقة لرسولنا العظيم ، وكذلك محبة الإنسان لإخوته فى الدين والوطن ، حرية أن تنقى قلوبنا من الغل والحقد والحسد ، ومن البخل والجشع . فهو الذى يقول فى بعض أحاديثه : (لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ،

ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا) . كما يقول فى حديث آخر (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) .

بل إن هذه المحبة الصادقة هى التى تدفعنا إلى التعاون حتى لا يكون بيننا جائع أو محتاج بل تدفعنا إلى الإيثار ولو كان بنا خصاصة ؛ فإن مجرد الإيمان ، بل هذه المحبة ! ، يبعث بلا ريب على هذا التعاون والإيثار .

فالله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » . ويقول فى مدح قومه من المهاجرين والأنصار : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، ويقول فى شأنهم أيضاً : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً » ، ثم يقولون لهم : « إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » .

وبجانب هذه الآيات ، نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » . وهنا يقول الراوى وهو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ، أى فيما يفضل عن حاجته .

* * *

وأخيرا ، لماذا يعيش الناس اليوم فى كرب وضيق ، وفى خوف من حرب عامة لا تبقى ولا تذر ، وتنال الناس بويلاتها فى الشرق والغرب ؟ الجواب واضح ، إنه محبة الإنسانية التى انتزعت من القلوب ، والرغبة فى الغلب والاستعلاء ، واستشعار الدول الكبرى أن بعضها عدو لبعض .

لكن لو نزعنا عن القلوب والنفوس ما ملأها من هذا كله ، وأحب كل منا إخوانه فى الإنسانية ، ولم يصرفه عن هذا الحب أثرة أو اختلاف دين وجنس ، لوسعنا العالم جميعا ولأمكن تعاون « الجميع » على استخراج كنوزه واستغلالها ، والانتفاع بخيراته ليعم الأرض بمن عليها من ناس ، وأمن كل محل الخوف وقام سلام حقيقى يحول بيننا وبين الحرب إلى الأبد .

ذلك كله حرى أن يتحقق ويكون بفضل حب الإنسانية ، والتعاون على البر والتقوى والعمل للخير العام المشترك ، ولعل ذلك يكون قريبا إن شاء الله تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

مشكلة الخط العربى

للدكتور تمام حسان

منذ زمن ليس بالقصير ، أحس الناس وجود صعوبات معينة فى استعمال الخط العربى ونما هذا الإحساس فى نفوسهم حتى أصبح شعورا ، ثم قوى هذا الشعور فى عقولهم حتى بدءوا يحيطون شيئا فشيئا بجوانب مسألة الكتابة العربية بل إن هذه المسألة قد تعدت إقليم المسائل وتجاوزته إلى عالم المشاكل ، وأصبحت كما وصفناها بعنوان هذا المقال : « مشكلة الخط العربى » . وولج الناس باب النقاش جادين يحاولون أن يجدوا حلا يذللون به صعوبات الكتابة العربية ، ولبثوا حيناً من الدهر يقترحون الاقتراحات ، ويهيئون المشروعات التى يمكن بها القضاء على هذه المشكلة وكانت هذه الاقتراحات والمشروعات فردية الطابع حينا ، ورسمية الدافع حينا آخر ، ولكنها فى كلتا الحالتين كانت مناط الأمل ومعقد الرجاء . وظن الناس وأملوا أن الخط العربى سيدخل فجر تاريخ جديد ، وأن إصلاحا جديداً لهذا الخط يوشك أن يكمل جهود أبى الأسود والحجاج . ولكن سرعان ما خاب الرجاء ، وتطامنت الآمال حين انسحب إصلاح المصلحين من الحقل الاجتماعى العام ، وانزوى فى دور المطابع وآثر الإصلاح ألا يكون إصلاح الكتابة ، بل أن يكون إصلاح الطباعة .

ولست هنا بصدد التعليق على انحراف الإصلاح من الكتابة إلى الطباعة ولا بصدد تحديد العوامل التى عملت على إيجاد هذا الانحراف ، ولكننى أريد أن أعرض لمسألة الكتابة العربية من أساسها ، فأشير إلى مواضع النقص فيها ، وإلى مطالبها من الإصلاح ، ثم أحدد الصعوبات التى تقوم فى سبيل الإصلاح . ولكنها ربما كان من السهل أن يتغلب عليها المصلحون .

لقد لاحظ الأولون أن الخط العربى بصورته التى كان عليها لم يكن وافيا بالغرض المقصود منه لسببين : أولها أن صور بعض الحروف تشتبه بصور بعضها الآخر ولم يكن ثمة ما يميز أحدهما من الآخر ، ومن أمثلة هذا ما كان من صورة واحدة هى للباء والتاء والثاء والنون والياء المتوسطة . وقد عالج العرب الأقدمون ذلك التشابه بوضع نقط فى أوضاع وأعداد مختلفة ملحقة بهذه الصورة الواحدة لتميز المقصود بها . والسبب الثانى

أنه برغم اشتمال اللغة على الحركات لم يكن الخط فى صورته حينئذ يهتم بالدلالة عليها فى الكتابة ، ومن ثم خلت الكتابة العربية مما يدل على الحركات . وكان لا بد مع عدم تمثيل الحركات فى الكتابة أن يتجه الخطأ باللحن اتجاهين مختلفين أحدهما صرفى يتمثل فى الخطأ فى نطق الحركات التى فى البنية كخطأ بعض الناس فى نطق كلمة « تبعة » و« موظف» و « منطقة » والآخر نحوى يتمثل فى عدم صحة الحركات الإعرابية التى فى أواخر الكلمات . وكان علاج الأقدمين لهذا السبب الثانى من أسباب قصور الخط العربى بإضافة نقط فى مبدأ الأمر يختلف لونها عن لون المداد الذى كتب به النص ، ثم صوروا الحركات بصورها الحاضرة فيما بعد .

ولكن هذا النوع من الإصلاح لم يكن عمليا بالقـــدر الكافى فى الأزمنة اللاحقة ولا سيما فى عصرنا الحديث فلقد ازدادت حاجة الناس إلى الكتابة وأصبح المرء يكتب أكثر مما كان أجداده يكتبون وأصبحت الكتابة عنصراً هاما لا فى التجارة والتدوين والرسائل فحسب كما كانت فى القديم وإنما أصبح الفرد العادى مضطراً إلى الكتابة حتى فى أخص أموره البيتية والشخصية ، وطغت الرغبة فى السرعة على طابع الكتابة فاطرح الناس كتابة الحركات ، وإن أبقوا على النقط وسرى ذلك من مجال الكتابة اليدوية إلى مجال الطباعة فلم تعد المطبعة تعنى بالشكل إلا فى القرآن الكريم ، وكتب تعليم الأطفال .

وبهذا عاد الخط العربى إلى نفس القصور الذى لاحظه الأولون وفطن المعاصرون من علماء العربية والقائمون على أمر تعليمها ودراستها إلى أن هذا النظام الكتابى يتسم بالنقص من النواحى الآتية .

١ — أنه إذ يهمل الحركات يصرف عنايته التامة إلى الحروف الصحيحة حتى أصبح من الممكن أن نصف الكتابه العربية بوصف « الكتابة المقطعية » لأن الحرف الصحيح فيها يدل على مقطع مكون من حرف وحركة لا على حرف واحد فقط . وهنا نجد تطرفا من الإملائيين والصرفيين فى اتجاه ، وتطرفا مثله من العروضيين فى اتجاه آخر . فأما الأولون فقد جعلوا من الحركات علامات إضافة على الحروف الصحيحة وجعلوا ألف المد فى صورة الياء أحيانا وحذفوها من الكتابة أحياناً أخرى . وجعلوا الصحاح أصول الكلمات دون العلل ، وبنوا دراسة التصريف والاشتقاق على الصحاح دون الحركات وأجازوا فى العلل والإعلال والإبدال ولم يكادوا يرضون ذلك فى الصحاح . وأما العروضيون وهم ألصق بالموسيقى والإيقاع فقد انصرفوا إلى العناية بالعلل والحركات

جعلوها جوهر دراستهم لما فيها من إمكان ضبط الكمية طولا وقصراً أى ضبط الإيقاع ولما فيها كذلك من الوضوح السمعى إذا ووزنت ، بالصحاح : وهذا الوضوح الذى فيها يرتبط بفكرة الموسيقى فى الشعر . وأنت تستطيع أن تطيل فى ألف المد مثلا فتغنى بها نغمات مختلفة يطرب لها السامع ، ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك بسين مشكلة بالسكون . ومن هنا تطرف العروضيون فى إهمال الصحاح والعناية بالحركات والعلل كما تطرف الإملائيون والصرفيون فى عنايتهم بالصحاح وإهمالهم الحركات .

٢ ــ والناحية الثانية من نواحى قصور الخط العربى أن هذا الخط باستخدامه العلامات الإضافية التى هى النقط والشكل فى الكتابة لا يدع فرصة الانسياب ليد الكاتب ، وإنما يجعله بعد فراغه من كتابة الكلمة يعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ليكملها نقطا وشكلا . ولو كان كل حرف من حروفها متميزاً بشكله الخاص لا بما يضاف إليه من نقط وعلامات إضافية لكان أولى بالكاتب أن يحس بسهولة لا نظير لها فى الكتابة ، ولكانت الكتابة عند المجيدين لها عملا من أعمال المتعة الحركية كالرياضة والسباحة واللعب .

وهكذا نشأ إحساس الناس ثم شعورهم بمشكلة الخط العربى فعملوا أفراداً وجماعات وهيئات على علاج هذه المشكلة ثم قدر لهم فى النهاية أن ينحرفوا بإصلاح الخط من إصلاح الكتابة إلى إصلاح الطباعة والحق أن إصلاح الخط العربى بصفة عامة تجابهه عقبات وظروف من أنواع مختلفة منها المالية والقومية والنفسية والاجتماعية والثقافية ، وسوف أشرح كل أولئك بالترتيب بادئاً بالعقبات المالية :

وأقصد بالعقبة المالية ضرورة إعادة طبع الكتب العربية جميعها بالخط الذى يأتى وليد الإصلاح . فإذا علمنا عدد الكتب العربية التى تم طبعها حتى الآن أدركنا المبلغ العظيم من المال الذى يجب أن ينفق على إعادة الطبع سواء أكان ذلك متصلا بإعادة تكييف آلات الطباعة حتى تناسب النظام الجديد ، أو متصلا بنفقات طبع هذه الكتب . وسواء أكان الإصلاح تحويلا أو تحويراً لصور الرموز الحاضرة أم كان استخداما لرموز مستحدثة . ولا شك أن الاقتصاد القومى فى حالته الحاضرة موجه إلى نواح من الاستغلال وإلى مشروعات مدروسة هامة تهدف إلى رفع مستوى معيشة الفرد وإلى تقوية الدولة وإرسائها على قواعد اقتصادية ثابتة ومن الخطل أن تنصرف عن هذا الجهد المبارك إلى جهد آخر غير مضمون النتائج . المسألة إذن ليست مسألة تحمس للإصلاح الهجائى

وكنى وإنما هى مسألة تتصل أوثق الاتصال بمستقبلنا أفراداً وأمة .

أما من الناحية القومية فهدفنا الآن هو التجمع فى أمة عربية واحدة حدودها المحيط الأطلسى غربا والخليج العربى شرقا وجبال طوروس شمالا وخط الاستواء جنوبا . وإن مظاهر وحدة هذه الأمة هى الوحدة فى الإحساس والشعور والأمانى واللغة والموقع الجغرافى والتكامل الاقتصـــادى وأمور أخرى أحدها دون شك ــ وأرجو ألا يسخر القارئ من ذلك ــ هو الوحدة فى النظام الكتابى والإملائى . والمعروف أن بعض أقطار هـذه الرقعة العربية مستقل وبعضها محتل ؛ بل إن أقطـارها المستقلة فى ظروفها الحاضرة لا تجمع على سياسة موحدة فبعضها ينهج نهج سياسة عربية خالصة وبعضها الآخر ينهج سياسة عربية ، على عينها نقطة ، فإذا بدأ أحد هذه الأقطـار بإصلاح خطى كان مخاطراً فى ذلك أكبر مخاطرة . فهو إما أن يصر على هذا الإصلاح وتخالفه فى ذلك أقطـار عربية أخرى مستقلة فينقسم العرب إلى شيعتين ويضرب بينهم بسور إملائى ليس له باب وإما أن تتفق كل الأقطـار العربية المستقلة على ذلك ، ويبقى العرب المحتلون بعيدين عن هذا التيار الجديد . ولن يكون فى طوقنا حينئذ أن نعينهم على الخلاص من المستعمر بنفس الدرجة التى توجـد الآن ، لأننا إن وصلنا إليهم عن طريق الإذاعـة وفهمونا فلن يفهموا ما نكتبه موجها إليهم فى صحافتنا ومطبوعاتنا الأخرى . خير الأمور إذن أن يبقى الخط العربى الحاضر كما هو حتى يتم توحيد الأمة العربية كافة وعندئذ نستطيع أن نفكر جديا فى إصلاح هذا النظام الخطى المعيب .

ثم انظر بعد ذلك فى موقف بعض الأمم الإسـلامية التى ارتضت أن تكتب لغاتها بخطنا العربى حين تجـدنا أصبحنا لا نحترم هذا الخط الذى احترمونا من أجله فاستخدموه قرونا طويلة . إن هذه الأمم ستحس بشىء من الأسى يشبه شعور المخـذول الذى خاب أمله فى عزيز لديه .

وكلنا يذكر سخطنا على الأتراك حين نبذوا الحروف العربية واستبدلوا بهـا الحروف اللاتينية . لقد كنا نحس أن الأتراك بعملهم هـذا كانوا يتنكرون لبعض مقدساتهم ويقطعون أنفسهم عن التركة الثقافية التى اغتذوا بلبانها وأعانتهم بعد حياة الرعى على أن يكونوا أمة ذات حضارة وثقافة . ولعل الأتراك لو حوروا الخط العربى الذى كانوا يستخدمونه إلى صورة أخرى لا تبعد به عن حاضره لكانوا قد وصلوا إلى حيث هم الآن ولكن بدون أن يشعر العالم الإسلامى نحوهم

شعور المرارة . كانوا إذن يستطيعون أن يصلوا بتحوير الخط العربى إلى مثل هذا الاستقلال بنظامهم الكتابى دون هذه القطيعة بينهم وبين ماضيهم الثقافى ولكن الصدمة التى شعر بها العالم الإسلامى حينئذ كانت تخف وطأتها . أفلن قطعنا نحن بيننا وبين ماضينا الثقافى على هذه الصورة أفلا يكون صدى ذلك حسرة وحيرة أيضا فى صدور بقية الشعوب الإسلامية ؟ .

على أننا إن فعلنا ذلك فسوف يكون مجتمعنا العربى أشبه برجل منشق الشخصية . فإن أطفال هذا المجتمع سيتعلمون النظام الكتابى الجديد وسيجهلون القديم جهلا تاما ، وإلا فما الداعى الذى يدعو إلى تعليمهم نظامين كتابيين للغة واحدة ! . وسوف يتعلم البالغون من أعضاء هذا المجتمع ذلك النظام الجديد ويضيفونه إلى ما تعلموا من النظام القديم وسوف يكون هدفهم من تعلم النظام الجديد أرضاء حاجات الحياة على حين يكون احتفاظهم بالنظام القديم إرضاء لموقف نفسى . وستذكر عنوانك لصديقك حينئذ فيبدأ فى كتابته بالهجاء الجديد ويتعثر قليلا فى هذه الكتابة التى تعلمها فى رجولته وستراه حينئذ ينتكس بشىء من الضيق إلى النظام القديم الذى ألفه منذ طفولته يكتب به العنوان بالسرعة التى تعودها من قبل .

أما المسنون فسوف يثورون فيما بينهم وبين أنفسهم على هذه البدعة ويرفضون رفضا باتا أن يتعلموها أو يعملوا بها . فإذا كان الأمر كذلك أفلست ترى فى هذا الموقف النفسى والاجتماعى عرضا من أعراض الاضطراب مهما كان مؤقتا ؟ وما أغنانا فى هذه الفترة من حياتنا القومية عن إضافة اضطراب جديد إلى ما نحس به من اضطرابات يعود كلها إلى النزاع الذى فى نفوسنا بين الرغبة فى الاتجاه إلى الحضارة العالمية الحديثة والرغبة فى الاحتفاظ بطرق الحياة الإسلامية التقليدية .

ولئن أجرينا إصلاحا أبجديا وفى المكتبة العربية مخطوطات عظيمة العدد فسيضيف ذلك صعوبة جديدة إلى صعوبات نشر المخطوطات وتحقيقها لأن ذلك النوع من النشاط سيصبح لا يقبل عليه إلا قلة بالنسبة لعدد المحققين الآن ، لأن الذى يندب نفسه لتحقيق أية مخطوطة فى الوقت الحاضر إنما يقرأ النص ذا الخط الردىء لتعوده بعد المران الطويل على الطرق التى يمكن أن يلتوى بها الخط العربى ومن ثم يجد سهولة نسبية فى قراءة النص . فإذا نشأ هذا المحقق على خط عربى غير الخط السائد الآن فسيضيف ذلك صعوبة إلى عملية تحقيق النص . وإن مثل هذه الصعوبة لا بد أن يصرف بعض الراغبين

(البقية على صفحة ٤٥٤)

المصطلحات العروضية

للدكتور عبد الله درويش

لقد أوردنا فى كتابنا « دراسات فى العروض والقافية » أنه من الممكن تعديل بعض المصطلحات العروضية [1] ونضيف هنا أن هذه المصطلحات التى استقر العرف عليها يمكن أن تعدل إذا ما نظرنا فى الأساس الذى استنبط منه الخليل بحوره ، وهو الدوائر العروضية .

فهذه الدوائر [2] التى انتظمت جميع بحور الشعر اعتمدت على الأوتاد والأسباب وعلى ترتيبها ترتيبا معينا ، فكل ترتيب بوضع خاص ينتج دائرة خاصة .

ولنا أن نتساءل هل رتبت المقاطع أى الأسباب والأوتاد على أساس منطقى معين فتكونت منها الدوائر ؟ لقد حاولت جهد المستطاع أن أكشف عن ذلك ولكنى لم أستطع .

وإذا حللنا هذه الدوائر تحليلا علميا وصفيا فإننا نجد أن كل دائرة إنما رتبت فيها الأسباب والأوتاد على أساس بحر واحد معين ، ثم استخرج من هذه الدوائر المعينة عدد آخر من البحور .

وهذا ما دعانا إلى أن نسمى الدوائر باسم أول بحر فيها أو باسم البحر الذى اتخذت تفاعيله ، أى أسبابه وأوتاده ، أساسا للدائرة نفسها .

وعلى ذلك أصبحت مصطلحات الدوائر كالآتى :

١ ــ دائرة المختلف ــ دائرة الطويل
٢ ــ دائرة المؤتلف ــ دائرة الوافر
٣ ــ دائرة المجتلب ــ دائرة الهزج
٤ ــ دائرة المشتبه ــ دائرة الرمل
٥ ــ دائرة المتفق ــ دائرة المتقارب

أما البحور التى تستخرج من كل دائرة فهى نفس البحور التى استخرجها الخليل من الدوائر .

وتعديلنا لاسم الدائرة إنما وضعناه بناء على الواقع وهو أن البحر الأساسى فى كل دائرة قد استنبط منه إخوته من البحور التى تشترك معه فى الأسباب والأوتاد .

وينبغى التنبيه إلى حقيقة هامة وهى أننا بذلك لا ننال من عبقرية الخليل فى شىء بل إننا نقف لها إجلالا وإكبارا ، وما كان الخليل ليحتم على الأجيال من بعده أن تقف

---

(١) المقدمة ص ١١ .
(٢) دراسات فى العروض ص ١٥٤ وما بعدها .

جامدة عند آرائه واستنتاجاته ، والمسائل العلمية تتضح وتنمو بالتعليق عليها أو الإضافة إليها أوالتعديل فى مصطلحاتها . وإننا نحاول بهذا البحث المتواضع أن نستهدى بقبس الخليل فيما وضعه من مسائل لا أن نقف جامدين عندها .

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن نظام الدوائر قد أدى إلى الأمور الآتية :

١ ــ النص على استعمال بعض البحور مجزوءة فقط لأنه لم يرد منها قصائد على وزنها الكامل الذى تقتضيه الدائرة . مثال ذلك : الهزج ـ المضارع ـ المقتضب ـ المجتث .

٢ ــ بعض التفاعيل وإن تشابهت فى النطق . تكتب بصور مختلفة مثل : مستفعلن ومستفع لن ، وكذلك فاعلاتن ، وفاع لاتن .

٣ ــ بعض البحور لم تستعمل أعاريضه أو أضربه على الصورة الأساسية فى الدائرة مثل الوافر ، السريع .

٤ ــ ويتبع ذلك كثرة مصطلحات الزحاف والعلل .

فإذا عرفنا أن الدوائر ما هى إلا وسيلة لحصر البحور فقط فهلا يمكننا أن نستغنى عنها إذا ما عرفنا حصر البحور بطريقة أخرى ؟ .

إن عدد البحور العربية المستعملة قليل ويمكن معرفته دون الحاجة لمعرفة الدوائر . بل إن كثيراً ممن يعرفون بحور العروض لا يعرفون هذه الدوائر .

إذن ماذا يحدث لو لم نربط بين الدوائر والبحور ؟ .

لو فصلنا العلاقة بين الدوائر وبحور الشعر لتوصلنا إلى اختصار بعض المصطلحات العروضية . ولوفرنا بعض الجهد والوقت على طلاب العروض والباحثين فيه .

وقد ذكرنا آنفا أن ربط البحور بالدوائر قد ترتب عليه بعض نتائج ذكرنا أهمها وعلى هذا لو تغاضينا عن نظام الدوائر لأمكن أن نصل إلى النتائج الآتية :

أولا ــ الاستغناء عن التفعيلتين ذواتى الوتد المفروق وهما مستفع لن ، فاع لاتن اكتفاء بالتفعيلتين مستفعلن وفاعلاتن .

ثانياً ــ البحور التى لم ترد أعاريضها أو أضربها صحيحة يمكن الاستغناء عن ذكر مصطلح العلة فى العروض أو الضرب . فمثلا الوافر يفرض نظام الدوائر أن كلا من عروضه وضربه مفاعلتن ثم يدخلها القطف الذى هو اجتماع العصب مع الحذف فتصبح « فعولن » وعلى ذلك يمكننا أن نقول بادئ ذى بدء : إن بحر الوافر وزنه .

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وكذلك بحر السريع الذى يفرض نظام الدوائر وزنه على هذا الوضع :

مستفعلن مستفعلن مفعولات

مستفعلن مستفعلن مفعولات

فكل من عروضه وضربه لم تستعمل صحيحة بل يدخلها التغيير فيحذف رابعها وسابعها وبعبارة أخرى يدخلها الطى مع الكسف فتصبح مفعلا وتنقل إلى فاعلن .

ونلاحظ بمراجعتنا لأعاريض السريع وأضربه[1] أن السريع له أكثر من عروض ومن ضرب بخلاف الوافر الذى له عروض واحد ولها ضرب واحد كذلك . وتعدد أعاريض السريع وأضربه يمكن أن يبنى على أساس « فاعلن » فنقول : إنه أحيانا يكون « فاعلن » وأحيانا « فاعلان » وأحيانا فعلن بتحريك العين وسكونها .

ويمكن تطبيق هذا أيضاً على بحر البسيط الذى يعتبر أصله بحسب نظام الدوائر .

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ولكن عروضه وضربه لا يستعملان صحيحين بل يغيران إلى فعل أو فاعل .

ويمكننا حين نتخلص من الدوائر أن نعتبر أن عروض هذا البحر تكون فعلن بتحريك العين وضربها إما مثلها وإما فعلن بإسكان العين .

وهكذا يمكننا أن نطبق هذا على كل بحر لم يستعمل فيه عروضه أو أضربه على الصورة التى افترضتها الدوائر فنتخلص من بعض المصطلحات العروضية التى تؤدى كثرتها إلى صعوبة علم العروض ودقائقه على طلاب موسيقى الشعر العربى . على الأقل عند من يتعلم العروض ليعرف أوزان الشعر . أما البحث العلمى فيتطلب الإحاطة بكل ما فيه من مصطلحات ثم إذا عرض للباحث أن يختصر أو يزيد فلا مانع من قبول ذلك متى أقام عليه الدليل ، ومتى ما كان له غرض يهدف إليه .

واختصار الأصل الافتراضى أو التخيلى للتفعيلة لا يضر العروض العربى فى شىء بل بالعكس يخدم هذا العلم حيث يخفف من صعوبته التى جعلته أشبه شىء - « باللوغاريتمات » ولكن ينبغى أن يكون كل تعديل مبنيا على أساس علمى . .

وأساسنا هنا هو المنهج الوصفى Descriptive Approach وهو ما استعملته المدرسة اللغوية الحديثة فى فروع مستويات البحث اللغوى .

ثالثاً — يمكننا أن نربط الزحاف بالبحر لا بالتفعيلة فنجعل زحاف البسيط

---

(١) دراسات فى العروض بحر السريع .

الخبن والطى . منفردين أو مجتمعين فى مستفعلن . ونجعل زحاف الخفيف مثلا الخبن فى مستفعلن دون جواز طيها ، مع ذكر زحاف فاعلن فى حشو البسيط وفاعلاتن فى حشو الخفيف .

وعلى هذا لا داعى لكتابة مستفعلن فى الخفيف بوتد مفروق وكذلك فى المجتث .

وكذلك يمكننا أن نجعل التذييل والتسبيغ شيئا واحدا فنكتفى باصطلاح واحد منهما ، صحيح أن أحدهما داخل على تفعيلة آخرها وتد مجموع والثانى داخل على تفعيلة آخرها سبب خفيف . ولكن هذه التفرقة لا تنافى توحيد التسمية . فيكفينا أن نقول: إن متفاعلن قد تصبح متفاعلان ، وإن فاعلاتن قد تصبح فاعلاتان . وسوف يسمح هذا باطراد القاعدة وعدم اضطرابها. والذى حمل العروضيين على التفرقة بينهما أنهم ربطوا الزحاف بالتفعيلة ففرقوا بين التفعيلة التى آخرها سبب ضعيف وبين التفعيلة التى آخرها وتد مجموع . ومثل هذا يقال فى القصر والقطع . ولكن إذا ربطنا الزحاف بالبحر نفسه لانحتاج لهذه التفرقة(١).

رابعا : إن بحور الهزج أو المجتث أو المضارع أو المقتضب يتكون كل منها من أربع تفعيلات فقط كل اثنتين فى شطر .

ولكن العروضيين افترضوا أن أصل كل منها ست تفعيلات بناء على نظام الدوائر ، ولذا قالوا : إن مثل هذه الأبحر يقال له مجزوء وجوبا .

ولكن إذا تخلينا عن فكرة ربط البحور بالدوائر أمكننا أن نقول : إن موسيقى الشعر العربى تستعمل بعض البحور ثمانية التفاعيل دائما وبعضها سداسية التفاعيل دائما . وبعضها رباعية التفاعيل دائما . وأحيانا تستعمل للثمانى والسداسى صورة أخرى مختصرة فتجعل الأولى ست تفاعيل والثانية أربع تفاعيل ، أو بعبارة أخرى نقصر اصطلاح « الجزء » على ما استعمل منه أصله التام . أو بتعبير آخر نبتعد عن الأصل الخيالى الافتراضى . ونظل فى دائرة ما ورد به الشعر فعلا وهو ما تقتضيه طبيعة المنهج الوصفى .

خامسا : يمكننا أن نتوسع خطوة أخرى فى تعريف المجزوء فلا نكتفى كما يقول العروضيون بأنه ما حذف منه عروضه وضربه بل نقول : إنه يشمل ذلك ، ويشمل أيضا ما حذف منه صدر كل من شطريه أى التفعيلة الأولى من كل منهما وسوف لا يؤدى هذا إلى فرق عملى فى مثل الكامل أو الرجز لكنه يؤدى إلى فرق عملى فى مثل الخفيف الذى أصل شطره .

(١) دراسات فى العروض ص١٤٦ ومابعدها .

فاعلاتن مستفعلن [1] فاعلاتن .

فيكون له مجزوءان :

الأول ما يعرفه العروضيون بمجزوء الخفيف وهو :

فاعلاتن مستفعلن

فاعلاتن مستفعلن مفعولات مستفعلن

والمجزوء الثانى يكون على هذه الصورة .

مستفعلن فاعلاتن

مستفعلن فاعلاتن

وهو ما يعرفه العروضيون باسم المجتث

وإذا أضفنا إلى ذلك التخلص من الدوائر أمكننا أن نستغنى عن كلمة المجتث فى العروض اكتفاء بإدماجه فى مجزوء الخفيف بعد تعديل تعريف المجزوء .

ومثل هذا يقال فى المنسرح الذى شطره .

مستفعلن مفعولات مستفعلن .

فله مجزوءان . الأول ما عرفه العروضيون باسم مجزوء المنسرح وهو :

مستفعلن مفعولات

مستفعلن مفعولات

والمجزوء الثانى يكون على هذه الصورة .

مفعولات مستفعلن

مفعولات مستفعلن

وهو ما يعرفه العروضيون باسم المقتضب

وبهذا نكون قد اختصرنا أسماء البحور

(١) آثرنا عدم كتابة مستفع لن .

وبدهى أن ذلك لا يعنى إهمال الشعر العربى الذى على وزن :

مستفعلن فاعلاتن

مستفعلن فاعلاتن

أو على وزن .

مفعولات مستفعلن

مفعولات مستفعلن

أى ما يعرفه العروضيون باسم المجتث أو المقتضب ، بل نكون قد أدمجنا تبعا لهذا المنهج هذين البحرين فى بحرين آخرين هما الخفيف والمنسرح .

وبعد :

فهذه خطوط عريضة لبعض الاصطلاحات العروضية التى يمكن تعديلها . والتى أوحى بفكرتها تطبيق المنهج الوصفى اللغوى على قواعد علم العروض . وعلى أساسها وأساس المشروع الذى وضعه أستاذنا الدكتور ابراهيم أنيس [1] يمكن للباحث أن يضع مشروعا آخر شاملا لتفصيلات البحور ولزحافاتها من جهة وللمصطحات العروضية بصفة عامة ، ولعل المستقبل كفيل بتحقيق ذلك .

الدكتور عبد الله درويش

(١) كتاب موسيقى الشعر للدكتور ابراهيم أنيس فصل « مولد مشروع » .

الشيخ عبد الجواد رمضان

للأستاذ على العمارى

تحت هذا العنوان كتب أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان فصولا رائعة فى مجلة الأزهر عن شعراء أزهريين كان منهم المشايخ حسن القاياتى وأحمد الزين ومحمد الأسمر.

وقد رأيت أن أعيد فتح هذا الباب، حتى يتسنى أن نوفى النابغين من شعرائنا حقهم، ونرفع عنهم بعض الظلم الذى لحقهم فى حياتهم، وليس أولى من مجلة الأزهر أن تكون سجلا تخلد فيه مآثر هؤلاء.

والإنصاف يقتضينى وأنا أعيد فتح هذا الباب، وأستأنف الحديث عن شعراء الأزهر، أن أبدأ بصاحب الفضل فى هذا المجال فأترجم له، وأعرف به، وأسوق طائفة من آرائه وشعره، ولعلى بذلك أؤدى بعض الدين، الذى قلدنيه عنق كل متخرج فى كلية اللغة العربية، أؤديه بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته

وقبل أن أمضى إلى الغرض أعرض لظاهرة لاحظها كثير من الراصدين للحركة الثقافية فى العصر الحاضر، وعلل لها بعض كتابنا ومفكرينا، هذه الظاهرة هى قلة النابهين من الشعراء بين الأزهريين بالنسبة إلى عدد المتخرجين فيه.

وقد علل الأستاذ العقاد هذه الظاهرة فى كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم) بأن القدوة لشعراء الأزهر - فى هذا المذهب - ما يروى عن الإمام الشافعى، إذ يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من لبيد

ويرى غيره أن رسالة الأزهريين دينية خلقية، فلم يكن من الجائز فى نظرهم أن يسرفوا فى قول الشعر هجاء وملاحاة، أو يمعنوا فى قرضه خوضا فى عرض أو تأريثا لعداوة، ورأوا من كرامة العلماء أن يعفوا عن المبالغة فى المدح والإطراء، والتدلى إلى الكذب، والتجنى على الناس... والشعر فى رأى الشاعر الذى لا يتزمت ولا يتعفف، خيال وتصوير وافتنان، لا تحرج فيه ولا تصون.

ويرى فريق ثالث أن الأزهرى حائر بين حياته الواقعية وحياته المثالية، فهو مثلا له عواطف وانفعالات ونزوات، فلو رغب أن يعبر عنها رأى من حوله نظرة الناس إليه فيمسك.

وأدق تعليل رأيته فى ذلك هو ما قاله صاحب الترجمة، إن الموهبة الشعرية - عند

الأزهرى - يساورها فيقهرها ما ركب فى طبيعة دراسته من النهج العلمى القوى العميق المعلل المحدود بالاصطلاحات الفقهية ، والأدلة العقلية ، والأساليب الدقيقة المحكمة وتغلغل هذا النهج فى شعاب تفكيرهم واتجاهات بحوثهم ، وإنما يخدم المواهب الشعرية ويربيها ، ويبلغ بها إلى غاياتها من الجمال الفنى ، الثقافات الأدبية التى تعم ولا تخص ، وتلم ولا تتعمق ، وتجمل ولا تفصل ، وتتوخى المقدمات الخطابية لتنتقل منها إلى الأقيسة الشعرية التى تحلق فى آفاق الخيال ، وترصع سماء الأدب ، وتبرز الجمال فى صور بهيجة رائعة مونقة ، تروق المشاعر وتوقظ العواطف ، وتطرب النفوس ، متهدية إلى سحرها وفتنتها وخلودها ، بفيوض الأذواق الشفافة الذواقة ،لا بأوامر العقول الصارمة » .

على أننا نستطيع أن نقول: إن لكل سبب من هذه الأسباب ضحاياه من وجهة نظر الفن الشعرى ، وقد تكون هذه الأسباب مجتمعة هى السر فى هذه الظاهرة التى حرمت الأدب من عبقريات كثيرة كان يمكن أن تخلف لنا الروائع .

فى أوائل هذا القرن خرج من بلده (شدموه) من أعمال الفيوم شاب صغير ناحل الجسم ، ضعيف البنية ، كما وصفته - فيما بعد - بعض الصحف، فتمثلت بقول بشار:

إن فى بردى جسما ناحلا
لو توكأت عليه لا نهدم

خرج إلى القاهرة ليطلب العلم فى الأزهر ، ثم عاد منذ عام : إلى بلدته نفسها ، ليرقد فى ثراها رقدته الأخيرة ، - وكان كثير الحنين إليها - . وفى هذه الحقبة الطويلة التى قضاها فى خدمة العلم والدين والأدب ، طالباً فى الأزهر ، ومدرساً فى الأوقاف الملكية ، ومدرساً فى معهد القاهرة ، وأستاذاً فى كلية اللغة العربية ، كان الصديق الوفى لأصدقائه ، والأب الرحيم لأبنائه ، واليد الحانية العاطفة على من تنكر لهم الزمن من معارفه .

كان أستاذاً يتسم بأصالة الرأى ، وسماحة الخلق ، وعفة النفس ، لم تثنه دنية من الدنايا عن رأى ارتآه ، ولم يخدعه أمل من الآمال عن موقف عزة وكرامة ، ولم يتخل فى يوم من أيام حياته عن فضيلة التواضع .

كان كما يتحدث عن نفسه (إنسانا فى طبيعته العزوف عن الزحام ، ولو أنه على الحياة) . وهذا يفسر لنا سر إحجامه عن نشر كتاب أو ديوان شعر ، إلا ما تطلبه عمله ، أستاذاً فى كلية اللغة .

عرفته منذ أكثر من عشرين سنة كاتباً فى الصحف المصرية ، يشارك فى الأدب والنقد، ويناضل عن مكارم الأخلاق ، ثم تتلمذت عليه . فرأيت العلم الغزير ، والعقل الكبير، والخلق الفاضل .

كان الشيخ فى مقدمة الأزهريين الذين يعلنون عن رأيهم بصراحة، لا التواء فيها ولا غموض، ويدافعون عنه بحجج لا مخادعة فيها ولا تمويه، وينازلون خصومهم فى أدب مقال، ونصاعة بيان. وقد يلجأ إلى النكتة اللاذعة أحيانا.

ولم يدع يوما أنه مجدد، وإن أعلن أنه يرحب بالتجديد، فيقول فى صراحة: «ولقد نشطت حركة النقد فى هذه الأيام نشاطاً بارزاً، واستفاضت فيه البحوث، واتسع مجال النشر فى المؤلفات والمجلات والصحف اليومية وأخذ اتجاهه فى الأعم الأغلب على ضوء من الثقافات الغربية وآدابها وأدبائها، وبأقلام مجددة ثائرة فى أغلب الأحيان، وهى حركة نلقاها - نحن المحافظين - كما تعودنا أن نلقى كل علم وفن، بصدر رحب، وتعطش إلى المعرفة وشوق إلى الإفادة».

«بيد أن كل أولئك لا يلهينا عن أدبنا الخالد ما خلد القرآن الكريم، ولا نرضى أن ندفع من التنكر له أو الانحراف عن سننه ومنهاجه ثمناً لما نغنمه من مذاهب النقد الحديث، فنسكت على هضيمة. أو نقام معه على ضيم».

ويقول فى موضع آخر: «إننى - على الرغم من رجعيتى - لا أبغض التجديد ولا أنعى على المجددين، ولا أثبط من هممهم، وإنما أريد أن يكون للتجديد حدود تعينه ورسوم تضبطه، وعلامات ترشد إليه حتى يعم، وينفع ويعيش، فأما التجديد المرادف للفوضى فلا يبعد الله غيره».

ويشعر بعد وفاة صديقه وصنوه الشاعر محمد الأسمر أن حركة التجديد قد طمت وعمت وأن أمثاله من المحافظين قد قلوا، فيرسل هذه النغمات الحزينة الباكية:

لا تأس، هذا عالم محدث
مبالغ فى التيه، مستكبر
ضاق، فلم يبق لنا موضع
فيه، ولم يبق لنا معشر
أحياؤنا فيه كأمواتنا
ليس لهم فى الفن ما يؤثر
«سلامة»[1] يحقر آدابنا
ولا يبى من شعرنا يسخر
هذا الغليظ الأعجمى الذى
بكل عرف فاضل يكفر
أليس فى الموت لنا راحة
من موقف فى الهون يستنكر
ينالنا البغى ولا دافع
ويشتفى منا، ولا ثأر

ولم يكن يرى أن الأزهر متخلف - كما يشيع كثيرون - بل يرى أن حركة التجديد والإصلاح فى الأزهر إن بدت بطيئة جداً فليس ذلك لأنها ضعيفة بل لأن الحركة إنما تبدو بوضوح فيما خف من الأجسام، فأما

(١) يريد الأستاذ سلامة موسى الكاتب الصحفى المعروف.

ذلك المحيط الزاخر فإن حركته وإن كانت أثبت وأرسخ هى فى مرأى العين دقيقة خفية ، وأسرع عقارب الساعة حركة هو عقرب الثوانى كما أن أثبت الخطا خطوة المتريث المتأنى .

على أن الأزهر لو أراد الحركة السريعة ما استطاعها ؛ ذلك بأن مجده منوط بالمحافظة على قديم الإسلام فالتجديد الثائر فيه يقلب حقيقته ، وإنما ينجح فيه التطعيم الثقافى التدريجى الذى يعمل فى التقريب بين الجديد والقديم ، ويوائم بين عناصرها فى أناة ورفق

وكم نود — بجدع الأنف — أن تنقح الكتب ، وتهذب أساليب الدراسة ، بيد أننا نعد من أشنع ضروب الإفلاس أن نترك ما فى أيدينا من قديمنا قبل أن يحصل فيها ما يغنى عنها من الجديد .

أما آراؤه فى الأدب ، فكثيرة ، وهو لا يوافق بعض النقاد فى أن الشعر العربى قد وقف بعد شوقى وحافظ ، وأضرابهما ، بل يرى أنه ما يزال بين بنى العروبة شعراء لا يدافعون عن حياض الشعر ، ولعل الأدنى إلى الصواب — كما يرى — أن الذى انقضى إنما هو عهد فحول الشعراء .

وعنده أن أهم الأسباب التى وقفت بالشعر عجز الخيال عن التحليق فى أفق أرفع من الآفاق التى اخترقتها الحقائق العلمية فى هذا العصر ، ويعد العقاد وبيرم التونسى ، أخل شاعرين فى مصر ، لولا أن أولهما انصرف إلى الكتابة والتأليف فوهبهما صفو عنايته ، وفورة جهوده وأبقى للشعر فى نفسه ركناً مهجوراً ، وأن الآخر استبد به الزجل الذى يجيده ببراعة لا تجارى .

ويناقش الذين يجعلون إيليا أبا ماضى شاعرا فحلا ، قائلين : إن شعره يعد نموذجا كاملا للشعر الجديد يحوى عناصره الفنية جميعا ، فلا ينكر أن أبا ماضى شاعر موهوب يمضى شعره بحظ عظيم من الرقة والعذوبة ، ولكنه يعود فيرميه بأن الجزالة التى هى ملاك الشعر العربى . وقوام روعته وصولته تعوز هذا الشاعر ، ويرى أن شعر أبى ماضى لا يعدو — على أسمى حالاته — طبقة النوع النازل من شعر البحترى .

وعنده أن إمام النقاد فى الشرق العربى هو الدكتور طه حسين ، وسر ذلك — فيما يرى — أن الدكتور لم يدرس الأدب الغربى إلا بعد أن قتل الأدب العربى بحثا ونفذ إلى أسراره من جميع شعابها ومداخلها .

ويعزو إلى الصحافة المشاركة فى كثرة الشعر التافه وشيوعه بما تسديه إلى من لا يحسنون الشعر ، فكل من استطاع أن يركب كلمات توازن تفاعيل بحر من بحور الشعر ، وجد مجلة أو صحيفة تنشر له ، مع فقدان الموهبة الشعرية ، أو ضعفها ضعفا لا يستقيم عليه شعر .

وأستاذنا الشيخ عبد الجواد شاعر مطبوع له شعر جيد من الشعر الجزل الذى يذكرنا بشعر البحترى والشريف الرضى ، ليس فيه كلمة نابية فى موضعها ، أو زائدة على المعنى ، وقد شرف كثيراً من شعره بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول :

وقفت على أبى الزهراء فنى
كأنى حين أمدحـــه أغنى
ليرويها لسان الدهر عنى
فرادى ـ كالقلائد ـ أو تؤاما

ويقول فى موشحة جميلة رائعة يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إعطف على بائس أديب
مروع فى الحياة عان
قل لى ـ إذا خفت من ذنوبى ـ
لا تبتئس ، أنت فى ضمانى !

وقد لاحظت أنه كان كثير الحنين إلى أيامه الأولى ، وقلما تأتى مناسبة لا يترحم فيها على ما مضى من أيام الشباب ، وكلما ذكرها ، أتبع بقوله : (وما أوجع الذكرى) .

ولما تقدمت به السن بكى الشباب بدمع هتون ، من ذلك قوله فى مطلع الموشحة التى أشرت إليها آنفا :

أف لهـــذا المشيب يمحو
أجمل ما خطه الشباب
يغنى الفتى غفـوة ويصحو
إذا زمان الصبا سراب
روض زهـا نبته وصبح
يعقبه الجـدب والضباب
يا لك من طارق غريب
عن الهوى والصبا لوانى
أحيـا به عيشـة الحـريب
بـلا خيـال ، ولا أمانى
يا لهف نفسى على شباب
من المنى . والحيـاة أحـلى
الظرف، والقصف ، والتصابى
يوم تولى الشبـاب ولى
عوجو على ربعـه ركابى
أحط من ذى الهموم ثقـلا
أسبح فى أفقه الرحيب
وأنشق الترب فى المغانى
وأمـلأ الجو بالنحيب
أسى وحزنا على زمانى

وكان وفيا لأصدقائه ، يفارقون هذه الدار فيبكيهم أحر بكاء . وآخر ما قرأناه له فى الرثاء قصيدته الرائعة ، فى شاعر الأزهر ، محمد الأسمر ، وفى هذه القصيدة يذكر أيامه التى كانت تزخر بالصفاء .

يا صاحبى ؛ معـذرة ؛ إننى
غادرنى خطبـك لا أشعـر !
ذكرنى فقـدك أيامنا
تلك اللواتى بالصفا تزخر
رعى الرفاق الغرّ روض المنى
فيها ، وحيا الصبا الأنضر

يدور فيما بيننا عندها
ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها
إلا حديثا قلما يُذكر

ولعله يشير بذلك إلى الأيام التى كان يجتمع فيها نخبة من الشعراء ، فى قهوة (عم حسين بشارع محمد على) هم : أحمد الزين والهراوى والأسمر ورمضان وغيرهم من الشعراء ، وكثيرا ما كان يذكر هذه الأيام ، ثم ينشد :

لله أيامنا المواضى
لو كان ماض لنا يعود

ثم يختم قصيدته فى الأسمر بهذين البيتين الرائعين :

ثم هانئا ، إنا على موعد
يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدْنك الله من راحل
بالظرف والإحسان يا أسمرا

وقد جاء الموعد ولم يطل ، ولحق شاعر الأزهر الشيخ الوقور ، بشاعره البلبل الغريد. رحم الله الشاعرين الكبيرين ، وأجزل لهما المثوبة ؟

على العمارى

(بقية المنشور على صفحة ٤٤٣)

فى التحقيق . أضف إلى ذلك أن أوضح ما فى تحقيق المخطوطة من جهد إنما يتجه إلى ادعاء شكل معين لكل كلمة فى هذه المخطوطة فى ضوء نسخها المتعددة التى عثر عليها المحقق فلأن تكون الطباعة بعد ذلك بصورة الخط الذى فى هذه المخطوطة خير ألف مرة من أن تكون النسخة المطبوعة مكتوبة بنظام هجائى مختلف عن النظام الهجائى الذى فى المخطوطة.

تلك إذن هى العقبات التى تقف دون إصلاح الخط العربى . وإن أدنى تغيير فى هذا الخط لابد أن يستتبع كل الذى شرحناه من مصاعب وليست هذه العقبات هى كل ما يعترض طريق إصلاح الخط سواء أكان ذلك فى الكتابة أم الطباعة . ولست أدرى ما الذى جعل المصلحين يتجهون إلى إصلاح الطباعة دون الكتابة أفكان ذلك ليسر هذا النوع من الإصلاح بالنسبة لعسر الإصلاح الآخر ، أم كان لأن المخاطب هنا بالإصلاح عدد من المطابع والمخاطب به هناك عديد من ملايين العرب ؟ لست أدرى ولكن أى إصلاح كما قلت لا بد أن يؤدى إلى ما ذكرته من المصاعب . وعلى المصلحين أن يفكروا فى التغلب عليها .

دكتور
تمام حسان
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

الشّبابُ العَربىّ والحياة المعاصِرَة

للأستاذ محمود الشرقاوى

لا أعتقد أن شبابا بأ لقى أو يلقى من الاضطراب عنها . عن عقيدة أو عن مجاراة ومداراة ، والبلبلة الفكرية والنفسية والثقافية مثل ما يلقى شبابنا العربى الآن .

وقد لقينا نحن فى السنوات الثلاثين الماضية شيئاً غير قليل من ذلك ، ولكنه كان أيسر وقعا على أفكارنا وأهون محملا على نفوسنا من هذا الذى يلقاه شبابنا المعاصر .

تتفتح عقول الشباب العربى على تيارات متباينة ، بل متعارضة ، من التفكير والتعليم والثقافة ، كما تتفتح نفوسهم كذلك على إيحاءات ومناهج متعارضة متناقضة للسلوك والعمل . تفكيرنا التقليدى فى التعليم والثقافة قائم على تقديس الماضى والتزام حدوده ، وعدم الخروج عنه إلا بقدر ، أو عدم الخروج عنه إطلاقا . وهذا القدر نفسه يحدده بعض أصحاب المذهب التقليدى أنفسهم ، وقد لا يرون الخروج عن شىء منه أبدا ؛ لأنهم لا يزالون يعتقدون صحة القول القديم : « ما ترك الأول للآخر شيئا » .

وهذه دعوة لها وزنها وخطرها والمدافعون وتقية ومنفعة ، كما هو الشأن فى كل مجتمع مماثل .

ولكن مدارسنا ومعاهدنا وصحفنا وإذاعاتنا وكتبنا وتفكيرنا ، كثير منها ومنهم يدعو شبابنا دعوة جهيرة خلابة قوية مؤثرة لأن يتركوا قديم أوطانهم ويقبلوا على الثقافة المعاصرة - كما يراها الغربيون - فهى التى سوّدتهم وحققت لهم القوة والسيطرة على الأرض ، وجعلت غيرهم من البلاد والناس تبعا لهم ، أو دونهم فى المنزلة والقوة والثروة . وأصحاب هذه الدعوة يقولون : إن ثقافتنا التقليدية نفسها تدعونا إلى ذلك ، ويعتقدون صدق مقالة الجاحظ من قبل : « إذا سمعت رجلا يقول : ما ترك الأول للآخر شيئاً . فاعلم أنه لا يريد أن يفلح » .

وأصحاب المذهب التقليدى ينادون شبابنا أن يلتزموا فى آدابهم وسلوكهم وعواطفهم ما كان يلتزمه آباؤهم وأجدادهم من التحفظ والتصون والتحرز ، فذلك أكرم لهم وأليق

بحياتهم الشرقية وآدابهم وتقاليد أوطانهم ، ومن قبل ذلك دينهم .

والداعون للحياة الجديدة ، أو الحياة المعاصرة ، بمقاييسها وقيمها — يدعون الشباب لأن يصبغوا عواطفهم وأخلاقهم ، ويقيموا آداب سلوكهم على القواعد التى يسير عليها ويلتزمها أهل السيادة والقوة فى هذا العصر . فذلك أقوم لحياتهم وأبهج لنفوسهم وأسعد لأرواحهم وأكثر نفعا لهم فى الحياة وأجدى إفادة لتربية ذواتهم ونماء مواهبهم ومعارفهم ، فهو يحقق لهم متعة الحياة وتربية الشخصية ، ويسلكهم فى سلك العالم المعاصر المتحضر .

هاتان دعوتان متعارضتان تريد كل واحدة منهما أن تسيطر على الشباب ليقتنع بها ويؤمن بخيرها وجدواها فيتبعها فى التفكير والثقافة ويسير على نهجها فى الآداب والسلوك والعمل. والدعوة الأولى — دعوة المحافظة والالتزام تساندها قوة من سواد الرأى العام وكثرته ، ومعاهد الثقافة التقليدية فى الشرق ، وبعض القوى الرسمية أو كثير منها .

والدعوة الثانية ـ دعوة التجديد والانطلاق تساندها فئة قد تكون قليلة العدد ـ ولكنها بمكانتها وثقافتها ، وقوتها ، بالغة الأثر . يعززها كثير من نظمنا العامة فى الحكم ، ومناهجنا فى التعليم ، ومؤثرات أخرى غير هينة ولا ضعيفة الأثر ، من الصحافة والكتب والإذاعة والسينما ، والسفر والخلطة ، كما تعززها وتؤازرها مظاهر الحياة الجديدة ، بما فى الجديد من إغراء وفتنة وخلابة وتأثير وسطوة . وهى تلك القاعدة الصادقة التى قررها عالم المغرب العظيم ، ابن خلدون : قاعدة أن كل ضعيف مغلوب . مغرم بتقليد القوى الغالب . بقوة المتابعة التى ينساق إليها الناس وراء القوى الظاهر المسيطر .

وشبابنا حائر الفكر مضطرب العاطفة موزع القلب ممزق النفس بين هذه الدعوة وتلك .

فكيف نريد من شبابنا أن يكون موقفه من هاتين الدعوتين ، أو القوتين . . ؟

أعتقد أن خير ما ندعو إليه شبابنا العربى هو أن يتخذ موقف الشجاعة أمام كلتا الدعوتين ، أو القوتين . الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة . عليه أن يكون شجاع القلب متفتح الذهن أمام دعوة التقليد والمحافظة والمتابعة ، وأن يخضع هذه التقاليد لعملية « فرز » وتمحيص ، وأن ينقدها نقد الصيرفى الفاحص المتشدد ، فيقبل منها مالا يتعارض مع أهداف الحياة المفيدة القوية المنتجة التى تواثم روح عصره ولا تعوقه عن السير مع شباب العالم الذى يقتحم ويسود ويسعد . يُبقى هذه التقاليد التى لا تعوقه

ولا تصده ، والتى تربطه بوطنه وبيئته بل يفخر بهذه التقاليد كمظهر من مظاهر العراقة فى التاريخ ، والأصالة فى الحياة البشرية . ويرفض من هذه التقاليد ما يرى أنه يؤخره ويعوقه ويحول بينه وبين مسايرة الحياة المعاصرة بما فيها من قوة وسطوة ومتاع مباح للنفس وبهجة للروح وفتوة للجسد . ودينا ، فى فهمه القويم ، وثقافتنا التقليدية نفسها يدعوان إلى ذلك : يقول أثرنا القديم : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ولن تستطيع أن تعمل للدنيا كأنك تعيشها أبدا ، إلا إذا سلكت فيها مسلك الأقوياء السعداء الذين تضمن لهم قوتهم وسعادتهم أكبر قسط من ذخيرة الحياة والبقاء والسيادة . وليس البقاء هو طول العمر وامتداد الأجل ، فالحياة تقاس بعرضها وعمقها ونوعها وقيمتها ، لا بطولها وامتدادها . فدعوتنا لأن نعمل للحياة كأننا نعيشها أبدا ، هى فى جوهرها وصميمها دعوة لأن نسلك سبيل الأقوياء الذين يسيطرون على الحياة ويتحكمون فيها ويسخرونها .

على شبابنا أن يكون شجاعاً بصيراً أمام ما يسمع ويرى من آراء وأشياء تقدمها له الحياة المعاصرة . وأن يلتزم فى ذلك أيضا تلك الشجاعة القائمة على الفهم والإدراك والبصيرة ، فينقدها بعين نافذة واعية متجردة ثم يقبل منها ما يعتقد أنه لابد منه لسيادته وسيادة وطنه ، ولسعادته وقوته .

* * *

تيار الحياة المعاصرة ينحدر الآن كله من الغرب إلى الشرق ، إلينا نحن ، وهو ليس خاليا من الأنانية والانحراف والزلل . وكثير من فلاسفة الغرب ومفكريه ينقده ويفنده ويخوف من عواقبه وخطره على الإنسانية والحضارة . فعلى شبابنا حين يتلقى رأياً ، أو مذهبا ، أو فكرة جديدة ، ألا يخدعه بريقها ، وأن يأخذها مأخذ الجد والبحث الفاحص المتزن المستقيم المجرد .

لا مأخذ الانحياز والانقياد والمتابعة الساذجة . لأنها جاءت من الغرب أو من الشرق . فهذه هى التبعية التى تنتهى بهم إلى التلاشى وتنتهى بأوطانهم إلى الاحتلال أو الاستعمار المذهبى والفكرى ، وهو شر أنواع الاستعمار .

صحيح أن الحضارة الراهنة ليست حضارة الغرب وحده ، بل هى حضارة الحياة المعاصرة كلها ، والعالم القائم كله ، وحضارة الإنسانية جميعها ، كما كانت حضارة العرب وحضارة اليونان يوماً ما .

ولكن هذا لا يضعها فوق النقد وفوق المحاسبة ، ولا يبرؤها من الشر والزيف ،

ولا يجعلها مقبولة لنا على علاتها كما هى ، فأهل هذه الحضارة أنفسهم والمفكرون منهم على الأخص ، لا يضعونها فوق النقد والمحاسبة ، بل يجرحونها فى مواطن كثيرة .

إنى أدعو إلى الحرية والشجاعة . ولكنى مع ذلك ، أو قبل ذلك ، أدعو إلى الثقة بالنفس ، والثقة بالقومية ، والثقة بالوطن ، والثقة بتاريخنا - مهما يكن فيه - وبمقومات حياتنا الخاصة ، مهما رأينا فيها ، وأن تكون نظرتنا إلى حياتنا الخاصة هذه وتاريخنا ومقومات شعوبنا ووطننا العربى ، نظرة الإعزاز والتمحيص والتقويم القائم على الفهم والمحبة والاحترام . لا نظرة التوجس والازدراء والاستخفاف والهدم القائم على المقت والزراية والتهوين والمتابعة .

حياة شبابنا ، الذى سيحكم أوطاننا فى المستقبل القريب ، يجب أن تقوم على ركيزتين ، وأن تسير على قدمين : إحداهما الصالح المفيد المعقول المستساغ من تقاليدنا وعواطفنا المميزة لنا ، والثانية مذاهب الحياة المعاصرة فى العالم الجديد ، تلك المذاهب القائمة على الحرية والعلم ، وعلى أخلاق الشجاعة الحكيمة والبصيرة المستشرفة والقوة المسيطرة والحياة السارة البهيجة المقتحمة .

* * *

قرأت كلمة لغاندى أعتقد أنها يجب أن تكون نبراسا يضىء طريق شبابنا ودستورا ندعوه لالتزامه ، بل يجب أن تكون كذلك بالنسبة لحياتنا جميعا فى سيرنا نحو مستقبل أكرم وأنفع وأفضل . هذه الكلمة هى : (لا أريد لبيتى أن يكون محاطا بالأسوار من كل جانب ، ولا أريد أن تكون نوافذه مغلقة . بل أريد أن تهب على بيتى ثقافات كل الأمم ، بكل ما يمكن من الحرية ، ولكنى أنكر على أية واحدة منها أن تقتلعنى من أقدامى) . (١)

محمود الشرقاوى

سكرتير التحرير

حق الجوار

كان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز للنمل ويقول :
إنهن جارات ، ولهن علينا حق الجوار .

---

(١) أذيعت من إذاعة المغرب .

آراء معاصرة حول

التفسير العلمي للقرآن

للأستاذ محمد رجب البيومي

[قرأت مانشره الباحث الحر الأستاذ محمود الشرقاوى فى عدد المحرم من هذا العام حول هذا الموضوع ، فرأيت أن أعرض على القراء هذا البحث السريع لتكتمل وجهات النظر المختلفة فى هذا الموضوع الدقيق] .

ليس كثيراً على القرآن الكريم وهو كتاب الإسلام الخالد ومعجزته النادرة أن تتضافر الجهود المخلصة على تفسير إعجازه ، وإيضاح هديه ، وإن مرور الزمن لايعفى الباحثين فى كل عصر من تبيان آياته ، وتحليل مراميه ، بل إن تقدم العقل الإنسانى مما يزيد فى ضرورة هذا التحليل والبيان على نحو تطمئن إليه البصائر المخلصة ، والضمائر المنصفة ، وإذا كنا نرى النصوص الدينية فى أوربا تؤلف لها المجامع المختلفة من ذوى الثقافات المتعددة ، فيقومون بتوضيح ألغازها وتفسير مضمونها ، كل حسب اختصاصه ومنحاه ، فهذا مؤرخ يستعرض ماجاء فى التوراة والإنجيل من قصص وأنباء ، وذاك طبيب يستنبط من شتى النصوص ما يؤيده تقدم الطب ، وتفوق التشريح ، وذلك اجتماعى يستخلص مما بين يديه قواعد ثابتة لازدهار العمران وانقراضه ، وارتفاع الأمم وانخفاضها ، حتى تضخمت المكتبة الدينية تضخما لايمنع مستقبلا من اطراد البحث ، ومواصلة الاستنتاج ، ! ! إذا كنا نرى ذلك ونقرؤه دارسين متفهمين ، فإننا نرحب بكل مجهود بصير يبذل فى شرح الحقائق القرآنية ، وتفسيرها تحت أضواء هادية من التاريخ والعلم والفلسفة والمنطق ، ونرى كتاب الإسلام فى حاجة دائمة إلى عقول مستنيرة منصفة تستشف أسراره ، وتؤيد إعجازه ، ليتم نور الله فى الآفاق ، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من آمن عن اقتناع .

ونحن الآن فى عصر تقدمت فيه الفتوح العلمية تقدما مدهشا ، ففى كل يوم جديد طارف تحمله انتصارات العقل البشرى ، فتسير به الصحف اليومية مقرظة مادحة . والمجلات العلمية مفصلة شارحة ، وقد تطوع رهط من أولى العلم والثقافة ، فأخذوا يدرسون آيات الكتاب الكونية دراسة هادية ، ويحاولون أن يستشفوا من خلالها أقباساً

وضيئة ، تشير إلى ما جد من مخترع واستحدث من مكتشف ، على حين قام فريق آخر من أولى العلم أيضاً يناهض هـذا الاتجاه ويحاربه ويرى أن تظل نصوص القرآن بعيدة عما يراد لهـا من التوجيه والاستدلال ، ولا نريد أن نعجل بالحكم فى هـذه القضية الدقيقة ، قبل أن نستعرض أدلة أولئك وهؤلاء ، ليطمئن القارئ إلى وجه يرتضيه !

يذهب الذين يريدون أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً علمياً ، تؤيده النظريات المستحدثة إلى أدلة واضحة محددة ، فهم يرون أن القرآن ليس للعرب فقط حتى يكون إعجازه بلاغيا يلمسه الفصحاء وحدهم ، ويدركه من فهموا أسرار البيان العربى من ذكر وحذف ، ووصل وفصل ، ولكنه إعجاز بشرى يشمل الناس كافة من آسيويين وأوربيين وأمريكيين وإفريقيين ، وهؤلاء العجم من غير العرب يستطيعون أن يفهموا نواحيه العلمية والنفسية والاجتماعية ! فلو اقتصر الإعجاز القرآنى على الوجه التشريعى أو البلاغى لفات هؤلاء جميعا أن يروا أقباساً وضيئة من نور الله ، كما أن القرآن ليس خاصاً بجيل واحد من الأجيال ، فنحصر تفسيره فيما يروى عن الصحابة والسلف من أقوال ، ولكنه ذخيرة الأجيال المتلاحقة ، ومن حق كل جيل أن يفهم منه ما يمتد إليه بحثه العلمى والنفسى والاجتماعى من استنباط وقياس !! فإذا حاول أبناء القرن العشرين أن يجدوا فى بعض آياته تعضيداً لما سطعت به الفتوح العلمية من حقائق ، فإنهم بذلك يزدادون إيمانا ويقينا ، وهذا كسب كبير للنصوص الدينية فى عهد يفيض بالشكوك ويمتلئ بالإلحاد !! على أن هؤلاء الملاحدة المتشككين لا يجدون حجة يستطيلون بها على المؤمنين إذا وجدوا الحقائق العلمية تؤيد ما يتشككون فيه من هدى كريم ، فتخرس ألسنتهم أمام الحجج الساطعة ، ويجد كتاب الله له من النظريات الثابتة أسسا تدعمه ، وأركانا وطيدة تقويه وتعليه !!

هذه أهم ما يحتج به أنصار التفسير العلمى للقرآن من أقوال ، وقد بسطها العالم المتمكن الغيور الأستاذ محمد أحمد الغمراوى غير مرة فى أعداد مختلفة من الرسالة (١) ، وجاء كتابه العلمى النفيس (فى سنن الله الكونية) تطبيقا عمليا لما يرتئيه ، وقد احتاط احتياطا مفيداً حين وضع القيود المحكمة لهذا التفسير العلمى فقال نقلا عن الرسالة (٢) .

« وقبل أن نورد بعض الأمثلة التوضيحية ، يجب أن ننبه إلى أمرين مهمين ، الاول أنه لا ينبغى فى فهم القرآن الكريم أن نعدل

---

(١) الرسالة : الأعداد ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ١٤٦ ، ١٤٨ .

(٢) الرسالة العدد ٧٠٥ .

عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ ، وتحمل على مجازه ، لأن مخالفة هذه القاعدة الأصلية قد أدى إلى كثير من الخلط فى التفسير .

أما الأمر الثانى فهو أنه ينبغى ألا تفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالنظريات ولا بالفروض ، لأن الحقائق هى سبيل التفسير الحق ؛ هى كلمات الله الكونية ينبغى أن يفسر بها نظائرها من كلمات الله القرآنية ، أما الحدسيات والظنيات فهى عرضة للتصحيح والتعديل ، إن لم تكن للإبطال فى أى وقت » .

وإذن فهذان قيدان مفيدان وضعهما الأستاذ المراغى ليحول دون الشطط فى التأويل ، والجموح فى التطبيق وقد جاء الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى بقيد ثالث نضيفه إليهما حين قال « يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية كذلك ، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها [1] ، ويمكن القارئ أن يأخذ هذا القيد مستشفا من خلال القيدين السابقين ، إلا أننى آثرت أن أسجله صريحا واضحا ، ليكمل التوجيه المحتوم لمن يتعرض إلى كتاب الله بتفسير على رشيد .

فى ضوء هذه التوجيهات الصريحة ، قطع العلماء من المتفقهين شوطا حميدا فى تفسير بعض الآيات الكونية والطبية ـ فضلا عن النفسية والاجتماعية ـ فجاءوا بما يعجب ويروق مما لا يتطرق إليه التعسف والافتعال ، وأصبح القارئ المثقف يجد تفسيراً علمياً شافيا لأمثال قول الله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » ، وقوله « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

وإذا كانت بعض الآيات الكونية لا تزال فى دور التطبيق الصريح فإن أكثر الآيات الطبية قد وجدت من العلم نصيرا محبذا ، فأصبح من الإعجاز العلمى للقرآن أن نقرأ قول الله عز وجل : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » وقوله « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » وقوله: « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » وقوله « فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » ونحو ذلك مما

---

(١) مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٦٣٥ .

انبسط فيه مجال القول للمتخصصين ، فكان إحدى معجزات القرآن الكريم .

أما الفريق الآخر ممن لا يرون أن نجذب التفسيرات العلمية إلى آيات الكتاب ، فيذهبون إلى أن القرآن قد خاطب العرب أول من خاطب من الناس ، وهم قوم أميون لا يحتاجون فى فهم النصوص الصريحة إلى التغلغل فى العلوم الكونية ، والرياضيات الهندسية ، وقد واجههم القرآن بما فى مقدورهم أن يستوعبوه من الكلام ، فأدى رسالته معهم على أحسن وجه يتاح ، إذ فهموا مبادئه ودرسوا شرائعه دون أن تكون بهم حاجة إلى نظرية علمية ، أو فلسفة كونية ، فعلى المفسرين أن يفهموا من القرآن ما فهمه العرب الأوائل ، إذ أن كتاب الله لسان هداية ، ومنار توجيه ، أنزله الله على نبيه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لا ليتحدث عن أسرار البرق والرعد والمطر والرياح ، ولا ليحدد مواضع الشمس والقمر والنجوم والبحار والجبال .. ثم إن النظريات العلمية فى الكون لا تستقر على حال ، فقد تثبت القضية الكونية لدى جيل من الأجيال ، حتى تصبح أمراً بدهيا لا يجوز فيه الاختلاف ، ثم يدور الزمن فيجد من النظريات ما يقلب الأولى رأساً على عقب ، فإذا فسرنا القرآن بمقتضى النظر العلمى فإننا نجعله ميدانا للتأويل المتناقض المضطرب ، حتى ليجوز أن نتخذ من الآية الواحدة دليلا للإثبات فى زمن ، وللنفى فى زمن آخر ، ومثل ذلك عبث بالغ يجب أن يتنزه عنه كتاب السماء .

ومما جعل الآذان تصغى كثيرا لهذا الفريق أن أناساً ممن لا يجمعون بين النظر الصائب والعلم الصحيح ، قد دفعهم حب الابتكار إلى تفسير بعض الآيات تفسيراً بدائيا لا يستند إلى دليل ، حين يظهر مكتشف ما من المكتشفات يسارع هؤلاء السطحيون ، فيقتطعون من كتاب الله ما يوهم صاحب النظر المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث ، ثم يملئون الصحف هراء بتمحلاتهم الكاذبة ، وافتياتهم المقيت ، ويدّعون عند ذلك أن كتاب الله قد ألقى إليهم بأسراره ، فهم قَدِرونَ على أن يستنبطوا منه قضايا العلم الحديث ، وينسون أنهم فى تمحلهم الكاذب يخبطون خبط عشواء !! .

تجد أحد هؤلاء يتحدث عن التصوير الشمسى فيستدل بقول الله : « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ، ولو شاء لجعله ساكنا » . أو يتحدث عن الأثير فيستدل بقول الله : « ثم استوى إلى السماء وهى دخانٌ فقال : لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها » ، أو يتحدث عن القمر الصناعى فيستدل بقول الله :

« اقتربت الساعة وانشق القمر » ! أو يلم بآلة التسجيل الهوائى للأصوات فيستشهد بقول الله : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » أو يشير إلى تحطيم الذرة فيقرأ قول الله : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب » . وربما تجرأ هؤلاء الأدعياء فكتبوا المؤلفات المتتابعة تحت عنوان (بين العلم والقرآن) وظنوا أنهم بتسرعهم العاجل يقاربون بين العلم والدين ! ! وأذكر أن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قد كتب (١) بالرسالة رداً مسهباً ضافياً يفند فيه ما ذهب إليه هؤلاء الأدعياء من تعسف مقيت ، فبسط الحجج المقنعة على فساد نظرهم الطائش واستدل بالنقل والعقل على شططهم الكريه، ثم قال فى ختام حديثه : « فلندع للقرآن عظمته وجلالته ، ولنخلع عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم أن ما تضمنه من الإرشارة إلى أسرار الخلق ، وظواهر الطبيعة ، إنما هو لقصد الحث على التأمل ، والبحث والنظر ليزداد الناس إيماناً مع إيمانهم ، وحسبنا أن القرآن لم يصادم وان يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول » .

وكلام الأستاذ الأكبر - كما هو واضح جلى - موجه إلى من يهجمون على التأويل دون دراسة فاحصة فلا يربطون الآيات بعضها ببعض ، أو يلتفتون إلى أسباب النزول وأسرار البيان أو يحكمون السياق الأسلوبى للقرآن ، بل يندفعون وراء الحدس الظنى والخيال الوهمى ثم يجترئون فيطبقون ويؤولون ! ! أما من يقيدون بالنهج الصحيح فى التزام اليقين الثابت من العلم ، والصريح الواضح من الآية دون أدنى تكلف يدعو إلى الاعتساف والشطط ، فما نظن إلا أن الأستاذ الأكبر يوافق سلفه الأستاذ المراغى على منحاه فى تفسير ظاهر الآية بالحقيقة العلمية دون تكلف أو افتعال ، لأن كتاب الله كما يقول الأستاذ شلتوت « لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول » ! !

هذان رأيان متقابلان . وبالنظر إلى أدلة كل رأى على حدة ، نجد أن الذين ينادون بابتعاد القرآن عن التفسير العلمى مصيبون كل الإصابة ، إذا كان التفسير قائما على الظن الوهمى ، أو التعسف التأويلى ، أما إذا كان مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم ، فلا نمنع إطلاقا أن نستضىء بشعاع العلم فى إيضاح حقائق الذكر الحكيم ، وإذا كان القرآن كتاب هداية وإرشاد ، فإن آياته العلمية لا تحول دون هذه الهداية المبتغاة ! بل تؤكدها وتدعو إليها الجاحدين ، أمامن يقول: إنه نزل فى أمة أمية

---

(١) الرسالة العدد ٤٠٨ سنة ١٩٤١ .

لا تعرف النظر العلمى فنحن نرد عليه بأنه لم ينزل لأمة واحدة أو قرن واحد ، بل نزل لجميع الأمم فى شتى القرون المتعاقبة ليأخذ كل جيل من هديه ما يناسب استعداده الذهنى والنفسى ، ولن يضير النهر المترقرق أن يرتوى منه غلام ناشىء أو شاب مكتمل ، ولن تجد حجة لمن يدعون تناقض العلم واضطرابه لأننا فى هذا التفسير المرتقب لن نأخذ بغير اليقين الثابت مما صححته الأجيال المتعاقبة دون أن نكر عليه بالنقض والتفنيد ، وسنتمسك بالقيود الملزمة التى فرضها العلماء على أنفسهم وسجلناها مركزة فى صدر هذا المقال ، وقد التفت المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعى إلى هـــذه الناحية من الإعجاز العلمى ، فأيد ماذهب إليه العالم التركى مختار باشا فى كتابه « سرائر القرآن » ، ونقل قدرا منه فى الجزء الثانى من تاريخ أدب العرب (١) ، ثم قال الرافعى (٢) .

ولعل متحققاً لهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن الكريم وأحكم النظر فيه ، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من أمره ، لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها ، بلى ، وإن فى هذه العلوم الحديثة على اختلافها لعونا على تفسير بعض معانى القرآن ، والكشف عن حقائقه ، وإن فيها لجماما ودربة لمن يتعاطى ذلك ، يحكم بها من الصواب ناحية ، ويحرز من الرأى جانبـــا ، وهى تفتق له الذهن ، وتواتيه بالمعرفة الصحيحة على ما يأخذ فيه ، وتخرج له البرهان وإن كان فى طبقات الأرض وتنزل عليه الحجة وإن كانت فى طباق السماء!!.

ومما يدور حول هذه المعانى ما كتبه الأستاذ المراغى فى مقدمة كتاب « الإسلام والطب الحديث » لعبد العزيز إسماعيل وكنت أوثر أن أنقل بعض حديثه لولا أنه ليس تحت يدى الآن .

على أن هـذه الدعوة المخلصة إلى النظر فى كتاب الله على ضوء من العلم الحديث يجب أن ننتفع انتفاعا واعيا بما اصطدمت به عند التطبيقات الأولى فى الغابر والحاضر من أخطاء لتحيد عنها فى دورها التطبيقى الجديد ، فنحن نجد أن تفسير الفخر الرازى قد أثقل إثقالا بالآراء الكونية والعلمية التى فاض بها القرن الخامس من الهجرة . فجاء فى كثير من صفحاته بعيدا عن الجو القرآنى حتى قال فيه بعض الباحثين : إنه يجمع كل شىء غير تفسير القرآن!! وأنا أعتقد أن الرازى قد كتبه لخاصة تلاميذه فأنخمه إتخاما حال دون ازدهاره بالقياس إلى غيره ، على جودة حكمه وصائب رأيه ، كما

---

(١) ص ١٢٧ ط سنة ١٩٥٣ .
(٢) ص ١٢٥ ط ٣ سنة ١٩٥٣

نجد أن المسألة قد كررت فى صورة مكبرة مجوفة حين جاء الأستاذ طنطاوى جوهرى ـ رحمه الله ـ فملأ تفسيره الضخم بمئات الصحائف العلمية التى تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيمائى والطبيعى والفلكى والجغرافى والنباتى، فهو ينتهز كلمة عابرة كالرعد أو الأرض أو النحل أو النمل ليفيض فى دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم ! ! وقد انتقده صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا تلميحا فى مقدمة الجزء الأول من التفسير، وتصريحا فى مجلة المنار(١) حيث يقول عنه من حديث طويل : « ثم توسع المؤلف بوضع هذا التفسير الذى يرجو أن يجذب طلاب فهم القرآن إلى العلم ، ويحبب العلم إلى هدى القرآن فى الجملة ، والإقناع بأنه يحث على العلم لا كما يدعى الجامدون من تحريمه له ، أو صده عنه ، فهو لم يعن ببيان معانى الآيات كلها ، وما فيها من الهدى والأحكام بقدر ما عنى من سرد المسائل العلمية وأسرار الكون وعجائبه ، ولا يمكن أن يقال : إن كل ما أورده فيه يصح أن يسمى تفسيراً له ، ولا أنه مراد الله تعالى من آياته ، وما أظن أنه هو يعتقد هذا) اه وإن ما وجه إلى المتبحرين فى مسائل الفلسفة والعلم لأدنى مناسبة واهية كالفخر الرازى والشيخ طنطاوى جوهرى من ناحية ، وإلى المتكلفين أوجه التأويل عن طريق الكناية والمجاز من ناحية ثانية ، ليدعونا دعوة صادقة إلى أن نتجنب كل خطأ وقع فيه أولئك وهؤلاء ، حتى يكون التفسير المنتظر صائب النظر صادق الإقناع . فيشفى النفوس المريضة ويرشد الأبصار الحائرة ويدعو إلى صراط مستقيم ؟ .

(١) مجلة المنار شعبان سنه ١٣٤٨ هـ .

محمد رجب البيومى

حق الأمة لا يورث . . !

خطب الخليفة العادل عمر بن العزيز الناس أول جمعة ولى فيها أمر المسلمين فقال : « أيها الناس . إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى كان منى فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين . وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى . فاختاروا لأنفسكم » فقال الناس : « يا أمير المؤمنين ، قد اخترناك ، ورضيناك . فلِ أمر المسلمين باليمن والبركة » ، وهكذا رد عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين إليهم ، وأثبت أن حق الأمة لا يورث . . !

جامعة القرويين
بين الماضى والحاضر
للأستاذ أسعد حنى

مرت بدنيا العرب والمسلمين ـ فى منتصف ربيع الآخر ـ ذكرى من أمجد ذكرياتهم التاريخية . . إذ احتفل فى المغرب العربى رسميا بمرور ١١٠٠ سنة على إنشاء «جامعة القرويين» فى مدينة فاس .

وجامعة القرويين هى أقدم جامعات العالم على الإطلاق (١) . ويعزى إليها ـ وإلى شقيقتها : «الزيتونة» فى تونس ، و «الأزهر الشريف» فى القاهرة ، أكبر الفضل فى نشر الإسلام الحنيف والحفاظ على تعاليمه السمحة وحماية لغة القرآن وآدابها والعمل على إثرائها فى جميع فروع المعرفة . . . بالإضافة إلى ما قامت به هذه الجامعات الإسلامية الكبرى من تزويد شعوبنا العربية خلال مراحل تطورها بالقادة والعلماء والمرشدين الروحيين طوال القرون الماضية .

وتاريخ جامعة القرويين بالذات يرتبط أوثق ارتباط بتاريخ مدينة « فاس » التى كانت منذ إنشائها عاصمة للدولة المغربية فى عهد الأدارسة ومن خلفهم إلى مستهل القرن الهجرى الحالى ، حيث أخذ الاستعمار يتسلل إليها . وقد سارت هذه الجامعة فى تاريخها الطويل العامر ، ككل كائن حى ، تنهض وتنمو آناً ، وتجمد وتتعثر آنا آخر . . . ولكن الأمر الذى لا يمكن أن ينكره أحد عليها ، أنها ظلت ـ فى كل الأحوال ـ تحمل علم الدراسات الإسلامية وما يتصل بها عن جدارة ، فى هذا الجزء الهام من وطننا العربى الكبير . واستطاعت أن تثبت حقا أنها منارة الهدى والعرفان ، وأساس الارتكاز الروحى عند المسلمين كافة فى المغرب العربى .

والفصول الأولى لقصة إنشاء القرويين ، تبدأ ـ كما يجمع المؤرخون ـ مع هجرة ثمانمائة

---

(١) هذا الحكم يجانب الحق لأن مسجد القرويين لم يتحول إلى جامعة للتدريس إلا سنة ٥٣٨ كما ذكر الأستاذ الكاتب ، أما الأزهر فقد هيئ للتدريس الفقه والعلوم فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى . وعلى ذلك تكون الجامعة الأزهرية أقدم جامعات العالم على الإطلاق . (المحرر)

عائله أندلسية ، تبعتها هجرة ثلاثة آلاف عربى من القيروان بتونس ، إلى مدينـــة فاس ، واتخاذهم لها وطناً ثانياً فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

وقد استقر المغتربون من الأندلس فى شرقى المدينة بضاحية عرفت فيما بعد ، باسم «عدوة الأندلسيين» . أما المغتربون من القيروان ، فقد استقر بهم المقام فى الجهة المقابلة بضاحية على الضفة اليسرى كانت تسكنها القبائل ، وسميت أيضاً باسم «عـــدوة القرويين» .

وكان بين المغتربين التونسيين رجل ورع ، يعيش فى بسطة من الرزق بسبب ما حمله معه من المـال ، هو «محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى» . وقـد توفى عقب فترة وجيزة من وصوله إلى فاس . وخلف ثروة طائلة لابنته «فاطمة أم البنين» وشقيقتها «مريم» .

وعقدت الشقيقتان العزم على إنفاق جزء كبير مما ورثتاه عن أبيهما فى بناء مسجد يخلد اسم أسرتهما واسم البلاد التى نزحتا منهـا . وكان من أهم الدوافـع لهما على ذلك علمهما بحاجة الناس الملحة فى كل «عدوة» من فاس إلى مساجد يؤدون فيها الصلاة ، نظراً لضيق المسجدين القديمين القائمين فيها بالناس .

ولم يطل تفـــكير الشقيقتين ، فشرعت «مريم» فى بناء مسجد «الأندلس» فى شرق المدينة . وبدأت «فاطمة» فى بناء مسجد «القرويين» فى جنوبها . وكان ذلك فى يوم سبت ـ وهو يصادف غرة رمضان من سنة ٢٤٥ الموافق ٣٠ نوفمبر من سنة ٨٥٩ ـ أى منذ ألف ومائة سنة كاملة وهو المسجد الذى عرف بعد ذلك باسم «جامعة القرويين» .

ولقد كانت الطريقة التى سلكها البناءون فى البناء أنهم التزموا أن يأخذوا كل حاجاتهم من الرمال والحجارة من نفس البقعة دون غيرها . كما أنهم عثروا على عـين ماء غزيرة تجاور الموقع الذى اختير لإقامة المسـجد . وكان ذلك كله تحريا من المشرفين على البناء كى لا تدخل فى بناء المسجد شبهة ـــ على ما يقول «ابن أبى زرع» فى كتاب «الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى» . وظللت «فاطمة» صائمة منذ أن شرع فى بنائه ، إلى أن تم واكتمل وأقيمت فيه الصلاة .

* * *

وقرويين الأمس ، ليست هى قرويين اليوم . . . إذ لم تكن القرويين عند نشأتها الأولى ، تشتمل إلا على أربع صحون وعلى محراب وفناء غرست فيه بعض الأشجار . . وحينما بنيت لم تكن بها حلقات للدرس كما أصبحت فيما بعد ، بل كانت مجرد مسـجد يحضره الناس الذين يؤدون فيه صلاة الجمعة،

وكانت الفكرة فى إنشائها — كما يروى « أبو الحسن على الجزنائى »فى كتابه « زهرة الآس فى بناء مدينة فاس » — هى ضيق المساجد التى يصلى فيها أهل العدوة وافتقارهم إلى مسجد جامع يلم شعثهم ويجمع شملهم وتلقى من فوق منبره الخطبة الرسمية .

وكان علماء فاس — فى ذلك العهد — يتشددون كثيراً فى منع الناس من القراءة والتدريس فى بيوت الله ، ويحظرون على كل فرد أن يمارس أى شىء بالمساجد غير شعائر العبادة ، عملا بقوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ».

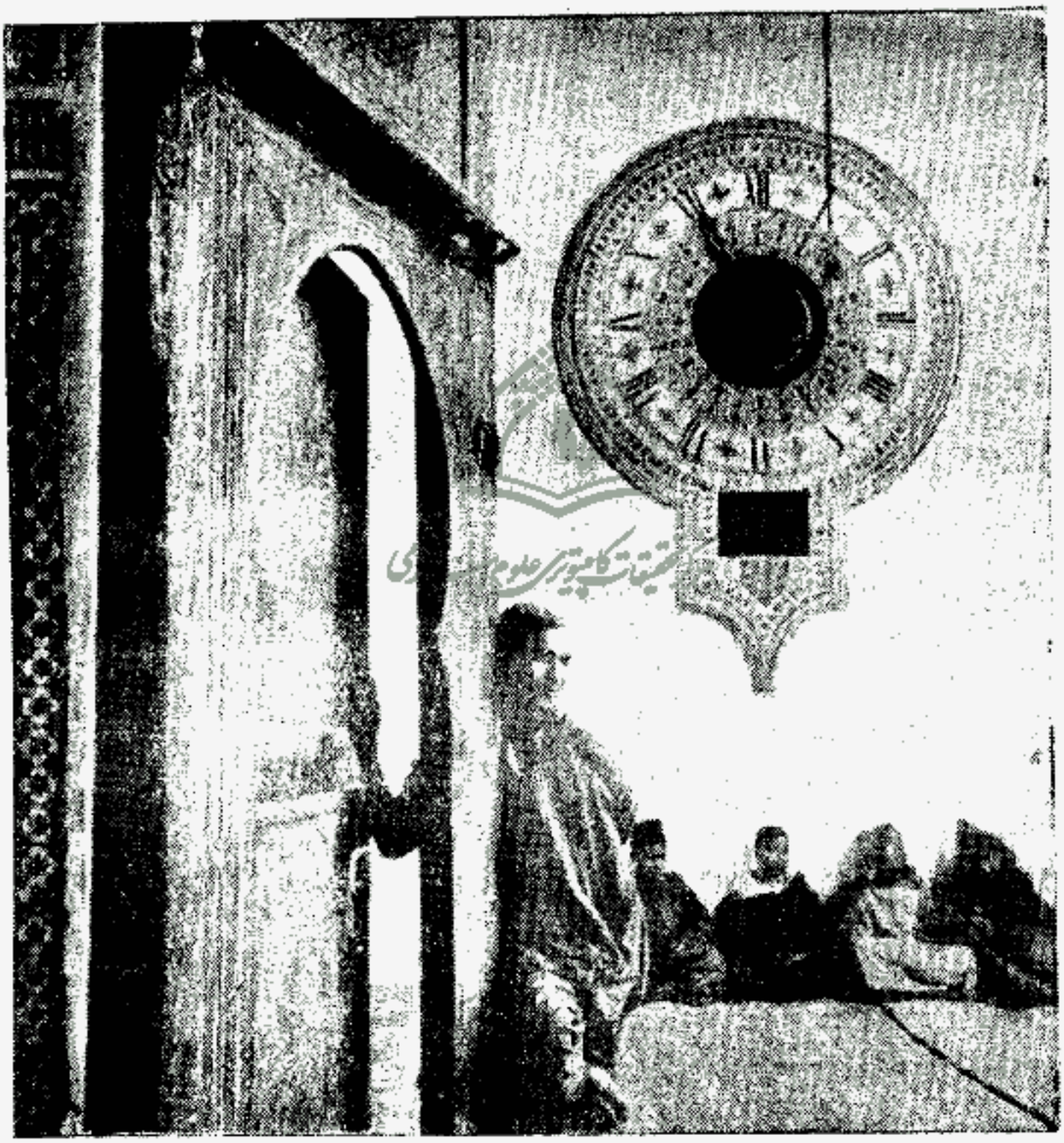

بعض الطلاب فى جامعة القرويين وقد جلسوا تحت الساعة التاريخيه ينتظرون أستاذهم

ولقد تطلب تزايد عدد السكان واتساع نطاق المدينة إدخال إصلاحات جمة على مبانى القرويين القديمة واستحداث مبان وصحون

مؤلف كتاب « القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس » .

وكان من أوائل الذين لهم فضل السبق فى

جانب من مدخل القرويين ويشاهد فيه إلى جانب النقوش البديعة عدد من الساعات أهديت من ثراة الشعب .

جديدة ألحقت بها ... فلم يكد ينقضى إلا نحو قرن حتى أصبحت مساحتها أربعة أضعاف ما كانت عليه بعد بنائها . كما ذكر

إدخال هذه الإصلاحات على مسجد القرويين الخليفة عبد الرحمن الأموى الذى أسهم بمال كثير فى تجديده ، وكان شديد الشغف بالمبانى

والمنشئات ، وكذلك السلطان على بن يوسف ابن تاشفين ، وغيرهما من الأمراء الذين عملوا على توسعة رقعته بشراء الأملاك والأراضى المجاورة له وضمها إلى القرويين ، حتى صار أعظم مسجد فى أفريقيا الشمالية ، وبدأت مع حلول سنة ٥٣٨ هجرية ، تعقد فيه حلقات التدريس فى علوم الفقه والشريعة على أيدى علماء أجلاء وفدوا من القيروان ونقلوا معهم جل العلوم الدينية ، وإليهم يعزى الفضل فى تحقيق هذه الخطوة التى تأخرت قرنين أو يزيد !

* * *

وتدور عجلة الأيام دوراتها السريعة ويزداد ازدهار القرويين فى عهد المرابطين الذين بنوا فيها للعلم أمجاداً وصروحا شامخة خلدها التاريخ . واستطاعت الجامعة أن تخرج عظماء وعلماء أحالوا المغرب فى مدى قصير من « دويلة » كانت تتهاوى من الضعف ، وأمة يشيع فيها التأخر والجهالة ، إلى دولة يحكمها دستور السماء الكريم الذى أنزل على محمد عليه السلام .

وظلت القرويين معهد دراسة وعلم ، وتخرج فيها ملايين من المغاربة فى أجيال مختلفة . وظلت على مر القرون حصنا للعروبة والإسلام . واجتذبت شهرتها التى طبقت الآفاق عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوربا ومنهم الرحالة « جربرتا » والبابا « سلفستر » الذى نقل الأرقام العربية إلى الغرب ، كما نقل نظريات الفقه الإسلامى واستخدمها فى تطوير القانون الرومانى ، وكثير غيرهم من العلماء الأوربيين الذين توافدوا على مر السنين - على القرويين - للإفادة من خزانتها التاريخية المملوءة بالمؤلفات والكتب والمخطوطات النفيسة النادرة ، فى مختلف فروع العلوم والمعرفة ، وأطلعوا العالم بعد عودتهم إلى بلادهم على الحضارة التى تغمر البلاد الإفريقية والمغرب العربى بنوع خاص !

* * *

ولعل أزهر عهد تحقق فيه للقرويين ما كانت تصبو إليه من أسباب النمو والتقدم ، كان عهد السلطان « أبى عنان المرينى » ففيه أنشأت الجامعة أضخم مكتبة مزودة بالمخطوطات النادرة ، وشيدت مساكن خاصة للطلاب الذين يردون عليها من أطراف البلاد ، كما أجرى السلطان عليهم « جرايات » شهرية تكفيهم ليتفرغوا لطلب العلم . . . كما كان للعلماء دور خاصة لسكناهم ، وخدم معينون يوفرون لهم كل وسائل الراحة حتى يستطيعوا التوفر على إداء رسالتهم نحو طلابهم على أكمل وجه .

وكان علماء القرويين من أغنى طبقات الشعب، بسبب ما كان يسبغه عليهم الملوك من الهدايا وما يجرونه عليهم من الرواتب الضخمة!

* * *

واستمرت جامعة القرويين تقوم بواجبها، فى حرية تامة . . . إلى أن ابتلى المغرب بالاستعمار الفرنسى ، وأوجس الفرنسيون منها خيفة . . . أرادوا فى مبدأ الأمر أن يوصدوا أبوابها أمام الطلاب ، أو يحددوا عددهم ، زاعمين أن فى ذلك ترقية للبلاد . . ولكنهم اصطدموا بمعارضة شديدة . . . إذ فطن « المولى يوسف » الجالس على عرش البلاد لغرض المستعمرين من ذلك . . وأدى الصراع بينه وبينهم إلى انتباه جماعة من العلماء واتجاههم إلى بعث الحركة السلفية ومحاربة الجمود ، وتطوير الدراسات لتساير روح العصر . . وكانت الخطوة الإيجابية لتحقيق ذلك الغرض ، عندما عين جلالة الملك محمد الخامس فى سنة ١٩٣٧ ، الأستاذ « محمد الفاسى » ، وهو من علماء القرويين ، ومن الذين استكملوا دراستهم فى جامعة باريس ، مديراً للقرويين فأدخل العلوم العصرية واللغات الأجنبية فى مناهج التعليم ، إلى جانب المواد الدينية ، كما أنشأ قسما خاصا بالقرويين لتعليم الفتيات ، وقد تخرجت فيه إلى الآن عشرات منهن يحملن شهادة « العالمية » !

ويزدان تاريخ الحركة الوطنية فى المغرب بأنصع الصفحات التى سجلها كفاح علماء القرويين وطلابها ضد القوى الاستعمارية . . . ودورها فى تحرير المغرب يماثل تماما دور الأزهر الشريف فى ثورة سنة ١٩١٩ وما بعدها . . .

ويبلغ الآن عدد طلاب القرويين حوالى ستة آلاف طالب . ولها فروع تتمثل فى المعاهد الدينية المنتشرة فى أنحاء المغرب ، سواء فى « تطوان » أو « طنجة » أو « مراكش أو منطقة « سوس » . . . على أن مجموع طلاب هذه المعاهد يناهز ثلاثين ألفاً .

هذه هى « جامعة القرويين » التى ظلت عبر القرون الطويلة معقلا للتراث الإسلامى والحضارة العربية ، فى شمال إفريقيا . . . إن فضل بقاء هذه البلاد الشقيقة على صبغتها العربية الإسلامية ، يرجع إلى هذه الجامعة . . ويرجع أيضا إلى المعاهد الدينية الإقليمية التى تغذيها هذه الجامعة بالعلماء والأساتذة والمرشدين الروحيين الذين انتشروا فى كل مكان من بلاد المغرب ينشرون رسالة العروبة ورسالة الإسلام ! !

أحمد حسنى

أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة

للدكتور عبد الحليم محمود

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم »

إذا عدنا إلى أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، وذهبنا بخيالنا نرتاد أرجاء مدينة المنصورة ، رأينا ظاهرة لا عهد لمن مارسوا الحروب الحديثة برؤيتها إلا نادراً ! ! .

تلك هى ظاهرة الإيمان والثقة المطلقة بالله :

إنه من الطبيعى أن تكون مدينة المنصورة فى حركة لا تهدأ ، إنها الحرب ، والمصريون يستعدون لملاقاة العدو المغير الذى احتل دمياط ، ويحاول التغلغل فى البلاد بالاستيلاء عليها .

الاستحكامات تقام ، والمؤن ترد ، والجيوش تتوالى وترتب ، والأوامر تصدر فى حزم وثبات . والظاهر بيبرس لا يكاد يغمض له طرف ، ولا يذوق النوم إلا غراراً . وفى جانب آخر لويس التاسع ملك فرنسا يقود الجيوش الجرارة من الصليبيين ينازل الإسلام والعروبة فى معركة فاصلة حاسمة ، هى معركة المنصورة .

لقد وقف الغرب كله مستعداً للهجوم على مصر ، يريد أن يدمر الإسلام والعروبة بالقضاء على المصريين ، كما وقف الشرك كله من قبل فى غزوة الخندق ، يريد أن يدمر الإسلام بالقضاء على المدينة المنورة ومن فيها من رجال الإسلام الأول ، وعلى رأسهم رسول الله صلوات الله عليه ! ! ! .

وبين موقعة المنصورة وغزوة الخندق تشابه فى بعض النواحى :

فى كل منهما أتى الشرك بكل ما يملك وبكل ما يستطيع من عتاد ومن عدد يقضى على التوحيد فى عقر داره :

فقد اقتحم الشرك الأول حرم مدينة الرسول وحاصرها ، أما الشرك الثانى فقد اخترق الحدود وتغلغل فى البلاد ، واحتل بعضها ، حتى وصل إلى أطراف المنصورة ! !

وفى كل منهما كان المسلمون ـ رغم رؤيتهم للخطر المحدق بهم ـ ثابتى الجنان ، مؤمنين كل الإيمان بنصر الله ، مطمئنين إلى قضائه .

وإذا أردنا تعليل هذه الثقة فى الله عند المسلمين فى غزوة الخندق ، فتعليلها سهل واضح: لقد كان على رأسهم رسول الله ، وفيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وكبار الصحابة ! ! وهؤلاء ـ لثقتهم المطلقة فى الله ـ يبعثون ـ بطريق التأسى ـ الثقة فى نفوس الآخرين ! !

أما فى واقعة المنصورة ، فإن تعليل الثقة والإيمان والاطمئنان الذى كان يسود إذ ذاك ، ويسيطر على قلوب المجاهدين الأبطال ، ويبعث فيهم الجد والنشاط ، وتحمل التعب والسهر ليلا والعمل نهاراً ... أقول : إن تعليل ذلك ليس بالأمر الهين على من يقرأ التاريخ على أنه ساسة مدنيون وقواد حربيون ، وجنود تزيد أو تقل فى العدد .

إذا نظرنا إلى التاريخ بهذا المنظار ، فإن تعليل هـذه الظاهرة فى موقعة المنصورة لا يتيسر ولا يستقيم .

وحقيقة الأمر أن مصر إذ ذاك كانت تضم بين أرجائها نخبة ممتازة من العلماء الدينيين الذين أخلصوا جهادهم لله وحده ، فلم تغرهم الدنيا بزخرفها وزينتها .

كان فى مصر إذ ذاك العز بن عبد السلام ، ومجد الدين القشيرى ، ومحيي الدين ابن سراقة ، ومجد الدين الإخميمى ، وأبو الحسن الشاذلى ، وغيرهم من خيرة العلماء .

لم يستقر هؤلاء العلماء فى دورهم البعيدة عن الخطر ، وإنما هبوا جميعاً للجهاد فى سبيل الله ، لقد هاجروا إلى المنصورة ليكونوا بين المجاهدين ، ورغم أن العارف بالله أبا الحسن الشاذلى كان فى آخر حياته ، وكان قد كف بصره ، فإنه كان فى مقدمة الذاهبين إلى المنصورة ! ! ! .

هاهم أولئك العلماء بسمتهم الملائكى ، وبإيمانهم الذى لا يتزعزع ، يسيرون وسط الجند ، يحثون ويشجعون ، ويرشدون ويذكرون بالله ، ويبشرون ـ كما وعد الله ـ بإحدى الحسنيين : النصر أو الجنة ، وإذا لزم الأمر عملوا مع العاملين . ولقد كان مجرد سيرهم فى الحوارى والشوارع تذكيراً بالنصر أو الجنة ، وكان حفزاً للهمم ، وتثبيتاً للإيمان ، وتأكيداً لصورة الجهاد الإسلامية التى قادها فى عصور الإسلام الأولى رسول الله صلوات الله عليه ، وخلفاؤه الراشدون ، رضوان الله عليهم.

حتى إذا اطمأنوا إلى الأسباب والوسائل المادية الظاهرة ، والمعنوية الباطنة ، وحتى إذا ما جنهم الليل ، اجتمع هؤلاء الأعلام فى خيمة من خيام المعسكر ـ نعم فى خيمة من خيام المعسكر ـ يتجهون إلى الله بصلاتهم

ودعائهم ، يلتمسون منه النصر ، فإذا ما فرغوا من ذلك أخذوا يتدارسون كتابا من الكتب ! ! ! .

لقد كانو يتدارسون ، فى إحدى الليالى ، الرسالة القشيرية : تقرأ عليهم وهم يسمعون ويشرحون ! ! .

ماذا كانوا يقرءون ؟ أكانوا يقرءون باب الفتوة؟ أم كانوا يقرءون باب الحرية ؟أم كانوا يقرءونها فى تتابع مبتدئين من أولها ؟ ! كانت تقرأ عليهم ويشرحون ، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى صامتا يستمع ، فلما فرغوا طلبوا إليه - وهو من أعلام هذا الميدان - أن يتحدث ، وألحوا فى الطلب ، فسكت الشيخ فترة ، ثم تكلم : فى انطلاق وفى قوة ، وفى روحانية لا يمكن التعبير عن وصفها ، بأسمى من كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذى قال لأصدقائه وزملائه ، حينما سمع أبا الحسن يتحدث .

« اسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله » .

ولا يقدر هذه الكلمة حق قدرها إلا من يعرف من هو العز بن عبد السلام ! !

« الكلام الغريب » لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ، ولا مجراً فى الأسفار ! !

« القريب العهد من الله » لأنه إلهام الساعة ووحى الزمن الراهن ! !

وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين ، فكان ليله ونهاره مشغولا بالله فى أمرهم حتى إذا ما أخذته سنة من النوم فى ليلة من الليالى ، رأى فيما يراه النائم ، رؤيا تتعلق بحالة المسلمين فى المنصورة ، ومن هذه الرؤيا : ما حكاه صاحب كتاب « درة الأسرار » قال :

« قال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة فلما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، بت مشغولا بأمر المسلمين وبأمر الثغر ، وقد كنت أدعو الله وأضرع إليه فى أمر السلطان والمسلمين ، فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطا واسع الأرجاء ، عاليا فى السماء ، يعلوه نور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ، فقلت : لمن هذا الفسطاط ؟ فقالوا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فبادرت إليه بالفرح ، ولقيت على بابه عصابة من العلماء والصالحين نحواً من السبعين ، أعرف منهم الفقيه عز الدين بن عبد السلام ، والفقيه مجد الدين مدرس قوص والفقيه الكمال ابن القاضى صدر الدين ، والفقيه المحدث محيى الدين بن سراقة ، والفقيه عبد الحكيم بن أبى الحوافز . ومعهم رجلان لم أعرف أجمل منهما ، غير أنى وقع لى ظن فى حالة الرؤيا : أنهما الفقيه زكى الدين عبد العظيم المنذرى المحدث ، والشيخ مجد الدين الإخميمى ! !

وأردت أن أتقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألزمت نفسى التواضع والأدب مع الفقيه ابن عبد السلام ، وقلت : لا يصلح لك التقدم قبل عالم الأمة فى هذا الزمان ؛ فلما تقدم وتقدم الجميع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم يمينا وشمالا : أن اجلسوا وتقدمت ، وأنا أبكى بالهم وبالفرح . أما الفرح فمن أجل قربى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب ، وأما الهم فمن أجل المسلمين والثغر ، وهم طلبى إليه صلى الله عليه وسلم فمد يده حتى قبض على يدى ، وقال : لا تهتم كل هذا الهم من أجل الثغر ، وعليك بالنصيحة لرأس الأمر — يعنى السلطان — فإن ولى عليهم ظالم فما عسى ؟ ! وجمع أصابع يده الخمسة فى يده اليسرى كأنه يقلل المدة . وإن ولى عليهم تقى فهو الله ولى المتقين ، وبسط يده اليمنى واليسرى . وأما المسلمون فحسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون - أى العلماء والفقهاء والصالحون الذين بالمجلس - وقال : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » . وأما السلطان فيد الله مبسوطة عليه برحمته ما والى أهل ولايته ، ونصح المؤمنين من عباده ؛ فانصحه واكتب له وقل فى الظالم عدو الله قولا بليغا : « واصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

فقلت : نصرنا ورب الكعبة ، وانتهت .

ونصر الله المسلمين نصرا مؤزرا ، وأسر الملك لويس ، وأسر الكثيرون من قواده ، وأشاد الشعراء بهذا النصر :

ومن قصيدة مشهورة لابن مطروح : نقتطف مايلى : قال يخاطب لويس :

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفا لا يرى منهمو
إلا قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أزمعوا عودة
لأخذ ثأر أو لفعل قبيح :
دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

ولسنا هنا بصدد تأريخ هذه الموقعة الحربية ، وما أردنا مما سبق ، إلا أن نلقى ضوءاً واضحا على اشتراك أبى الحسن الشاذلى فى الجهاد ، رغم أنه كان يعتذر له عن التخلف لكبر سنه ، ولأنه قد كف بصره ، ولكن أبا الحسن لا يتخلف عن فرض ، وما كان يتأتى له أن يتخلف عن مؤازرة المسلمين .

هذه الصورة نضعها أمام أنظار علماء المسلمين فى العصر الحاضر ، وأمام رجال التصوف الإسلامى ، لعل فيها لهؤلاء وأولئك ذكرى كريمة ومثلا يحتذى !! ؟

الدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

تأليهيّة القرن الثّامن عَشَرَ
وهل معتقدوها مؤمنون؟

للدكتور محمّد غلابْ

— ٢ —

قبل أن نستعرض الصور المختلفة للتأليهية فى انجلترا وفرنسا وألمانيا فى القرن الثامن عشر ، ينبغى أن نعيد إلى الأذهان هـذا الوصف المحدد الدقيق الذى يجعله ذلك الأسقف الشهير ، والمفكر الخطير « فينيلون » والذى يقول فيه : « مما يشرف المؤلهين أنهم يعترفون بإله خالق تبهر العيون حكمته الممثلة فى أفعاله ، ولكن هذا الإله فى رأيهم لا يكون حكيما ولا خيراً لو أنه كان قد منح بنى الإنسان حرية التصرف أى القدرة على الإثم والابتعاد عن الغاية المثلى ، وقلب النظام ، والضلال الأبدى ... ولا جرم أن المؤلهين ـ بهذا المذهب الذى ينتزع من الإنسان كل حرية واقعية ـ يتخلصون من كل جدارة وكل ذم وكل عقاب أى أنهم يعجبون بالإله دون أن يخشوه ، ويحيون بلا وازع تحت سلطان أهوائهم » . من هذا يتضح أن التأليهية قد قدمت عن الإنسان فكرة لا تتفق البتة مع فكرة الأديان الموحاة ، إذ أن تلك التأليهية لا تزيد على أنها قد استكشفت من خلال الطبيعة إلها مهندساً دقيق التنظيم ينتج ويحفظ فى الكون نظاما جديراً بالإعجاب ، ولكنها تأبى أن تقر إلها يمكن الإنسان من المقدرة على الخطيئة وعلى قلب النظام ، وإنما الإله فى رأيها هو الطبيعة أى فى تلك العجائب التى يحللها علماء الكائنات الحية والطبيعيون ، وليس فى النفس البشرية مع أحاسيس الخطيئة ومع السقوط أو الغوث والعناية الربانية التى تصحب تمثل الإله فى النفس الإنسانية . ومعنى هذا أن التأليهية تدع للإنسان العناية بمصيره الخاص .

التأليهية الانجليزية :

غير أن هذا التنافر بين التأليهية العقلية والمسيحية لم يكن مفهوما دائما فى النقاش الذى كان يدور بين معتنقيهما . وهنا ينبغى أن نسجل أن المدافعين عن المسيحية من الانجليز كانوا قد تأثروا بروح العصر فانحازوا إلى صفوف الفكر ولم يعودوا يعارضون ادعاءات العقل الإنسانى على

الصورة التى رسمها له الفلاسفة أى بوصف أنه مقصور على معرفة الوقائع ، وغير قادر على الارتفاع إلى الموجود المفارق . ولقد كان جميع أولئك المدافعين من أنصار ذلك الدين الطبيعى الذى برهن عليه ذلك العقل الفلسفى، وإن كان هذا الإجماع يشوبه شىء من التفاوت فى درجات الإيمان : ومن ثم فإنهم كانوا جميعاً متفقين فى غاية واحدة هى التدليل على أن الدين الطبيعى - إذا فهم على حقيقته - ينتهى قطعاً إلى الدين الموحى ، ومن أمثلة ذلك أن « شيرلوك » أحد رجال اللاهوت الانجليزى ، يعلن فى إحدى مواعظه فى سنة ١٧٠٥ أن دين الإنجيل هو الدين العنصرى للعقل والطبيعة ، وأن تعاليمه هى التى تعرفنا الدين الطبيعى الذى هو قديم بقدم الخلق .

وإذن فقد كانت المناقشات فى انجلترا تنحصر فى العلاقات الممكنة بين التأليهية والمسيحية . ولهذا كثيرا ما يعثر الباحث بوجه عام على مشابهة بين التأليهية الانجليزية والكتب المقدسة . وسر ذلك أن أكثرية المؤلهين الانجليز كانت من بين المتضلعين فى الثقافة ، أو من الرواة ، وكلا الفريقين لا يستطيع إزدراء الوحى أو الاستغناء عنه، فكانوا يقفون عند الحدود الفاصلة بين العقل والعقيدة ، ويبذلون جهودا جبارة فى إزالة تلك الحدود والحواجز العائقة الاتفاق. ومن آيات ذلك أن شرذمة منهم كتوماس شوب وتوماس مورجان كانت تقرر أن المسيحية الأولى أو التعاليم المسيحية الأصيلة - قبل أن تختلط ببدع اللاهوتيين المتأخرين - كانت تعاليم للحقيقة الأساسية شبيهة بتعاليم سقراط ، وأنها كانت تمثل الدين الطبيعى الحقيقى المشترك بين جميع بنى الإنسان . وفى هذا يقول أشهر المؤلهين النظريين : « ما يتوتا اندال » (١٦٥٦ — ١٧٣٣) : « إن الدين الطبيعى والوحى الظاهرى متجاوبان تماما دون وجود أى فارق بينهما غير الطريقة التى اتصلا بها » [1] .

ولا ريب أن هذا النوع من الخلط بين الدين المنبثق من المعرفة الفلسفية والوحى المسيحى ، ذلك الخلط الذى هو الطابع المميز للتأليهية الانجليزية ، قد اتخذ أشهر صوره على يدى الشاعر الانجليزى الكبير « پوب » (١٦٨٨ — ١٧٤٤) الذى أطلق عليه اسم هو ميروس انجلترا والذى كانت صداقته مع المؤله « بولينبرك » سببا فى أن يصير أحد مشاهير دعاة التأليهية الانجليزية . ولقد نالت قصيدته الفلسفية الرائعة التى عنوانها « محاولة على الإنسان » والتى ظهرت فى سنة ١٨٣٣ ، نجاحا كبيرا .

---

(١) انظر صفحة ٣٢٥ من الجزء الثانى من تاريخ الفلسفة تأليف الأستاذ إميل برهييه .

بيد أن هذا النجاح الباهر لم يمنع من أن يشتعل حول هذه القصيدة لهيب نقاش حاد شغل القارة كلها وآلم پوب إيلاما شديدا . ولكى يتخلص من هذا الحرج أعلن أن مبادئه متفقة مع مبادئ پاسكال وفينيلون وهما من أشهر مشاهير المتدينين ، ولم يكتف بهذا فى دفاعه عن نفسه بل نشر كدليل على براءته وسلامة عقيدته نشيدا عنوانه «الصلاة العالمية» جزم بأنه صورة أمينة لروح الإنجيل ولكنه كاد يخفق فى مشروع التهدئة لأن الإله الذى كان يدعوه ، كان هو أبا كل شىء ، وأنه قد وجد قبل الخلق ، كما كان هو الإله الذى عبده القديسون والمتوحشون والحكماء ، بلا أى تفريق ، وإن اسمه كان فى الوقت ذاته جيوڤا وزوس والمسيح .

وهكذا لم يزد على أنه أثار العقول أكثر من ذى قبل ، وقد أطلقوا على نشيده اسم « صلاة المؤله » .

كانت قصيدته اعترافا بالعقيدة وكانت صلاة ، وكان القارئ يعثر فيها على كل تعاليم بولينبرك تقريبا ، ولكن كم كانت فى مجموعها متباينة وعلى الأخص فى اللهجة . وكما كانت الفكرة ذاتها غير يقينية ، ومضطربة ! .

لا تزال « محاولة على الإنسان » تؤثر فينا رغم تغير ذوقنا ، لأننا نشعر فيها بحساسية مرتعدة ، وهى حساسية نفس لم ترض نهائيا عن القواعد التى يمليها العقل ، والتى على أثر قولها لنفسها إنها مقتنعة ، تكون فى حاجة إلى الاقتناع من جديد ... ومن الممكن ألا يكون فى العالم شعر تعليمى ينتقش فى الذاكرات بصورة أكثر يسراً . فمن ذلك مثلا : الإنسان يجب أن يقبل ، الإنسان يجب أن يكتفى . الإنسان فى منزلة الدقيقة من الكون . الإنسان يجب أن يقر بوجود عقل أسمى من عقله سمواً لا يتناهى ، وبأنه يجيد معرفة ما يعرف ، وبأنه يجيد عمل ما يعمل . الإنسان يجب أن يؤمن بوجود كائن أعلى لا يمكن أن يكون قد نظم العالم لغاية أخرى غير الخير العام .

ويعلق الأستاذ پول هازار على هذا فيقول :

إنها تأليهية شعرية ، تأليهية فى حالة التكوين . فقد أراد پوب أن يسبح بين أطراف المذاهب المتعارضة فى الظاهر ... وأن يؤلف ـ مستعيراً منها جميعها ـ مذهبا أخلاقيا يكون معتدلا دون أن يكون غير صلب ، وقصيراً دون أن يكون غير كامل . ولكنه خليط غير صلب ، ذلك الذى نجح فى إنتاجه ، لأن النقد قد استكشف عنده بحق ، وثنية ، وحلولية ، وجبرية ، وكاثوليكية ، لأنه كان يتحدث عن حالة الطبيعة التى كانت فى أصلها سعيدة تماما ، والتى فسدت ، وذلك ما يجعلنا نفترض الإيمان بالخطيئة العنصرية .

وفى هذا يعلن توماس دوكانسيه : « أن ذلك هو تحقيق الفوضى » ، ويصرح تين بأنه « مزيج من فلسفات متناقضة» ، ويصفه لويس كازاميان بأن « أقوى بحوثه الفلسفية -وهو « محاولة على الإنسان » - مصنوع من مطروقات مجددة مزدانة بإلهامات عصرية ...

إنها لتأليهية غير نقية ، تأليهية كانت تقطن فيها بضعة من عناصر المعرفة السيكولوجية التى كان يراد بالضبط إقصاؤها . إنها كانت مجهود إرادة ، أكثر منها يقينا عقليا ، وكانت قبولا للسر[1] ،

التأليهية الفرنسية :

تتمثل التأليهية الفرنسية فى صورتين مختلفتين كل الاختلاف عن الصورة الانجليزية . فأولى هاتين الصورتين فلسفية منبثقة عن العقل ، ولكنها تمتاز بعدائها العميق للمسيحية التى تتباين مع مبادئها كل التباين . وهذا النوع الذى ذاع فى كل أنحاء القارة هو من إنتاج فولتير .

أما الصورة الثانية التى لم تظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أى حين جعل العقل ينهزم أمام نظرية الحساسية ، فإنها يمكن أن تدعى بالتأليهية العاطفية ومبدعها فى فرنسا هو جان جاك روسو .

والآن إليك الصورة الأولى التى رفع فولتير لواءها .

تأليهية فولتير :

يعرف المشتغلون بالحركة العقلية أن فولتير لم يكن له مذهب فلسفى خاص ، وأنه لم يفعل أكثر من أنه أذاع أفكار لوك ونيوتون فى صورة واضحة محددة ، وأنه كان ينتزع منها فى أكثر الأحايين نتائج منطقية لم ينته إليها ذانك المفكران الانجليزيان . ولا جرم أن منشأ شهرته وخلوده ، هو أنه فهم وأفهم الآخرين ذلك التعارض العنيف الذى وجد بين النقطة التى قادت الفلسفة إليها العقل البشرى ، وطريقة التفكير والحياة لدى أكثر بنى الإنسان الذين رزحوا تحت إرهاق الأوهام والجهل والإفراط . ومما هو جدير بالتسجيل هنا أن طموح فولتير كان يهدف إلى التسامى بالحياة العقلية والدينية والخلقية والاجتماعية عند معاصريه إلى مستوى الفلسفة ، وأنه كان يعتمد فى كل هذا على نور العقل لا على التغيرات الباطنية للإنسان الذى سيبقى دائما كما هو بسبب أنانيته وأهوائه التى لم تكن ضارة إلا بوساطة جهله وأوهامه .

ومما هو غنى عن البيان أن المحيط الدينى يشغل أهم الأمكنة لدى ذلك الداعية المتحمس

---

(١) انظر صفحتى ١٥٠ ، ١٥١ من الجزء الثانى من كتاب الفكر الأوروبى فى القرن الثامن عشر تأليف الأستاذ بول هازار ترجمة الدكتور محمد غلاب .

للأفكار الجديدة التى ترمى إلى اقتلاع الآراء القديمة والحلول محلها .

ولما كان من أشياع الدين الطبيعى فإنه كان فى أوروبا كلها هو المؤله النظرى الأول ، وأنه هو الذى وضع القواعد المحددة للتأليهية فى « القاموس الفلسفى » تحت مادة المؤله حيث قال ما نصه : « المؤله هو إنسان مقتنع بوجود الكائن الأسمى الذى هو خير كما هو قادر ، والذى كون الكائنات المتمددة والنامية والحساسة والناطقة ، والذى يديم أنواعها ، والذى يعاقب الجرائم بلا قسوة ، ويثيب الأفعال الفاضلة بخيرية .

لا يعرف المؤله كيف يعاقب الإله ولا كيف يمنح الحظوة ، ولا كيف يصفح ، لأنه ليس متهوراً ليتباهى بمعرفة كيف يعمل الإله . ولكنه يعرف أن الإله يعمل ، وأنه عادل . إن الصعوبات التى تنتصب ضد وجود العناية ، لا تهزه فى عقيدته ، لأنها ليست سوى صعوبات كبرى ، وليست براهين . إنه خاضع لهذه العناية لا يلمح منها إلا بضع نتائج ، وبضعة ظواهر ، وبما أنه يحكم على الأشياء التى لا يراها حسب الأشياء التى يراها ، فإنه يعتقد أن تلك العناية تمتد فى جميع الأمكنة وجميع القرون .

ولما كان متحدا بهذا المبدأ مع بقية الكون ، فإنه لا يكون عضواً فى أية شيعة من الشيع التى تتناقض كلها . ودينه أقدم الأديان وأكثرها اتساعا لأن العبادة البسيطة لإله ما ، قد سبقت جميع مذاهب العالم ، وهو يتكلم بلغة تفهمها جميع الشعوب ، فى الوقت الذى لا تتفاهم فيه فيما بينها . وله إخوة من بيكين إلى كايين ، وهو يعد جميع الحكماء إخوة له . إنه يؤمن بأن الدين لا ينحصر فى آراء ميتافيزقية غير قابلة للتعقل ولا فى أجهزة عابثة بل ينحصر فى العبادة والعدالة » .

كان فولتير إذن مؤمناً بوجود الله ولكنه لم يلمح فى التدليل على وجوده إلا من حيث كونه علة غائية ، إذ يعلن أن هذه التحفة الفنية التى هى الكون ، تقتضى وجود إله أزلى أبدى مهندس . ومعنى هذا أن إله فولتير هو إله الطبيعة لا الإنسانية أى أنه إله يطلب منه ضمان نظام الكون ، لا إنقاذ الإنسان لأن هذا الأخير لم يكن قط فى خطر ، وأن دينه طبيعى لا يرى فى الإله إلا منشئا حكيما لطبيعة نافعة للإنسان . وإذن فتأليهيته متعارضة مع المسيحية . ومن ثم فإنه يسدد سهام المهاجمة العنيفة إلى باسكال الذى - بوصف بأنه فيلسوف مسيحى - يمثل بالنسبة إليه الخصم الأساسى . ولقد ظلت عاطفة كراهية المسيحية تنمو عنده شيئا فشيئا حتى ظفرت فى شيخوخته بالسيادة على كل ما عداها ، وجعل يعبر عنها بمغالاة

(البقية على صفحة ٤٩٩)

جلال الدّين السّيوطى

للأستاذ حسن الشّيخه

عالم جليل ، أملى على التاريخ آيات عبقريته بمحصوله العلمى الذى قد يكون فيه منقطع النظير بين أقرانه ولداته ، وبتآليفه التى زادت فى كثرتها عن كل ما له فى آفاق التأليف والتصنيف .

ترجم الشيخ لنفسه ترجمة وجيزة فى كتابه (حسن المحاضرة) فأغنانا بذلك عن كثير . وأقيم بحثى هذا على أربعة أسس :

الأول — تأثير سيرة والده فيه .

الثانى — بيئته العلمية وحالة الأزهر فى أيامه

الثالث — عبقريته .

الرابع — مؤلفاته .

* * *

والده وأثره فى حياته :

ترجم الشيخ لوالده فقال: هو الشيخ كمال الدين أبو المناقب السيوطى، الذى توفى وسنى ولده جلال الدين ستة أعوام. وقد تأثر الولد بسيرة أبيه ميتا أكثر مما كان يتأثر بها حيا .

اشتغل ببلده أسيوط وتولى القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، وهذا يدلنا على أن مدارسة العلم فى هذه الحقبة لم تكن قاصرة على الأزهر وإنما كانت فى كثير من عواصم البلاد . كما هو الحال الآن ، ثم ذكر لنا كيف كانت أحوال أبيه بعد قدومه إلى القاهرة . حيث درس على كبار الشيوخ علوم الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعانى والمنطق والحديث ، ثم يقول (وأتقن علوما جمة ، وبرع فى كل فنونه . وأقر له كل من رآه فى صناعة الإنشاء. وأذعن له فيه أهل عصره بل كان شيخنا قاضى القضاة شرف الدين المناوى فى أوقات الحوادث يسأله فى إنشاء خطبة تليق بذلك ليخطب بها فى القلعة ثم يقول عن والده من الناحية الخلقية :

وكان على جانب عظيم من الدين والتحرى فى الأحكام وعزة النفس والصيانة ، يغلب عليه حب الانفراد وعدم الاجتماع بالناس .

ثم عدد تآليفه فى مختلف العلوم .

فقال :

« وله من التصانيف حاشية على شرح الألفية لابن المصنف . ، وحاشية على شرح العضد كتب منها يسيرا ، ورسالة فى الإعراب وأجوبة على اعتراضات ابن المقرى على الحاوى وله كتاب فى التصريف ، وآخر فى التوقيع » .

هذه خلاصة وافية لما كتبه الشيخ جلال فى ترجمة والده ، وقد أسلفت أنه تركه بالموت

وهو فى سن السادسة . فكيف ـ وهذه هى الحال ـ كتب ترجمة أبيه المتوفى ، وكيف تأثر بحياته ؟ .

إنه لم يشاهد من حالات والده إلا حالة واحدة ساعده على مشاهدتها أنه كان يقوم بها فى منزله . أما غيرها فلم يشاهده فيها. هذه الحالة هى التى حدثنا عنها بقوله :

« ... مواظبا على قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، ولم أعرف من أحواله شيئا بالمشاهدة إلا هذا » .

وقد وجد عند والده كل آثاره العلمية والأدبية فحببه ذلك فى الانقطاع لطلب العلم والأدب .

الأزهر فى عهده :

ننتقل بعد ذلك إلى بيئة جلال الدين العلمية وحالة الأزهر وطلبته فى عهده .

الحقبة التى انتسب فيها جلال الدين إلى الأزهر هى منتصف القرن التاسع الهجرى . وكان الأزهر فى ذلك الوقت قد قطع فى بعثه الجديد أشواطا فإنه بعد أن عطله عن الحياة حسا ومعنى ـ السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ليزيل بذلك كل أثر للفاطميين . واستبدل به مدارس تدرس فيها المذاهب الأربعة ـ بعد هذا جاء عهد السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة . فقد ولى هذا السلطان ملك مصر عام ٦٥٨ هجرية وكان ـ أول ما عنى به من الشئون ـ بعث الأزهر بعثا جديدا بترميمه بعد التهدمة ، وبإعداده ليكون معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الدينية ، كما تدرس فيه العلوم العقلية مثل (المنطق ـ آداب البحث والمناظرة) أما علوم التاريخ والجبر والمقابلة والإنشاء والأدب ، فلم يكن لها نظام معين تدرس به . فقد تدرس وقد لا تدرس ، وإذا رغبها طالب لم يرغب فيها طلبة .

لم يكن هناك مناهج ولا أوقات تضبط الدروس وتحدد أوقاتها . كما أن الطلبة كانوا أحراراً فى كل شىء : فى العلم الذى يختارونه . وفى الشيخ الذى يحضرون عليه ، هذه الحرية فى التحصيل هى التى مكنت الرعيل الذى كان فيه السيوطى من الإجادة والإتقان والتبحر فى مختلف أنواع العلوم والفنون . فكانوا أعلاما نابهين . أمثال السيوطى ، والعز بن عبد السلام ، والقرافى ، وابن هشام والسبكى وأبناؤه ، وزكريا الأنصارى وغيرهم :

كما كان الزهد فى المال ، طابعا للطلبة يقول العلامة ابن دقيق العيد :

لعمرى لقد قاسيت بالفقر شدة
وقعت بها فى حيرة وشتات
فإن بحت بالشكوى هتكت مروءتى
وإن لم أبح بالصبر خفت مماتى
وأعظم به من نازل بملمة
يزيل حياتى أو يزيل حياتى

عبقرية السيوطى :

إذا لم يكن الشيخ قد حدثنا فى ترجمته لنفسه عما يدلنا على عبقريته ـ فإننا نستطيع الحكم عليها من غزارة مادته العلمية، ووفرة مؤلفاته.

تحدث عن قوة حافظته فقال :

« حفظت القرآن ولى دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك، حفظ كل هذه المحفوظات قبل أن ينقطع إلى طلب العلم بالأزهر كما حدثنا .

وتحدث عن تبحره فى العلوم وتعمقه فى فهمها .

« ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع ... والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة ـ سوى الفقه ـ والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخى ، فضلا عمن هو دونهم ... ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها الفعلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله... ».

ويقول أيضا : « وقد كملت عندى آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى » .

ثم يقول فى مقدمة كتابه (المزهر فى علوم اللغة) .

« هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت تنويعه وتبويبه . وذلك فى علوم اللغة وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الأحاديث فى التقاسيم والأنواع ، وأثبت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتنى فى تمهيدها ببيان المسالك ، غير أن المجموع لم يسبقنى إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلى طارق » .

هذا ما كتبه الشيخ متفرقا فى ترجمته لنفسه ، وفى مقدمات بعض كتبه .

* * *

مؤلفات الشيخ :

يقول السيوطى ـ « وقد بلغت مؤلفاتى للآن ثلثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه » .

ومن هذا العدد الكبير نعرف أنه كان سريع الكتابة إلى حد كبير، وهو فى ذلك يشبه إمامنا الجاحظ فى السرعة لا فى إشراق الأسلوب ، ولا فى متانة التعبير ، ولا فى إجادة الإنشاء .

إن الثلثمائة كتاب التى ألفها السيوطى تدور فى مدار العلوم الآتية كما ذكرها هو بتعبيراته :

١ ـــ فن التفسير وتعلقاته والقراءات .

٢ ـــ فن الحديث وتعليقاته .

٣ ـــ فن الفقه وتعلقاته .

٤ ـــ الأجزاء المفردة (وهى المؤلفات التى يتناول كل منها مسألة واحدة) .

٥ — فن العربية وتعلقاته .
٦ — فن الأصول والبيان والتصوف .
٧ — فن التاريخ والأدب .

هل درس السيوطى كل هذه العلوم فى الأزهر؟ إذا صح أنه درس التفسير والحديث والأصول واللغة العربية وبقية ما عرف من العلوم الأزهرية فى وقته ، فهل درس أيضا التاريخ والأدب على الصورة التى رسمها لنا فى تعداد الكتب التى ألفها ؛ إنه لم يترك طبقة من الطبقات إلا ألف فيها كتابا : (الصحابة - الحفاظ - النحاة كبرى ووسطى وصغرى - المفسرين - الأصوليين - الكتاب - الشعراء - الخلفاء) .

كما أنه ألف فى التاريخ العام والخاص والرحلات كتبا كثيرة مثل (حسن المحاضرة - رفع الباس عن بنى العباس - ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ - رفع شأن الحبشان ... الرحلة الدمياطية) .

فهل درس الطبقات والتاريخ وكتب اللغة والأدب فى الأزهر فأهلته المدارسة ليؤلف فيها بهذه الغزارة كما ألف فى العلوم الأزهرية ؟

إن السيوطى كانت له صوفية علمية تجعله يدرس التاريخ والسير والمغازى على نفسه ، ولم يكن فى الأزهر حلقات لمثل هذه العلوم .

* * *

لقد شبهت جلال الدين السيوطى بالجاحظ فى سرعة الأداء والكتابة ، ولكننى فرقت بينهما من حيث طلاوة الأسلوب ، وإشراق الديباجة . والآن أشبه مرة أخرى السيوطى بالجاحظ فى كثرة الاطلاع ومتنوع الدراسات ، فلقد كان الجاحظ يستأجر دكاكين الوراقين ليطلع على ما فيها من كتب وربما كان يقضى فيها الليالى بأكملها لنهمه فى القراءة والاطلاع . وكذلك الشيخ السيوطى فإنه لم يترك كتابا فى زمانه إلا قرأه واستفاد به .

رحلات الشيخ السيوطى :

وقد كانت له رحلات ، ولكنه لم يكشف لنا عن الدافع إليها ، فقد قال فى ترجمته .

« وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، وهى رحلات بعضها شاق طويل ، وأى رحلة أبعد من الهند ؟ وأى متاعب أقسى فى زمنه من الجمع بين الرحيل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والغرب والتكرور؟ إنه طوف فى ذلك بأكثر أجزاء نصف الكرة الشرقى .

وقد ولد السيوطى عام ٨٤٩ وانتقل إلى رحمة الله عام ٩١١ هجرية ؟

حسن الشيخ

الإسلام فى امريكا الجنوبية

للدكتور جمال الدين الرمادى

يقال: إن العرب حاولوا اكتشاف أمريكا الجنوبية فى القرن العاشر الميلادى أو أوائل القرن الحادى عشر ، ويستند أصحاب هذه الرواية إلى ما كتبه الإدريسى المؤرخ المعروف فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » فقد ذكر عند الكلام على جغرافية الأندلس أن جماعة من مسليها من أهل « الحامة » على مقربة من لشبونة يعرفون بالمغرورين وهم ثمانية فتيان إخوة أو أبناء عم أنشئوا لهم مركبا كبيراً وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم خرجوا إلى بحر الظلمات من ثغر لشبونة عند مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب نحو أحد عشر يوماً ، وفى ذلك يقول الإدريسى : فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الرائح كثير « التروش »[1] قليل الضوضاء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم باليد الأخرى وجروا مع البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوما فخرجوا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لها ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا فيها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هنالك فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها ، فرأوا فيها رجالا شقراً زعراً ، شعورهم مسبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ، ثم سألهم عن حالهم وفيما جاءوا وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأخبرهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان فى اليوم الثانى ، أحضروا بين يدى الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الأخبار والعجائب فيقفوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك ضحك.

---

(١) هكذا فى نسخة مختصر : « نزهة المشتاق » المطبوعة فى روما سنة ١٥٩٦ ويظهر أن المقصود : « الفروش » وهى نوع من السمك للفترس .

وقال للترجمان أخبر القوم أن أبى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا بغير حاجة ولا فائدة تجدى .

ويقول الإدريسى بعد ذلك إن الملك اعتقلهم ثم أمر بتقييدهم وتركوا على الشاطئ حتى أنقذهم لفيف من البربر وأعلموهم أن بينهم وبين الأندلس مسيرة شهرين وأن المكان الذى رسوا فيه يقع فى أقصى المغرب

ولا يستبعد أن يكون الشاطئ الذى رسوا فيه جزيرة سان بول أو إحدى جزر فرناندو فى الواقعة فى مياه أمريكا الجنوبية على قيد نحو مائة وخمسين ميلا من شرق البرازيل . فإن مثل هذه المدة التى قطعوها تحملهم إلى هذه المنطقة ولا يستبعد بعد ذلك أن يكون هؤلاء العرب قد استوطنوا فى هذه الجزيرة ثم توغلوا فى القارة الجنوبية ونشروا دين الإسلام هناك بين طائفة محدودة من الناس .

ولقد ازداد تيار الهجرة فى العصر الحديث إلى الأمريكتين ولم تكن إذذاك قائمة على جماعات منظمة ذات برامج معينة تهدف إلى تأسيس مستعمرات أو إنشاء مدن جديدة كما كانت عند الفينيقيين .

ولم تتجه الهجرة إلى بلاد ومناطق تضمها الإمبراطورية أو الحكومة الواحدة كما كانت هجرة السوريين إلى بلاد الإمبراطورية الرومانية أو العثمانية أو الخاضعة لحكم العرب ، إنما كانت إلى الأمريكتين حيث الطموح إلى الرزق السابغ والعيش الوارف والحياة الحرة الطليقة من التقاليد والقيود الاجتماعية والسياسية ، ولابد أن المقيم كان يشجعه على الهجرة نجاح أخيه المغترب فيرحل قسم كبير من أفراد الأسرة أو القرية أو المدينة بالتدريج وقد يتوجهون لنفس المنطقة

وقد علقت مجلة « الجديد » التى تصدر فى سان باولو بالبرازيل على الهجرة قائلة « وإن المهاجرين الذين استدانوا أجرة السفر فى أدنى الدرجات ونالهم ما لا يتحمله البشر من سماسرة بيروت ومرسيليا وشراسة بحارة البواخر الأجنبية التى كانت تقلهم إلى هذه الديار ، أصبحوا اليوم والكثيرون منهم أصحاب المعامل الكبرى والتجارات الواسعة والمزارع المترامية الأطراف ، وهؤلاء يسكنون اليوم القصور الفخمة المزدانة بأفخر الأثاث والرياش والمجهزة بأحدث أسباب الراحة والرفاهية ولا يعرفون غير السيارات البديعة مركبا » .

ونجح السوريون فى مختلف الأعمال بالجد والنشاط والأمانة وطلاوة اللسان حتى ضربت بهم الأمثال فى البرازيل فجاء فى المثل البرازيلى « إننى أعمل كسورى » وأقبل بعض

المغتربين على شراء العقارات مثل عبد الله الحداد الذى اشترى ١٩١٢ مليون متر مربع من الأرض فى نواحى سان باولو فى البرازيل وقسم الأرض إلى مربعات وشـــق فيها الشوارع ومد الأسلاك الكهربائية واستطاع بعد سنوات أن يبعث العمران فيها ويضيف إلى خريطة « سان باولو » حياً جديداً عامراً بالسكان يخترقه شارع كبير يسمى شارع سوريا وأدخلت المطابع العربية فى البرازيل وأنشئت مدارس للمرضات وطبع كثير من الكتب العربية وصـــدرت هناك مجلات عربية كثيرة وتعاون المسلمون والمسيحيون هناك على رفع مستوى العربى بعدما كان كثير منهم يئن هو وآباؤه وأجداده من الحكم العثمانى ومن العثمانيين الذين كانوا يطلقون على العربى « كلب عرب » امتهانا لكرامته وتحقيرا لشأنه ، وقد ألفت فى أميركا الجنوبية رابطة للأدباء والشعراء تسمى رابطة العصبة الأندلسية وقد قامت فى أميركا الجنوبية بعد قيام الرابطة التعليمية فى أميركا الشمالية بنحو خمسة عشر عاما وكان أول رئيس لها ميشال معلوف عام ١٩٣٥ .

وقد حاولت هذه العصبة الأندلسية أن تزيل الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ونظم شعراؤهم قصائد شتى فى هذا الميدان ومنهم الشاعر رشيد الخورى المعروف بالشاعر القروى الذى يقول فى إحد قصائده :

لم يعن هـذا الشعب أنى شاعر
حـر ... يحب بـلاده متفانى
بل كل ما يعنيه هل أنا مسلم
لله أم أنا لم أزل نصـرانى
إنى على دين العروبة ... وأقف
قلبى على سبحانها ولسانى
إنجيلى الحب المقـدس لأهلها
والذود عن حرماتها فرقانى
يا مسلمون ويا نصارى ... دينكم
دين العروبة ... واحد لا اثنان

وقد كان من أعضاء هـذه الجمعية بعض الشعراء المسلمين كما كان منهم ولا يزال بعض رجال الأعمـال فى أمريميركا الجنوبية فى الأرجنتين والبرازيل وكلومبيا وفـنزويلا وأكوادور وغـيرها من أقاليم أمريكا الجنوبية وهم يقومون بدور كبير فى ميـدان الحضارة والتقدم ويعيشون جنباً إلى جنب مع أهالى البلاد فى مودة وإخاء .

ويقوم المسلمون بأداء شعائرهم الدينية فى المساجد والجوامع المنتشرة فى أحياء متفرقة من أقاليم أميركا الجنوبية وهناك عدد كبير من الزنوج الذين أسلموا نتيجة لحركة التبشير الدينى التى قام بها العرب الوافدون من أسبانيا وبلاد المغرب ومن الوطن العربى ، إلى جانب تأثرهم بحركة التبشير الدينى بين الزنوج التى ذاعت فى حى هارلم بأميركا الشمالية .

جمال الدين الرمادى

من روائع الفكر الروحى

الانفعال الخلاّق

عند الفيلسوف الفرنسى برجسون

للأستاذ محمد فتحى عثمان

« الحكمة ضالة المؤمن
أنى وجدها فهو أحق بها »

هو فيلسوف الروح فى القرن العشرين ... وهو صاحب البدائع والروائع (الطاقة الروحية)،(التطور المبدع)،(الزمان والحرية) .

لقد أبرز برجسون معالم (الانفعال) فى أغوار الإنسان ، وسجل أرصادا دقيقة فى جنبات الوجدان ... وقدم فى كتبه نتيجة دراساته ، فحاول إيضاح حقيقة الانفعال ليتميز عن غـــيره من سائر الأحاسيس : فى طبيعته ، وفى نتيجته ، وفى وسيلته .

« وهنا نتذكر الطابع الانفعالى للنظرية البرجسونية ، فالفكرة الخالصة لا يمكن أن تنتهى وحدها إلى فعل ، والتصور لا يمكن أن يؤدى إلى غير تصور . إن تجريداتنا الفكرية وحدها لا تنبت الحركة ما لم تكن ثاوية فيها من قبل !

ويمكن أن نشبه اعتراض برجسون على المذهب العقلى بالاعتراض الذى وجهه شلبنج إلى هيجل : إذا بدأنا بالتصور ، فمهما نوسعه ونضخمه ونمدده ـ فلن نحصل أبدا إلا على تصور ! !

فالعقل كما بين برجسون فى (التطور المبدع) شرطى ، ومن شأنه أن يقيم العلاقات بين الأشياء ... أما الاختيار الفعال لممكن من من الممكنات العديدة فهذا ما لا يمكن تفسيره بالعقل ، ولن يفسره إلا الانفعال ! .

فبدون الانفعال لا تكون غاية ، ولا يكون (سبب كاف) ، بل تكون كل الممكنات سواسية ! .

إن الانفعال هو الذى يبث فى أفكارنا الشوق إلى الوجود ... ! ! » .

هكذا قدم الأستاذان الدروبى وعبدالدايم ترجمتهما لتحفة برجسون الذهنية الرائعة (منبعا الأخلاق والدين) ، وهو كتاب

نقدم منه لمحات تبرز أهميته بالنسبة لدعاة الفكرة الدينية فى هذا العصر .

* * *

يقدم برجسون لدراسته بتبصير الإنسان بنزعاته الاجتماعية ...

« المجتمع ـ إنسانيا كان أم حيوانيا ـ إنما هو نظام ، لأنه ينطوى على اتساق وترتيب ، ويقتضى بوجه العموم خضوع العناصر بعضها لبعض : إنه جملة من القواعد والقوانين : إما أن يحياها المجتمع من غير أن يشعر بها ـ وهذا هو شأن المجتمع الحيوانى ، وإما أن يحياها ويتمثلها ـ وهذا هو شأن المجتمع الإنسانى ...

وإن مجموع الواجب كان يمكن أن يكون غريزيا ، لو أن المجتمعات الإنسانية لم تكن مزودة بعقل واستعداد للتبدل ، هو غريزة كامنة كتلك التى تكمن فى عادة الكلام » .

ومثل هذه النزعات الاجتماعية الضرورية ليست هى الأخلاق فى أفقها السامق الشامخ الرفيع ! ! إنها امتداد للأنانية الشخصية وإن بدت فى قالب غير شخصى ! !

« لأن الفعالية العقلية التى قد تخيرنا فى الواقع بين المصلحة الشخصية والمصلحة الغيرية يربض تحتها جوهر أصيل هو الفعالية الغريزية التى أقامتها فنيا الطبيعة منذ البداية ، ويكاد فيها أن يختلط ما هو فرى بما هو اجتماعى ! !

إن الخلية تعيش لذاتها وتعيش للكائن الحى كله تمده بالحياة ، وتستمد منه الحياة ، وإذا اقتضى الأمر ضحت بنفسها فى سبيل المجموع ، ولعلها تقول لنفسها حينذاك ـ لو كانت تعى ـ إنها تفعل ذلك من أجل ذاتها ! !

إن الإلزام يتضمن فى الأصل حالة يكون فيها ما هو فردى وما هو اجتماعى مختلطين لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والنفس لكونها فى هذه الحال فردية واجتماعية معاً تدور فى دائرة ... فهى مغلقة ! ! » ، « لأن التضامن الاجتماعى لا يكون إلا فى أن تنضاف فى كل منا (الأنا اجتماعية) إلى (الأنا الفردية)... »

فلنستمتع إذن مع برجسون بجولة فى آفاق الأخلاق الحقيقية العليا ... إن هذه الأخلاق تصدر عن انفعال مغاير متميز ، إن الانفعال الجديد هو الذى تصدر عنه عظائم مبدعات الفن والعلم والحضارة ، لا باعتباره حافزاً يهيب بالعقل أن يعمل ، ويهيب بالإرادة أن تدأب ـ فحسب ـ فالأمر أبعد من هذا . فهناك انفعالات خلاقة للفكر ، والابتكار ـ وإن كان عقليا ـ فإن الانفعال جوهره الثاوى فى أعماقه !

يجب أن نتفاهم على مدلول هذه الكلمات : انفعال ، عاطفة ، حساسية ... الانفعال هزة عاطفية فى النفس ، ولكن شتان بين رجة

تقـــوم على السطح و بين زلزال يعصف فى الأعماق ! الأثر فى الحال الأولى يتبدد ، أما فى الثانيـة فيمكث لا يتجزأ ، هو فى الأولى اهتزاز الأجزاء من غير انتقال أما فى الثانية فالكل مندفع إلى أمام ... ! !

هنالك نوعان من الانفعال . . . ضربان من العاطفة . . . شكلان من الحساسية . . . لا يشترك الواحد منهما مع الآخر إلا فى أنه حالة انفعالية مختلفة عن الإحساس لاترد مثله إلى الانعكاس النفسى لمنبه مادى .

. الأول : العاطفة التى تلى فكـرة أو صورة متمثلة . . . فتكون الحالة الانفعالية ناتجة عن حالة عقلية لا تدين لهـا بشىء بل تكتفى بذاتها ، وإذا تأثرت بهـا على صورة غير مباشرة خسرت أكثر مما تربح ... فهذا هو ارتجاج الحساسية بتأثير تصور يقع على صفحتها .

. أما العاطفة الأخرى: فليست ناجمة عن تصور فتعقبه وتبقى متميزة عنه ، بل هى سبب للحالات العقلية التى ستعقبها ـ لا نتيجة لها ! !

فهى حبلى بالامتثالات ، وهذه الامتثالات وإن لم تكن تامة التكوين إلا أن العاطفة ستشلها من بذرتها بتطور عضوى .

الانفعال الأول (تحت ـ عقلى)، وهو مايعنى علم النفس بصورة عامة . وهو ما إليه يقصد حين يوازن بين الحساسية والعقل ، أو حين يعتبر الانفعال انعكاسا غامضا للتصور . أما الانفعال الثانى فنحن نقول عنه إنه (فوق عقلى) ، ولا يفهمن من هـذا القول العلو بالقيمة فحسب ، بل السبق فى الزمن أيضا ، والنسبة بين ما هو مولّد وما هو مولّد !

إن الانفعال الذى يمكن أن يكون مبدعا لأفكار إنما هو هذا النوع الثانى ... إن علم النفس لما يزل فريسة لخداع اللغة ، فإنه يسمى باسم واحد أنماطا شتى من الانتباه تختلف باختلاف الحالات ، يفترض أنها من نوع واحد ولا يرى فيها إلا اختلافا فى الشدة والمقدار !! . . أما نحن فلن نتكلم فى الاهتمام بوجه عام ، بل نقول إن الأمر الذى يثير الاهتمام امتثال مبطن بانفعال . والانفعال ـ وهو هذا المزيج من حب الاطلاع والرغبة والفرح الذى يسبق حل مسألة معينة ـ إنما هو فريد كالامتثال ، وهو الذى يدفع بالعقل إلى أمام ، ويحطم الحواجز والصعوبات . وهو الذى ينعش العناصر العقلية التى يتحد بها ، بل يحييها ويروح يلتقط كل ما يمكن أن ينتظم معها ، حتى تتفتح معطيات المسألة . والأثر العبقرى فى الأدب والفن إنما هو نتاج انفعال فريد فى نوعه .

كل من توفر على التأليف الأدبى قد عرف ماهنالك من فرق بين العقل الصرف ، وبين العقل الذى يحرقه انفعال أصيل فريد ناشئ

عن اتحاد المؤلف بموضوعه ـ أى ناشئ عن حدس الذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود: فيؤلف بين أفكاراً قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلمها إليه المجتمع جامدة متصلبة، أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تتصهر فى بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صُبت أفكاراً جديدة يعلنها الفكر، وإذا وجدت هذه الأفكار ما يعبر عنها من الألفاظ الموجودة كان هذا حظاً غير مأمول، ولا بد فى الواقع من أن نساعد الحظ ونفسر معنى اللفظة حتى تتكيف على حسب الفكرة، والجهد هنا شاق مؤلم والنتيجة تابعة للصدفة فليست مضمونة . ولكن هنا فقط يشعر الفكر أو يوقن أنه مبدع ، فهو لا يتناول عناصر موجودة متعددة ثم يؤلف بينها فينتهى بها إلى وحدة قد رتبت فيها العناصر ترتيبا جديدا ، إنه ينتقل دفعة واحدة إلى شىء واحد فريد يحاول أن يعرض نفسه فى تصورات متعددة عامة مصبوبة سلفا فى ألفاظ!.

* * *

على أساس هذا التوضيح اسمات الانفعال الأصيل ، وهذا التميز بينه وبين غيره ، يقيم برجسون تفرقة بين نوعين من الأخلاق :

« وعلى هذا فإن الأخلاق قسمان متميزان : الأول علة وجوده البنية الأصلية للمجتمع الإنسانى ، وعلة الثانى المبدأ الذى أوجد هذه البنية . والإلزام فى الأول هو ضغط عناصر المجتمع بعضها على بعض بغيه الإمساك بصورة المجموع، ونتيجة هذا الضغط مرسومة فى كل منا بجملة من العادات نأخذ بها أنفسنا وهذه الآلية هى فى عناصرها عادات، ولكنها فى مجموعها شبيهة بالغريزة وقد هيأتها لنا الطبيعة .وفى الثانى ثمة شىء سموه إن شئتم إلزاما ، ولكن هذا الإلزام هو قوة تطلع أو وثبة ، بل هو قوة هذه الوثبة نفسها التى أوجدت النوع الإنسانى وأوجدت الحياة الاجتماعية ، وأوجدت مجموعة من العادات تشبه الغريزة بعض الشبه ، ولكن الحافز يتدخل تدخلا مباشرا فلا يتخذ وسيطا تلك الآليات التى عبأ لوابها ووقف عندها مؤقتا » .

وقد نتساءل الآن عن مكان الإيمان فى تصنيف برجسون لمعالم المشاعر المتباينة ؟ ؟

إنه يجيب ، قالوا : إن الدين حين ينزل على الناس بأخلاق جديدة فإنما يفرضها بالفلسفة الميتافيزيقية التى يجعل الناس يسلمون بها وبما يأتى به من آراء فى الله وفى الكون وفى صلة أحدهما بالآخر .

وأجاب بعضهم : لا بل إن الأمر على عكس هذا ، فالدين إنما يستميل نفوس

الناس ويهيئها لنظرة جـــديدة فى الوجود بأفضلية الأخلاق التى ينزل بها ... وفى اعتقادنا أن كلا الرأيين خطأ ! ! !

فكيف يمكن للعقل أن يدرك أفضلية الأخلاق التى تعرض له ، وهو لا يقدر تفاوت القيم إلا بالموازنة بينها وبين قاعدة أو مثل أعلى ـ هما بالضرورة ما تقدمه الأخلاق الموجودة ! ! ؟ ؟

وأما النظرة الوجودية التى يأتى بها الدين فليست إلا فلسفة جديدة تضاف إلى ما نعرف من فلسفات ، وهب العقل سلم بها فلن نرى فيها إلا تفسيراً نظريا يفضل على غيره من سائر التفاسير ! بل هبها لفرط انسجامها مع ذاتها تأمر ببعض القواعد الجديدة فى العمل، فإن بين القبول العقلى والانقلاب الإرادى لشقة بعيدة ! !

* لا الفلسفة من حيث هى امتثال عقلى محض تجعلنا نأخذ بالأخلاق أو نعمل بها .

* ولا الأخلاق من حيث هى مجموعة من القواعد يدركها العقل تجعلنا نفضل العقيدة تفضيلا عقليا . . .

فقبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزيقا. هنالك الانفعال ! ! يتجلى من جانب الإرادة فى وثبة ، ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! ! !

انظر إلى هـــذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى إثرها عقيدة معينة ! فلا هذه الفلسفة هى التى فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هى التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة . . . وإنما كلتا الفلسفة والأخلاق يعبر عن شىء واحد:

* الأولى تعبر عنه بلغة العقل . . .

* والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة . . .

ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسسنا بالمعبر عنه.

إلى هنا أوضح برجسون فلسفته فى تكييف الانفعالات وتصنيفها ، وطبق أصولها على مشاعر الأخلاق والدين . . .

وهـــذا العرض محاولة لإبراز تفكير برجسون — التى تبهر روعته أشد مخالفيه جحوداً ! ! ـ وسوف يظفر القارئ بالمتعة الكبرى حين يصاحب برجسون مباشرة وحين يتابع كلامه فى أى موضوع ـ ولو كان (الضحك) ـ فستذهله دقة العالم فى الملاحظة والمشاهدة والاستقراء ، وعمق الفليسوف فى الاستبصار والاستنباط والحدس . . .

ولبرجسون نظرات موفقة فى الآثار الاجتماعية للانفعال الأصيل الخلاق وفى الأدوات والوسائل التى تهيئ لهذا الانفعال مجال الانطلاق من مكامنه . . . موعدنا معها عدد تال — بتوفيق الله .

فتحى عثمان

الدّعوى الجنائيّة فى التّشريع الإسلامى

للأستاذ محمّد عطيّه راغب

لبحث موضوع الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى ، سنقسم بحثنا هذا إلى مبحثين ، أولهما لتقسيم الدعوى الجنائيـة ، وثانيهما لمن يباشر هذه الدعوى فى الشريعة .

تقسيم الدعوى :

يمكن القول بأن الدعاوى بحسب الشريعة الإسـلامية تنقسم إلى دعوى تهمة ودعوى غير تهمة ، فدعوى التهمة أن يدعى فعلا محرما على المطلوب يوجب عقوبته مثل قتل، أو قطع طريق ، أو سرقة ، أما غير التهمة فـكالدعوى المدنية والتجارية المتعارف عليها اليوم فى القوانين الحديثة .

ويقسم الفقهـاء دعوى التهمة إلى ثلاثة أقسام ، فهم يرون أن المتهم إما أن يـكون بريئا ليس من أهل تلك التهمة ، أو فاجرا من أهلها ، أو مجهول الحال لا يعرف الوالى أو الحاكم حاله ، فإن كان بريئا لم تجز عقوبته اتفاقا ، واختلفوا فى عقوبة المتهم له على قولين أرجحهما يعاقب صيانة لتسلط أهل الشر والعـــدوان على أعراض الأبرياء ، وهنالا قول لمـالك وأشهب ألا أدب على المدعى فى مثل هذه الحالة إلا أن يقصد أذية المدعى عليه وعيبه وسبه ، وقال بعضهم (١) يؤدب قصد أذيته أم لم يقصد . على أن هناك خلافا فى جواز سماع الدعوى فى هذه الحـالة بمجرد قول المدعى بدون يمين ، فقيل : إن كان حقـا لآدمى ففيه قولان مبنيان على سمـاع الدعوى فإن سمعت الدعوى حلف لها وإلا لم يحلف ، والمشهور أنه لا تسمع الدعوى فى هذه الصورة ولا يحلف المتهم لئلا يتطرق الأشرار إلى الاستهانة بأهل الفضل .

وأما إذا كان المتهم مجهول الحال لا يعرف ببر أو فجور فهذا يحبس حتى ينـكشف حاله عند عامة علماء المسلمين ، والمنصوص عليه عند أكثر الأئمة أنه يحبسه القاضى والوالى، وإذا كان المتهم معروفا بالفجور كالسرقة ، وقطع الطريق ، والقتل ، ونحوذلك، فمتى جاز حبس المجهول فحبس هذا أولى فيحبس حتى يتثبت القاضى من أمره .

وقد ثبت أن الشريعة الإسلامية قد عرفت تقسيم الدعاوى الجنائيـة إلى دعوى جنائية عامة ودعوى جنائية خاصة ، وسوف نتـكلم فيما بعد عمن يباشر الدعوى سواء أكان الفرد أم الدولة ، ولـكننا نود أن نذكر هنا أن

(١) وهو قول ضعيف .

الدعوى الجنائيـة العامة إنمـا تتأثر بالعفو أو النزول عنها ، فليس من شك فى أن الفرد لا يملك النزول عن هذه الدعوى ، إذ أن إقامته لها أو مباشرته إياها إنما هى نوع من أداء واجب ألقاه عليه الشارع ، والواجب بطبيعته لا يقبل من المـكلف به النزول عنه، وإن ساغ منه تركه لهذا الواجب .

وكذلك قيام ولى الأمر بتحريـــك الدعوى الجنائية العـامة هو واجب عليه ، بل إن ولى الأمر فى ذلك تقـدم على الفرد فى الوجوب ، إذ أن ضرورة الفرض على أفراد الناس عينا إنما يأتى نتيجة ترك ولى الأمر لهذا الواجب المقصود هو به أصلا ، وعلى ذلك فالمرجح أنه ليس لولى الأمر ، ولو لوالى المظالم ، ولا للمحتسب ، النزول عن دعوى أقامها أى منهم ولا أن يطلب إلى القاضى وقفها أو الامتناع عن النظر فيها، فإن مقتضى ولاية القاضى من رفع إليه النزاع هو أن يفصل فيه بحكم الله .

أما الدعوى الجنائية الخـاصة ، وهى طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، لـكل دعوى ترتبت على جريمة نالت الفـرد المجنى عليه مباشرة وعلق الشارع قيامها على طلبـــه ، فمباشرتها رهن بمشيئة المجنى عليه فيها أو وليه إن شاء أقام الدعوى وإن شاء أوقفهـا أو أنهاها ، أو عفا عن العقوبة، أو صالح عليها ، ولو بعد صدور الحـكم فيها ، ومثال الجرائم التى تترتب عليها هذه الدعوى الجنائية الخاصة جرائم الأموال ، وجرائم القتل ، والجرح.

من يباشر الدعوى ؟

إن مباشرة الدعـوى الجنائية العـامة فى الشريعة الإسلامية هى حق للفرد من جهة وللدولة من جهة أخرى . ويمكن الإشارة إلى كل من الفرد والدولة فى هـذا الصدد على التوالى فى مطلبين اثنين :

الفرد :

أسلفنا أن الشريعة الإسلامية قد عرفت التفرقة بين الجريمة العـامة والجريمة الخاصة وعلى ذلك فقد عرفت فيها الدعوى العـامة والدعوى الخاصة ومفهوم عمومية الدعوى الجنائية أنهـا ملك للجماعة ، فللدولة باعتبارها ممثلة للجماعة وكذلك للفرد باعتباره عضواً فى الجماعة وباعتباره الأصل فيها ، أن يباشر لـكل منهما هـذه الدعوى معا أو على استقلال .

ونظرة الشريعة الإسلامية إلى حق الفرد فى إقامة الدعـــوى الجنائية إذا لم يكن مجنياً عليه مباشرة فيها ، هى نظرة إلى واجب ألقاه عليه الشارع ، ومن مستلزمات القيام به أن يمـكن من حق إقامة الدعوى الجنائية والوصول بهـا إلى العقاب .

ويمكن القول هنـــا بصفة عامة

أن طرق الاتهام فى الشريعة الإسلامية على نوعين ، أولها طريق اتهام شخص يسلكه كل إنسان وقع عليه أو على ماله أى تعد ، فيرفع الدعوى مباشرة أمام القاضى الذى يقبلها متى استوفت الشرائط المطلوبة وبصرف النظر عن كون هذا التعدى يعتبر تعديا على حق من حقوق الله أو من حقوق العباد ، وثانيهما اتهام عمومى جائز لكل إنسان فى حالة واحدة ، وهى حالة حصول تعد على حق من حقوق الله ولو كان هذا التعدى لم يلحق بالمدعى أى ضرر شخصى .

الدولة :

من الثابت أن الدعوى الجنائية العامة كان يباشرها عن الدولة فى ظل نظام الشريعة الإسلامية جهتان : الأولى منها والى المظالم ، والثانية المحتسب . ونتكلم فيما يلى عن كل من هاتين الجهتين فى الفرعين الآتيين :

ولاية المظالم :

ولاية المظالم هى قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة .

ويذهب البعض إلى أن مهمة النظر فى المظالم هى خطة حدثت لفساد الناس ، وهى كل حكم يعجز عنه القاضى فينظر فيه من هو أقوى منه .

وظاهر أن ولاية المظالم داخلة حسب أصولها فى القضاء وهى من الوظائف التى تمتزج فيها سطوة السلطان بنصفة القضاء ويطلق على متوليها صاحب المظالم ، وقد عاشت الوظيفتان جنباً لجنب ، ولم يبين لكل منهما اختصاصه ، ولم تحدد الأمور التى تدخل أولا تدخل فى كل منهما تحديداً دقيقاً ، فكانت الأمور المتعلقة بالحدود ينظرها أيضا صاحب المظالم كما ينظر الخصومات ولقد كانت ولاية المظالم تعقد برياسة الخليفة نفسه ، أو الوالى ، أو الأمير أو الوزير أو القاضى أو أحد كبار الموظفين بتفويض من الخليفة .

وهناك فرق بين نظر المظالم ونظر القضاة ، ويتضح ذلك من عشرة أوجه : أولها أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة فى كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب ، وثانيها : أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب إلى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا .

وثالثها : أنه يستعمل من فضل الإرهاب ، وكشف الأسباب بالأمارات الدالة وشواهد الأحوال اللائحة ما يضيق على الحكام فيصل به إلى ظهور الحق ومعرفة الباطل

ورابعها : أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب .

وخامسها : أن له من التأنى فى ترداد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ليمعن فى الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ما ليس للحكام إذا سألهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ، ويسوغ أن يؤخره والى المظالم .

وسادسها : أن له رد الخصوم إذا أعضلوا وساطة الأمناء ليفصلوا التنازع بينهم صلحا عن تراض ، وليس للقاضى ذلك إلا عن رضا الخصمين بالرد ،

وسابعها: أن يفسح فى ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد ، ويأذن فى إلزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم إلى التناصف ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب .

وثامنها : أنه يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاة فى شهادة العدلين.

وتاسعها : أنه يجوز له إحلاف الشهود عند ارتيابه فيهم إذا بذلوا إيمانهم طوعا ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك ، وينفى عنه الارتياب ، وليس ذلك للحاكم .

وعاشرها : أنه يجوز أن يبتدئ باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم فى تنازع الخصوم وعادة القضاة تكليف المدعى إحضار بينته ولا يسمعونها إلا بعد مسألته .

على أن الدعوى لم يخل حالها عند الترافع فيها إلى والى المظالم من ثلاثة أحوال: إما أن يقترن بها ما يقويها ، أو يقترن بها ما يضعفها ، أو تخلو من الأمرين .

ويمكن أن نصل إلى أن والى المظالم إنما كان يدخل فى اختصاصه تحقيق التهمة ، فإن رجحت لديه الإدانة رفعها إلى الناظر فى القضاء ليفصل فيها بحكم الله ، ويرى البعض أن هذه كانت هى الصورة الغالبة فى إقامة الدعوى العامة ، وكان لوالى الأمر بما له من الولاية العامة ولاية النظر فى المظالم كذلك ، فكان له أى لوالى المظالم إذا لم يكن حاكماً حق مباشرة الدعوى الجنائية العامة بتحريكها أمام القاضى وإقامة البينة على ما يدعونه من وقوع الجريمة ، وكانوا فى مباشرتهم لهذه الدعوى يعتمدون على ما يصل إلى علمهم من رجال الحفظ أو من أفراد الناس شأنهم شأن ما تفعله النيابة العامة طبقا للنظم الحديثة .

الحسبة :

لم يكن والى المظالم هو الذى يباشر عن الدولة الدعوى الجنائية العامة فى ظل الشريعة الإسلامية فحسب ، بل كان كذلك يباشرها المحتسب .

والحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، فهى وظيفة من الوظائف الدينية الهامة ؛ لأن قوامها الأمر بالمعروف ، والنهى عن

المنكر ، وغرضها الإصلاح بين الناس ، الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين .

والحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم فأما ما بينها وبين القضاء فهى موافقة لأحكام القضاء من وجهين : ومقصورة عنه من وجهين ، وزائدة عليه من وجهين ، فأما الوجهان فى موافقتها لأحكام القضاء فأحدهما جواز الاستعداء إليه وسماعه دعوى المستعدى على المستعدى عليه فى حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوى ، وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى أحدها أن يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف فى كيل أو وزن ، والثانى ما يتعلق بغش أو تدليس فى مبيع أو ثمن ، والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة ، وإنما جاز نظيره فى هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها من سائر الدعاوى لتعلقها بمنكر ظاهر هو منصوب لإزالته واختصاصها بمعروف بين هو مندوب إلى إقامته ؛ لأن موضوع الحسبة إلزام الحقوق والمعونة على استيفائها وليس للناظر فيها أن يتجاوز ذلك إلى الحكم الناجز والفصل البات ، فهذا أحد وجهى الموافقة ، والوجه الثانى أن له إلزام المدعى عليه للخروج من الحق الذى عليه وليس هذا على العموم فى كل الحقوق . وإنما هو خاص فى الحقوق التى جاز له سماع الدعوى فيها وإذا وجبت باعتراف وإقرار مع تمكنه وإيساره فيلزم المقر الموسر الخروج منها ودفعها إلى مستحقها لأن فى تأخيره لها منكراً هو منصوب لإزالته .

وأما الوجهان فى قصور الحسبة عن أحكام القضاء ، فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعوى الخارجة عن ظواهر المنكرات من الدعاوى فى العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات ، فلا يجوز أن ينتدب لسماع الدعوى لها ولا أن يتعرض للحكم فيها لا فى كثير الحقوق ولا فى قليلها من درهم فما دونه إلا أن يرد ذلك إليه بنص صريح يزيد على إطلاق الحسبة ، فيجوز ويصير بهذه الزيادة جامعا بين قضاء وحسبة فيراعى فيه أن يكون من أهل الاجتهاد وإن اقتصر به عن مطلق الحسبة ، فالقضاة والحكام بالنظر فى قليل ذلك وكثيره أحق ، والوجه الثانى أن الحسبة مقصورة على الحقوق المعترف بها فأما ما يتداخله التجاحد والتناكر فلا يجوز له النظر فيه ؛ لأن الحاكم فيها يقف على سماع بينة وإحلاف يمين ، ولا يجوز للمحتسب أن يسمع بينة على إثبات الحق ولا أن يحلف يمينا على نفى الحق والقضاة والحكام بسماع البينة وإحلاف الخصوم أحق .

وأما الوجهان فى زيادة الحسبة على أحكام القضاء ، فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر وإن لم

يحضره خصم مستعد ، وليس للقاضى أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم يجوز له سماع الدعوى منه ، فإن تعرض القاضى لذلك خرج عن منصب ولايته وصار متجوزا فى قاعدة نظره ، والوجه الثانى أن للناظر فى الحسبة من سلاطة السلطنة واستطالة الحماة فيما تعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة ؛ لأن الحسبة موضوعة للرهبة فلا يكون خروج المحتسب إليها بالسلاطة والغلظة تجوزا فيها ولا خرقا . والقضاء موضوع للمناصفة فهو بالأناة والوقار أحق وخروجه عنهما إلى سلاطة الحسبة تجوز وخرق ؛ لأن موضوع كل واحد من المنصبين مختلف فالتجاوز فيه خروج عن حده .

ويوجد شبه مؤتلف بين الحسبة من جهة والمظالم من جهة أخرى ، يتمثل هذا الشبه الجامع فى وجهين أحدهما أن موضوعها مستقر على الرهبة المختصة بسلاطة السلطنة وقوة الصرامة ، والثانى جواز التعرض فيهما لأسباب المصالح والتطلع إلى إنكار العدوان الظاهر .

بيد أن الحسبة تختلف عن المظالم من وجهين أحدهما أن النظر فى المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة ، والنظر فى الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة ، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض وجاز لوالى المظالم أن يوقع إلى القضاة والمحتسب ، ولم يجز للقاضى أن يوقع إلى والى المظالم وجاز له أن يوقع إلى المحتسب ولم يجز للمحتسب أن يوقع إلى واحد منهما ، فهذا الفرق الثانى أنه يجوز لوالى المظالم أن يحكم ولا يجوز لوالى الحسبة أن يحكم .

ولقد كان يشترط فى المحتسب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة الإسلامية التى سيأمر وينهى بتعاليمها ، عفيفا عن أموال الناس متصفا بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، ولا يكون قوله مخالفا لفعله ؛ لأن فى اتصافه بكل هذا وبغيره من الصفات الحميدة صونا لعرضه وأقوم لهيبته وبعداً له عن الشبهات .

ويمكن القول هنا بأن المحتسب كان عليه إلى جانب ولايته القضائية القاصرة واجب مباشرة الدعوى الجنائية العامة فيما خرج عن اختصاصه ودخل فى اختصاص القاضى ، والأصل فى ولايته هذه هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شأنه فى ذلك شأن الفرد العادى ، إلا أن مباشرة المحتسب لهذه السلطة أو أداؤه لهذا الواجب كان فرض عين لا كفاية فلم يكن له أن يتشاغل عنه بغيره ، كما أن الأصل فى المحتسب أنه منصوب للاستعداء إليه فيما يجب إنكاره ، فتلزمه إجابة من استعداه وليس على الفرد المتطوع ذلك ، وقد ترتب على أن المحتسب صاحب وظيفة

عامة أن أضحى له أن يتخذ على إنكاره أعوانا وأن يؤجر من بيت مال المسلمين ، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للفرد العادى .

محمد عطية راغب
المحامى

(١) مراجع البحث : أحمد إبراهيم . المرافعات الشرعية . ط (١٩٢٠) ، على قراعة . الأصول القضائية ط ١٩٢١ ، محمد زيد . الشيخ سلامة . مباحث المرافعات . ط ٢١ محمد زيد الإبيانى مباحث المرافعات . ط ٣ ، شمس الدين بن القيم الجوزية . الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية . ط ١٣١٧ هـ ، عبدالوهاب العشماوى . الاتهام الفردى ط ١٩٥٣ .

علاء الدين الكاسانى بدائع الصنائع فى توقيت الشرائع ج ٧ شمس الدين السرخسى . المبسوط ج ٩ ، أحمد ابراهيم القصاص فى الشريعة الإسلامية وفى قانون العقوبات المصرى ط ١٩٤٤ ، محمد حسنى رحمى . القصاص . ط ١٩٤٦ ، الماوردى . محمود محمد عرنوس . تاريخ القضاء فى الإسلام اسماعيل حتى فرج . القضاء الإسلامى وتاريخه ط ١٩٤٩ . الخطط المقريزية ج ٢ القلقشندى . صبح الأعشى . ج ٥ .

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٠)

انتهت بأن أملت أصدقاءه بل أفزعتهم ، وقد أطلق عليه ديديرو اسم « المسيح الدجال » . وأكثر من ذلك أن الأستاذ بول هازار فى دراسته لتأليهية فولتير ينقده ألذع النقد لأسلوبه الساخر ، وطريقته المسفة التى لا تليق بمفكر عالمى مثله والتى تقتاد القارئ إلى الإلحاد أكثر مما تقتاده إلى التأليهية . ثم يختتم نقده إياه بقوله : (هناك واقعة ثابتة بجملها أنه قد وجد فى القرن الثامن عشر جنس من البشر لم يعدله من الغذاء الروحى سوى معاداة الإكليروسية ، وقد اتخذ من هذه المعاداة برنامجه الوحيد ، وحسب أن هذه المعاداة تكفى لإعادة تكوين الحكومات ، ولجعل المجتمعات كاملة ولقيادتها إلى السعادة وأن هذا الجنس من البشر قد تتابع ، وهناك مسئولون كثيرون عن هذه الواقعة ، وليسوا جميعاً من معسكر الموسوعيين كما يقال غالبا ، ولكن لا يوجد أحد مسئول عن ذلك بدرجة فولتير) ؟ .

دكتور محمد غلاب

(١) انظر صفحة ١٧٦ من نفس الكتاب .

الوازع الدّينى و الثقافة العلميّة

للأستاذ راشد رستم

« إن مصائب النوع البشرى ناشئة عن علتين ـ حب الشهوات والجهل بالحقائق ـ وإن علاج ذلك عن وسيلتين : الوازع الدينى والثقافة العلمية » .

هذه الحقيقة الواقعية كانت تدور فى خلد وزيرخطير مع قاض كبير [1] عند ما استقر عزمهما على التوجه معاً الوجهة المثلى للقيام بنصيبهما من الواجب الوطنى المقدس لتحقيق غرضهما النبيل .

وقد كان محور قصدهما وموضع اهتمامهما لبلوغ هذا المأرب الحميد المشكور يتركز على ذرارى مصر ، الناشئين فى حمى الوطن ، فهم أبناؤه الصغار الذين يشبون فى معاهدهم الأولى حيث التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر .

وفى الحق أن العناية بأطفال الأمة هى العناية بمستقبل الوطن جميعه .

ورثنا المجد عن كبرى نزار
فأورثنا مآثرنا بنينا

ومنذ ثمانين عاما وقد كانت البلاد فى مهب الرياح العاصفة ، ترجو النجاة على أيدى عقلائها فى ثورتها السياسية الجامحة ، وتنشد الاستقرار فى حياة حرة مستقلة تقدمية ، والزعماء يتخذون مختلف الوسائل فى سبيل تحقيق الأمانى والآمال ـ اتفق الوزير الخطير والقاضى الكبير على أن يتخذا سبيلهما فى النهوض بأبناء البلاد إلى حيث يجلس الصغار على مقاعدهم فى معاهدهم ـ يضعان بين أيديهم كتابا [1] لا شك فى عظيم قيمته ونفوذ أثره لو كان قد كتب له الاستمرار ، جيلا بعد جيل ، آباء لأبناء وأبناء لآباء .

---

(١) على باشا مبارك ، أبرز وزراء المعارف (التربيه والتعليم) فى تاريخ النهضة العلميه المصرية منذ القرن الماضى ـ مصرى من أذكياء المصريين وعقلائهم وعلمائهم ، بعثوه يافعا إلى فرنسا فعاد منها رجلا يخدم البلاد علما وعملا .

والقاضى صالح بن مجدى من كبار الأدباء والقضاة فى ذلك العهد ، ومن عمداء النهضة المصرية ، وله مؤلفات كثيرة كما اشتهر بالترجمات المختلفة مع المصطلحات العربية فى الفنون والعلوم مما يصح الرجوع إليها للاستعانة بها فى نهضة المصطلحات العربية الحديثة .

(١) كتاب من جزئين ـ عن الهجاء والتمرين ثم القراءة فى اللغة العربية . مسامرات علمية خفيفة لتحلية الأذهان بمعلومات أدبية أخلاقية دينية ـ عن المطبعة الأميرية ببولاق مصر المعزية ١٨٨٠م .

نعم . لايزال للكلمة المكتوبة أثرها القوى الدائم ، فهى التى يستسيغها الطالب فى نشأته صغيراً ، ويستبقيها معه فى حياته كبيرا .

هذا واليوم تفخر هيئات التعليم فى المدارس والمعاهد والجامعات بأن معلومات طلابها من العلوم والفنون تفوق ماكان يعلمه أمثالهم من طلبة الجيل السابق أو الجيلين الماضيين . والحق فى هذا الشأن هو أن الإنسان ازدادت معلوماته واتسعت معارفه ؛ لأن علماءه نشطوا فى البحث والاستقراء ومعرفة المجهول بكل مجهود ، وبما توفق لهم من اختراع الوسائل والآلات التى تزيدهم علماً بما يريدون أن يعلموا وما يريدون به أن يتقدموا .

هذا ما لا شك فيه من حيث تقدم العلم وارتقاء الإنسان فى معلوماته فى الخمسين سنة الأخيرة بأكثر من الخمسين قرنا السابقة ...

ثم انظر كيف يغرى الكتاب الذى نحن بصدده على الاستزادة من العلم مع القوانين الشرعية والسياسية فيقول ، « لا شك أننا من السعداء لوجودنا فى هذا العصر المتمدن (سنة ١٨٨٠) ، ولم لا وإنه يسوغ لأغلب أبناء المكاتب . . (أى المتعلمين . .) أن يفخر بماله من المعارف على كثير من مشاهير الملوك فى القرون الخالية ! . لأن القوانين الشرعية والسياسية الجارى عليها العمل الآن فيما بيننا قد ساوت بين الضعيف والقوى ، والفقير والغنى ، فى العدل ومهدت الثروة والسعادة للكل ، وقد اتسعت دائرة الرفاهية والمنفعة العمومية بواسطة المخترعات الجديدة كالمطبعة وآلات البخار والكهرباء والمواد النافعة للزراعة . . » إلى آخر ما كان معروفا فى ذلك الوقت . . فما بالك اليوم وبين أيدينا البنسلين ومشتقاته واللاسلكى والراديو والتلفزيون والسينما والقمر الصناعى والصاروخ « والذرة » .

على أن التجارب الإنسانية فى كل العصور أثبتت أن الإنسان فى حاجة إلى عقيدة تنجيه من الشطط الذى يحاول دائما شيطان عقله فى تحويله عن الصراط المستقيم المرسوم للحياة النافعة والذى تسهل له السعادة وتحميه من الضلال وتمنعه كذلك من التضليل .

والعلم لايقيم وحده كيانا ، ولاينجح وحده إنسانا ، بل لابد أن يعتمد على عقائد نفسية خلقية وصفات طبيعية يستمدها من عقيدته مثل الصبر والصدق والجلد والجهد والاجتهاد والمسئولية وحب الخير وما إلى ذلك من وسائل الإنتاج والتشييد والبناء . وكذلك النجاح الذى هو غرض كل إنسان فى هذه الحياة .

ولن ينال المرء تلك العقائد والصفات التى يتوقف عليها نجاحه فى الحياة إلا إذا تأصلت فيه من الصغر ، ومن شب على شىء شاب عليه ، وهى بدورها تنبع من معين الدافع والوازع الدينى . كما أنها تحميه من

التشكك وتبلبل الأفكار فيما يقال عنه بالتفكير الحر والسلوك العلمى .. ذلك المرض الخلقى والعدوى اللادينية التى تضيع معها التقاليد الأخلاقية التى تحفظ كيان الأمة .

وإذا كان العلم له معاهده فإن ناشئتنا فى حاجة إلى التلقين الدينى من الصغر على أساس حمايته من شطط العقول وسطوة الشيطان .

ومنذ جيلين وهذا الخطر الشديد الذى نكاد نشعر به اليوم ونخشاه - قد تنبه إليه وزير معارفنا الخطير ومعه زميله القاضى الكبير إذ جمعا بين تلقين العلم والتمكين فى العقيدة، جاء كتابهما سهلا يسيرا ، وأكاد أجزم بأن شبابا لنا اليوم فى معاهده العالية هو أحوج إلى ذلك النوع من الكتب أكثر من أمثاله الشباب منذ جيل أو جيلين .

انظر كيف يشرح فى سهولة وإيجاز فضل ضبط النفس فى تعدد الزوجات فيقول - من ألزم أنواع القناعات وأكرم مراتب التعففات ضبط النفس والاقتصاد فى الزواج عند الإنسان[1] .

« إن تعود الزواج وإن كان من الأمور التى تألفها الطبيعة ولا تأباها الشريعة ، إلا أنه يامعان النظر فى أحوال هذه المادة ، والاتباع فيها للطريقة الجادة ، ينبغى أن نعلم أن تعدد الزوجات قد يكون من مجرد اتباع الشهوات، ولا سيما فى هذا الزمان . . . فالاقتصار على الزوجة الواحدة ما أمكن هو من باب الأمر المستحسن لفقد العدل المشروط للجمع بين الزوجات المتعددة ، ولتدارك ما يترتب على تعددهن فى حسن نظام الأسرة والمنزل من كبير المفسدة .

« والزواج أهم المهمات وأتم أعمال الحياة، وعقدته عقدة محترمة مباركة - على الخصوص وإن ملائكة الرحمن تحضره كما ورد فى بعض النصوص وقد روى عن النبى أنه قال - لا رهبانية فى الإسلام - والزواج نصف الدين وسنة القوم المهتدين كما ورد فى الحديث الشريف. ومتى تم يجب معرفة قيمته ومراعاة حرمته وعدم التهاون فى حل عقدته لأدنى سبب أو لمجرد تحكم الغضب ، فلا ينبغى فك عروته . اللهم إلا للضرورة . والضرورات معلومات ...».

ليت شعرى ما أعظم هؤلاء الصغار الذين يكتب لهم هذا الكلام . وقد جئنا به مثلا .

أما عن موضوعات الكتاب ويسميها المؤلفان « المسامرات » وفى التسمية طرافة، فهى شاملة لأغراض الحياة كلها كثيرة وكبيرة — أركان الدين مع الشرح الواضح اليسير، وعن قوانين الصحة الفردية والاجتماعية والرياضات الجسمية والفكرية ، وأنواع الصناعات والحرف والمهن ، ومعاملة الناس وصلة الأرحام والرأفة بالحيوان والإحسان

(١) (وبالنسبة لغيره من سائر أنواع الحيوانات يقال له السفاد) وهذا استطراد من المؤلف قد يكون لا موجب له ولكنه يريد زيادة المعلومات .

والحنان والعفة والوفاء بالعهد وبالوعد والقناعة والكرم والصدق والصدقة ووضعها مواضعها والشجاعة والهمة والنزاهة والتواضع والصفح والنشاط وعدم الكسل ، وفضل العلم والعدالة واجتناب الظلم وما إلى ذلك من هذه « الخصال » كما يسميها الكتاب وكما يشرحها شرحا يسيرا لطيفا مقنعا

انظر ما يقول عن العدل : إن العدل والعدالة متحدان فى الاشتقاق والأصل . العدل هو تصرف الإنسان فى حقه بوجه الحق بحيث يؤدى منه لكل ذى حق حقه ويضعه فى مواضعه . ويرادفه الإنصاف . وضده الجور والظلم ويرادفهما الإجحاف ، وهو التصرف فى حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد المستحق . وقد اتفقت جميع الملل والنحل على أن العدل فضل أى فضل. وعلى أنه واجب بالشرع وبالعقل ، فى حق الآحاد وسائر العباد . وهو من الملوك وأرباب النفوذ أوجب وأفضل . قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » والفرق بينهما أن العدل هو أن تعطى ما عليك وتأخذ مالك من غير زيادة ولا نقصان . وأما الإحسان فهو أن تعطى أكثر مما عليك ، وتأخذ أقل مما لك ... برضاك » .

ثم انظر ما يختم به كلامه إذ يقول : رأس الحكمة مخافة الله ، أى اتباع الشرائع المشرعة وما يليها من سنن الأنبياء المتبعة بمعنى امتثال المأمورات واجتناب المحظورات ، وضدها الاستهتار وهو اتباع الهوى وعدم المبالاة ، وهو من أرذل الرذائل وكفاه ذما قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . . . » .

* * *

وإننا لنجد بيننا من يقول بالتفرقة بين علم المرء وخلقه ، وإنه له ما يخصه فى نفسه ولكن ها نحن أولاء نسمع ونرى كيف يضل ذوو العقول بعلمهم لحاجتهم إلى سياج النفوس من الفضيلة المستمدة من العقيدة ، إنهم يفسدون فى الأرض ويحدثون فى كيان المجتمع هزات اجتماعية من الانحراف ومن التشكك والتجسس والاختلاس والجنايات .

وهكذا منذ جيلين تنبه إلى هذا الخطر الشديد الوزير الخطير وزميله القاضى الكبير فكان كتابهما التعليمى ليتدارسه الصغار فى نشأتهم الأولى فيثبت فى نفوسهم وعقولهم . . وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة الفكرية والدينية ، فقد كثرت المبادىء الهدامة ، وتشكلت فى أشكال من الإغراءات النفسية والعقلية ، والمادية والاجتماعية .

فإلى « الديدبان الأعظم » هذا الجامع الأزهر . فهو القائم على حفظ العقيدة السمحاء التى لابد لها من الصحة والعافية والذيوع والبقاء . ؟

راشد رستم

دور الكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامية

للأستاذ سعد توفيق حمدى

للكتاب فضل على الأمم عظيم ودور فى حياتها خطير وإن الأمم الراقية حقا لهى الأمم التى تهتم بالكتاب وتؤثره وتنزله من نفسها منزلة رفيعة سامية . . وسيظل الكتاب أبداً نبراسا للباحثين ونوراً يضىء الطريق أمام الشعوب وزاداً روحياً جميلا ينتفع به الناس وسائر البشر أجمعين . .

ولقد لعب الكتاب دوراً فى الإسلام خطيراً وكان أثره فى حياة المسلمين عظيما حتى أضحى شيئاً هاما فى حياتهم فانكبوا عليه يطلبون العلم من بين صفحاته والمعرفة من خلال سطوره فظهرت طبقة من العلماء والفلاسفة الأفذاذ الذين أمدوا حياتنا الثقافية بمعين من العلوم لا ينضب ولم يقتصر أثرهم على العرب وحدهم بل شمل العالم أجمع وطارت شهرتهم إلى الآفاق لما قدموه من خدمات لا تحصى ، وأفضال لا تعد ، ومنافع عظيمة ما زالت الإنسانية تنتفع به إلى الآن . . ولقد عنى المسلمون بالكتاب عناية عظيمة بعد أن استتبت لهم الأمور وبعد أن تلاشت الفتن وتبخرت الأحقاد من الصدور . حينئذ فقط بدءوا يهتمون بالكتاب اهتماما جديا ويعتنون به عناية عظيمة ويولونه من اهتمامهم حظا كبيراً وإن ما خلفوه لنا من آثار أشادوا فيها بفضل الكتاب وعظيم فائدته لتدل دلالة قاطعة على اهتمامهم به وإيثارهم له . . يقول المتنبى :

أعز مكان فى الدنا سرج سابح
وخير جليس فى الزمان كتاب

وهذا آخر[1] يشيد بفضل الكتب واصفا متعتها معدداً أفضالها ومنافعها فيقول :

هم مؤنسون وألاف غنيت بهم
فليس لى فى أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جليسهم
ولا عشيرهم للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
ولا يلاقيه منهم منطق ذرب

وهكذا نرى أن الكتاب أخذ يتسلل شيئا فشيئا إلى حياة المسلمين حتى أصبح ذا قيمة عظيمة فى حياتهم وأخذوا يختلفون على دور الكتب يطلبون العلم والمعرفة من بين رحابها الفسيحة التى كانت تتكون من حجرات كثيرة

(١) هو محمد بن بشير من شعراء الدولة الاموية .

ثبتت على جدرانها رفوف من الخشب جميلة عليها كتب كثيرة ومخطوطات ومجلدات عظيمة (١) وكانت تلك الدور مزودة بعدد وافر من المترجمين والنساخ والأمنـــاء والمساعدين وكانوا يأخذون على عملهم هذا العطاء الجزيل كما كانت لهذه الدور فهارس دقيقة منظمة حتى يسهل على الدارس الاهتداء إلى الكتب التى يريد الرجوع إليها وكانت هذه الدور كثيرة ومتعددة ، ففى بغداد كان يوجد بيت الحكمة ذلك البيت الذى أقامه الخليفة هارون الرشيد والذى ظل يشع العلم من بين رحابه فترة طويلة من الزمن وأخذ الخليفة يزود بيت الحكمة بنفائس الكتب وروائع المجلدات حتى بات مقصد الطلاب والعلمـاء يأتون إليه من شتى الأقطـــار ، وظلت المعرفة تتدفق من بيت الحكمة حتى أفل نجمه وكسفت شمسه عندما انقض التتار على بغداد فحولوا جمالها الفاتن إلى خرائب ثم امتدت يدهم الباطشة إلى بيت الحكمة لتلقى بمافيه من كتب ومجلدات فى نهر دجلة فتحول بيت الحكمة إلى رفوف خاوية لايحوى بين جدرانه سوى الظلام الدامس . . . فإذا ما نظرنا إلى القاهرة نجد أن الحاكم بأمر الله الفاطمى قد أنشأ فيها داراً عظيمة هى « دار الحكمة » (١) وكان هدفه من ذلك أن ينافس بها بيت الحكمة ببغداد فأتى لها بكل ما تحتاج إليه من نساخين وخطاطين وزودها بالورق والمحابر والأقلام فأخذ الناس من جميع الطبقات يختلفون إليها للتعلم وظلت دار الحكمة قائمة حتى عهد صلاح الدين الأيوبى الذى أقام مكانها مدرسة للشافعية ... أما الأندلس تلك المدينة الجميلة فقد ازدهر فيها العلم ازدهارا عظيما وانتشرت فيها المعرفة انتشاراً كبيراً حتى أضحى طلب العلم شيئاً مألوفا فى الأندلس وأخذ أهلها ينهلون من مناهل العلم فنبتت فى أرضها ثقافات كان لها أثر كبير على الثقافة الغربيـــة . . وكان الأندلسيون ينظرون إلى الجاهل فى اشمئزاز ، أما العالم فقد كان له فى قلوبهم مكانة عظيمة . وكان للحاكم المستنصر مكتبة ضخمة ضمت مايربو على الأربعمائة ألف كتاب (٢) .

فقد كان مولعا بالكتب ولعا شديدا وكانت له آراء صائبة وتعليقات مفيدة على الكتب

---

(١) وقيل أيضا : إنه كان بهذه الدور حجرات فلموسيقى كان الدارس يختلف إليها كلما شعر بالكلل أو ران عليه السأم والملل .

(١) أنشئت هـذه الدار فى جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ .

(٢) وقيـل أيضا إنهم عندما نقلوها قضوا فى نقلها سنة أشهر كاملة .

الى كان يطالعها وكان يأتى لمكتبته بالكتب من البلاد والأقاليم مهما كلفه ذلك من ثمن . وعند ما سمع بكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى أرسل إلى مؤلفه ألف دينار ثمنا لنسخة منه فأرسلها أبو الفرج إليه فظهر كتاب الأغانى فى الأندلس قبل أن يظهر فى العراق . لقد كانت الأندلس هى قلعة العلم حقا فقد ازدهر فيها وانتشر وكان له فيها النصيب الأكبر من العناية والاهتمام فكان من جراء ذلك أن ظهرت طبقة من العلماء كان أثرهم عظيما على الثقافتين الشرقية والغربية ، ظهر علماء نبغوا فى الطب والرياضيات والفلك والنجوم وغير ذلك من ميادين العلوم ، أما الفلسفة فلم يكن لها فى العصر الأموى بالأندلس نصيب كبير بل كانت مضطهدة وكان الفلاسفة غالبا ما يتهمون بالزندقة فكانت تجمع كتبهم ثم تحرق ويذكر ابن سعيد : « أن الفلسفة علم ممقوت فى الأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه » . ولكن هذا الجو الخانق الذى كانت الفلسفة تتنفس فيه لم يمنع ظهور فلاسفة أفذاذ أدوا خدمات لا تنكر فى الفلسفة [1] . على أن الفلسفة لم تزدهر ازدهارا حقيقيا إلا فى عهد أبى يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن فقد كان محبا للفلسفة شغوفا بها جمع كثيرا من كتبها فاستطاعت الفلسفة فى عهده أن تنشط وأن تزدهر ازدهارا عظيما إلا أنها عادت فانتكست مرة أخرى عندما قبض ابنه يوسف يعقوب المنصور على الفيلسوف العظيم ابن رشد وأودعه السجن ثم جاء قتل الفيلسوف ابن حبيب فزاد من خمولها . وهكذا عادت الفلسفة كما كانت من قبل مضطهدة لا تجد من يهتم بها ، على أننا نستطيع القول بأن هذا العصر كان من أخصب العصور التى موت بها الفلسفة الإسلامية . فقد ظهر فيه فيلسوفان من أعظم من جادت بهما أرض الأندلس ألا وهما : ابن طفيل وابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) . كان ابن طفيل فيلسوفا عظيما حقا استطاع أن يؤلف عدة كتب فى الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك كما استطاع أن يبين الصلة بين العقل والدين كما هو واضح فى رسالته المشهورة « حى بن يقظان » [1] .

وأراد ابن طفيل أن يبين فى هذه الرسالة أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى معرفة الله ولو نشأ فى جزيرة نائية . . . أما ابن رشد فقد كان من أعظم فلاسفة الإسلام . . عرفه الغرب عن طريق شروحه الرائعة لفلسفة

---

(١) مثل محمد بن عبدالله بن مسرة (٢٦٩ - ٣١٩ هـ) وسعيد بن فتحون السرقسطى .

(١) ترجمت رسالة « حى بن يقظان » إلى اللغة الانجليزية فى القرن السابع عشر .

الفيلسوف الإغريقى « أرسطوطاليس » ، فذاعت فى الغرب شهرته وارتفعت مكانته حتى سماه دانتى « بالشارح الأكبر » ، ومن شروحه لكتب أرسطو كتاب الأخلاق ، وكتاب البرهان ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب السماع الطبيعى ، وكتاب الحس والمحسوس [1] على أنه لم يقتصر فى شروحه على فلسفة أرسطو وحدها بل شرح أيضاً كتاب الأسطقصّات (أى العناصر والأصول) وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأعراض وكلها من مؤلفات جالينوس، وقد ارتاد ابن رشد جميع الميادين ، فله فى الطب كتاب « الكليات » ، وله فى الفقه رسالة بعنوان « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ، وله عدا ذلك رسالة قيمة هى : « تهافت التهافت » أراد بها الرد على رسالة « تهافت الفلاسفة » للإمام الغزالى . هكذا كان ابن رشد فيلسوفا عظيما وشارحا كبيراً ، وفقيها له آراء صائبة فى الدين والشريعة ، فكان بحق من أعظم فلاسفة الإسلام ، وكان جديراً بما وصفه به أحد العلماء حيث قال إنه « أنبل وأعظم مثال للفلاسفة » [1] .

لقد كان للثقافة الإسلامية فضل أى فضل على الثقافة الغربية ، ولقد ترجمت معظم كتب فلاسفة الإسلام إلى اللغة اللاتينية وإلى غيرها من لغات أوربا ، وما زالت هذه الكتب تدرس فى جامعات أوربا إلى الآن فما أعظم فضل الكتاب وما أجل أثره ذلك الذى وصفه الجاحظ وصفا جميلا فقال : الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا وبستان يحمل فى ردن و روضة تقلب فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء » .

سعد حمدى

---

(١) لخص ابن رشد فلسفة « أرسطوطاليس » فى كتاب سماه كتاب الجوامع .

(١) هو « جيرمو دى أوفرينا » وكان عالما كبيراً كما كان يعرف الكثير من الفلسفة الإسلامية إذ قرأ لكثير من فلاسفة الإسلام أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابى وغيرهم .

ديمقراطية الإسلام

حول "أسامة بن زيد"

للأستاذ عباس طه

إذا تكلم الكتاب عن حياة من سادوا الناس وبلغوا درجة الإمارة فيهم من الموالى: أمثال بلال ، وسلمان ، وصهيب ، وأسامة ابن زيد ، فإنما يتكلمون عن قاعدة المساواة ومبدأ الإخاء الذى جعله الحق سبحانه وتعالى أول لبنة بنى عليها صرح المجتمع العالمى الإسلامى وأمر المؤمنين بدينه بالجرى عليها فى هدم ما أقامته الجاهلية من الفروق التى كانت موجودة بين طبقات الناس والقبائل ، فأجابه الكل بالسمع والطاعة ، حتى قال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا يريد بلالا . وقال سلمان الفارسى لمن سأله عن أبيه : « الإسلام أبى » ! .

وأما ما يؤثر عن سيد التابعين سعيد ابن المسيب من رفضه مصاهرة عبد الملك ابن مروان ، فليس ذلك لأن ولده هجين بل لأنه قد اتخذ من الجبارين عمالا أمعنوا فى الظلم وأسرفوا فى القتل بغير الحق على علم ورضا منه ، وبذلك خلع لباس التقوى التى جعلها الله شعاراً لأوليائه ، فلم يره أهلا لمصاهرته .

وعلى ذلك المبدأ الإسلامى أتكلم على حياة أسامة فأقول :

نسبه رضى الله عنه :

هو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن زيد ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر ابن عبد ود بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رقيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة الكلبى :

وأمه أم أيمن بركة الحبشية ، كنيت بولدها أيمن أخى أسامة لأمه . وكانت فى الجاهلية مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب ، فلما ولد سيد البشر بعد موت أبيه كانت هى مربيته وحاضنته حتى كبر ، ولم تزل فى شرف خدمته حتى تزوج بخديجة فأعتقها وأنكحها مولاه زيداً ، فولدت له أسامة بن زيد .

مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه بمكة المكرمة ، ونشأها النشأة الدينية العالية التى تعجز البراعة عن تقديرها ، وتقصر العبارة عن تصويرها

لأن أدبه وثقافته حصلا له من أعظم معلم وأكبر مرب هو سيد البشر صلى الله عليه وسلم

وقد كان عطفه عليه فوق عطف الآباء على الأبناء ، حتى إنه كان لا يكاد يفارقه . وقد يردفه خلفه إذا ركب لزيارة قريب أو عيادة مريض . روى عن عائشة رضى الله عنها قالت « عثر أسامة بأسكفة الباب (أى عتبته) فشج وجهه حتى سال الدم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه بفمه ثم يمجه ويقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى ينقه » . وكان رضى الله عنه أسود اللون أبوه أبيض . فطعن أهل مكة فى نسبه حتى مر عليهما قائف ، وقد بدت أقدامهما من تحت الغطاء ، فأقر النسب . حدثنا البخارى فى صحيحه قال : « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه فقال : ألم تسمعى ما قاله المدلجى لزيد وأسامة ورأى أقدامهما : إن بعض هذه الأقدام من بعض » .

شرفه ومنزلته فى قومه :

إن سيد البشر صلى الله عليه وسلم قد نسخ بقانون الإسلام مبادئ الجاهلية ، وجعل ميدان التنافس بين البشر بالتقوى والعمل الصالح ، فكان أسامة رضى الله عنه ممن حازوا قصب السبق فى تلك الحلبة الدينية المباركة ، وقد رفع الإسلام أسامة كما رفع أباه زيداً حتى قال فيه سيد البشر « إن أسامة لأحب الناس إلىّ » أو « لمن أحب الناس إلىّ » ، وقد سمته الصحابة « حب رسول الله وجعلوا ذلك اسما خاصاً به ، وكانوا يستشفعون به عند الرسول فى المطالب الهامة التى لا يتقدم فيها سواه . حدثنا البخارى فى صحيحه قال « عن عائشة رضى الله عنها أن امراة من بنى مخزوم سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلم يجرؤ أحد أن يكلمه . فكلمه أسامة بن زيد فقال : إن بنى إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، لو كانت فاطمة لقطعت يدها » .

إن عدالة الإسلام قد رفعت بالكفاية الدينية أسامة بن زيد فوق رجل من صميم قريش ومن كتاب الوحى كان أبوه رئيس العرب فى الكفر ثم كان هو رئيساً عليهم فى الإسلام : هو معاوية بن أبى سفيان .

حدثنا بدر الدين العينى فى شرحه على البخارى قال : جاءت فاطمة بنت قيس القرشية النهرية إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له « يا رسول الله إن معاوية بن أبى سفيان وأبا جهم خطبانى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أبو جهم فلا يضع عصاه

عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى أسامة بن زيد ، فكرهته ، ثم قال « انكحى أسامة » فنكحته ، فجعل الله فيه خيراً كثيرا .

وقد فرض عمر بن الخطاب لأسامة فى العطاء خمسة آلاف وفرض لولده عبد الله ألفين فقال له « يا أبت أراك قد فضلت على أسامة ابن زيد وقد شهدت ما لم يشهد » فأجابه عمر بقوله: « إن أسامة وأباه كانا أحب إلى رسول الله منك ومن أبيك » !

إمارته:

كان النبى صلى الله عليه خبيراً بأحوال الذين يقلدهم الأعمال فكان يسند إليهم ما يتفق وكفاية كل منهم ، وقد نشأ أسامة بن زيد مدرباً على الفروسية مبرزاً فى الشئون الحربية ، فلما بلغ عمره ثمانى عشرة سنة قلده الرسول إمارة الجيش فى السنة الحادية عشرة لأربع بقين من صفر ، وأمره أن يسير إلى الشام حيث قتل والده زيد ، وكان معه من كبار المهاجرين والأنصار أبو بكر وعمر وسعد . حدثنا البخارى فى صحيحه قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس فى إمارته فقال صلى الله عليه وسلم « إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

على أن هذا الجيش قد تخلف عن مهمته ولم يسافر به أسامة ، لأن الرسول قد اشتد عليه المرض ، ولكنه أوصى أن يقوم تحت إمرة أسامة ، فلما توفى الرسول وتمت البيعة لأبى بكر كان أول ما بدأ به هو إنفاذ ذلك الجيش وعاد بعض القوم إلى حديثهم فلما علم أبو بكر بذلك وأدرك ما فى نفوسهم من الأنانية والكبرياء الباقيين من تراث الجاهلية قام إلى الجيش حتى شيعه ماشيا على قدميه وأسامة راكب ، فقال أسامة : (يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن » ؟ فقال أبو بكر : « والله لا ركبت ولا نزلت ، وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله » ثم قال له : « إن رأيت أن تعينى بعمر فافعل » فلما رأى القوم أبا بكر ماشيا فى ركاب أسامة وسمعوه يستأذن فى تخلف عمر ، لم يجدوا بدا من الخضوع للأمر فساروا مع قائدهم أسامة بن زيد حتى نزلوا بأرض العدو ، وهناك أيدهم الله وآزرهم حتى فازوا بالغنيمة ، وعادوا بالنصر بعد أربعين يوما .

عباس ه

ما يقال عن الإسلام

عقيدة الذات الإلهية فى الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد

ورد البحث فى عقيدة الذات الإلهية عند أمم العالم خلال كتاب مطول ألفه الأستاذ نوروب Northrop وجعل عنوانه ملتقى الشرق والغرب The meeting of east and west متحريا فيه تقريب وجهات النظر فى المسائل الجوهرية المختلف عليها بين أمم الحضارة العصرية وأمم الحضارات الموروثة .

ويرى من عنوان الكتاب أنه مقصور على الملاقاة بين الشرق والغرب جملة واحدة من وجهة عامة ، ولكنه عند تفرع البحث يتحقق من صعوبة هذه الملاقاة قبل الملاقاة بين أمم المغرب على حدة ، وأمم المشرق على حدة فى أمور كثيرة تمتزج بتلك المسائل الجوهرية . فلا بد قبل الملاقاة بين الشرق والغرب من التوفيق بين الحضارتين اللاتينية والسكسونية فى القارة الأوربية ، ولابد بعد ذلك من التوفيق بين قوى التفكير الديمقراطى وقواعد التفكير المطلق بين أمم تلك القارة . ولاغنى فى هذه الحالة عن التوفيق بين وجهات الاعتقاد والتفكير منذ القرون وبين هذه الوجهات منذ أوائل العصر الحديث ، مع التناقض بينهما من بعض جوانبها والتشابه بينها من الجوانب الأخرى .

ولكن هذه الفوارق جميعا تنتهى عند المؤلف إلى فارق أساسى واحد : وهو فارق الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية والإيمان بها فى معنى غير ذات ، كالمعنى الذى يقول إنه متمثل فى العقائد البرهمية الأولى .

ويحسب المؤلف أن الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية من شأنه أن يدفع الأمم إلى طلب الغلبة على غيرها ، وأن طلب الغلبة ليس بالشعور الأصيل عند المؤمنين بالربوبية فى معنى ليست له ذات قائمة تريد وتتفرد بالسلطان المطلق فى الوجود كله منذ القدم ، فإن نزعت الأمم إلى طلب الغلبة لم يكن منزعها هذا من قبل العقيدة الدينية ، بل يعرض لها من قبل الدوافع الحيوية الأخرى أو البواعث السياسية .

والأمم التى تؤمن بالذات الإلهية هى عند المؤلف مجتمعة فى أتباع الديانات الأربعة الكبرى : وهى الموسوية والمسيحية والإسلام والشنتيه Shintoism ديانة اليابان .

ويكاد المؤلف أن يجعل الإسلام قبل غيره مثالا للديانات التى تؤمن بالربوبية فى ذات إلهية ، لأن إيمان المسلم لم تتم فيه الملاقاة بالروح العلمية التى تولدت مع الزمن من إخضاع الحقائق للتجارب الحسية كما حدث فى معظم الأمم الغربية . ولابد من تعديل هذه النظرة ليؤمن المسلم بالله على ضوء الأصول العلمية ولا يحتفظ بإيمانه كما كان فى عهد النبى محمد صلوات الله عليه .

ويتساءل قائلا : هل من المعقول أن ينتظر من ثمانين مليون مسلم فى الهند على هذه العقيدة أن يلاقوا جيرانهم على وفاق يطول أمده . لمجرد استقلال الهند عن سلطان الدولة البريطانية . ؟

نقول : إن ضلال التفكير عند هذا المؤلف على سعة اطلاعه وكثرة شواهده يتراءى من ملاحظة واحدة يخرج بها القارئ من كتابه ولا يحتاج إلى سند غير الأسانيد التى اعتمد عليها .

فلو أن المؤلف حجب النتيجة التى وصل إليها عن القارئ ولم يصرح بها فى بحوثه المتتابعة مرة بعد مرة لجاز للقارئ أن يفهم أن صاحبنا ألف كتابه ليثبت أن العقيدة الإسلامية هى أصلح العقائد لإيمان الإنسان بالله فى عصر التجارب الحسية والقوانين التى يسمونها أحيانا بالقوانين العلمية .

فلا نعرف ضلالا فى التفكير يذهب بالإنسان من مقدماته إلى نقيضها المقابل لها فى الطرف الآخر . كما ذهب هذا المؤلف من مقدماته الطويلة إلى نتيجته المعكوسة .

وأول ما يؤخذ عليه أنه ظن أن الإيمان بالربوبية معنى بغير ذات فكرة مستطاعة فى الضمائر الإنسانية أيا كان تعبيرها عن تلك الفكرة بكلمات العبادة او مصطلحات الفلسفة . فربما قال الفلاسفة الأقدمون من البراهمة أن الإله فكرة مجردة بغير ذات تقوم بها ، ولكنهم لا يبدءون الكلام فى الخلق إلا ظهر من كلامهم أن هذا الاله ذات تريد وتقدر وتتقبل الأرواح المطيعة وترفض الأرواح العاصية . وتتجلى تارة على مثال الرب الخالق وتارة على مثال الرب الحافظ ، وتارة على مثال الرب المهلك أو المبيد ، وقد نقل عنهم أبو الريحان البيرونى الذى اطلع على كتبهم بلغتها القديمة تفصيلات عقائدهم فى الربوبية فأحسن نقلها كما ظهر بعد ذلك من ترجمتها إلى اللغات الأوربية الحديثة بأقلام الثقات من علماء تلك اللغات هنودا وأوربيين ، ومما نقله عنهم أنهم يؤمنون بالاله برهمن ويعتقدون أنه المطلق الذى لا يوصف ، ولكنه يتجلى على أشكال من الآلهة والمخلوقات ، وأن بشن

Vishnu جعل نفسه أرضا وجعل نفسه ماء وجعلها نارا وجعلها قلوبا تنبض فى صدور الأحياء .

فليس هناك من فارق بين أصحاب العبادات فى تحقيق الذات للمعنى الإلهى إلا أن الإسلام واضح متفق العقائد وأن القائلين بالمعنى الإلهى الذى لا تقوم به ذات مريدة يقررون بالرأى ما ينقضونه بالشرح والتفصيل .

فإذا انتهينا من الإيمان بالذات الإلهية إلى الاختلاف على صفاتها فالإسلام يعطينا الصفات التى توافق حاجة الضمير إلى الدين فى جميع العصور ، وأخصها عصر القوانين العلمية بل عصر القوانين العلمية كما انتهت إليه عند أحدث المحدثين .

إن الضمير الإنسانى لا يطلب الإيمان ليتحول به مع كل تجربة علمية إلى معنى من المعانى الإلهية ملفق على قياسه ومنواله .

فليس من شىء يملأ العقل والضمير بالحيرة والاضطراب كما تملؤه تلك المقررات التى ينفى بعضها بعضا أو تتوقف صحة بعضها على صحة سواه ، فكلها من المعارف المضافة أو المعارف النسبية التى لا يقوم عليها ركن ثابت من أركان الإيمان والثقة بالوجود المطلق والحياة السرمدية.

إن الضمير لم يذهب فى طريقه الطويل إلى الثقة بمعنى الوجود ليفسرها تارة بمذهب داروين وتارة بمذهب كوبرنيكس وحينا بمذهب كارل ماركس وحينا آخر بمذهب برجسون وسواهم ممن يتفلسفون أو يستخلصون القوانين العلمية والنواميس الطبيعية

وفى هذا العصر — على التخصيص — قد ثبت للعلماء أن التجربة العلمية لا تستطيع أن تقرر قانونا ينبئنا عن تصرف الكهرب كيف يكون فى اللحظة التالية . فهذا الجزء الصغير الذى تتألف منه المادة كلها وتترتب حركاتها جميعا على حركته داخل الذرة وخارجها مجهول الحركة كل الجهل ولا يمكن الحكم عليه إلا على وجه التقريب قياسا على إحصاء المصادفات ، وليس هناك من قانون على معروف غير المقابلة بين هذه المصادفات ، وأخذها بالظن غدا كما أخذوها بالظن أمس وقبل أمس إلى نهاية الرصد المعلوم .

والعلماء القائلون بذلك أمثال ايسنر وهايزنبرج وشرووندجر وغيرهم وغيرهم يضربون الأمثال لهذه القوانين الإحصائية ببعض المشاهدات اليومية التى تصور لنا كيف تتفق المصادفة مع التحقيق .

يقولون: مثلا إن شركة التأمين تستطيع أن تبنى حسابها وتنظم عملها وتجنى أرباحها من تقدير نسبة البيوت التى ستتعرض للحريق بواحد فى الألف من جملة البيوت ، ويصدق حسابها على وجه التقريب فيحترق أثناء السنة مائة بيت أو نحو ذلك ، ولكن هذه الشركة لو سئلت عن بيت واحد معين بين هذه البيوت لم تستطع أن تدل عليه قبل

احتراقه . وهكذا يفعل العالم الطبيعى حين يقرر نسبة الكهارب التى ستتحول من جسم معلوم مع المؤثرات الطبيعية الخاضعة للرصد والإحصاء ، فإن ذلك الجسم يحتوى ملايين الملايين من الكهارب التى ترصد حركاتها على ذلك المقال فتعرف بالنتيجة النسبية ولا تعرف على التعيين والتحقيق فى كل واحد منها ، وتلك هى القوانين الطبيعية كما يفهمها أساطين العلوم الطبيعية فى هذا العصر الذى يظن الأستاذ نورثروب أنه جاء بالقوانين المصححة للدين .

مصادفات نسجلها بموافقات الإحصاء على حسب العادة ، وليس فيها حقيقة واحدة تقيم الإيمان على قرار مكين ، وأين من طبيعة الإيمان قضية تقوم على مصادفات شركات التأمين ؟ .

وندع القوانين الطبيعية و ننظر إلى القوانين الاجتماعية التى يدعى لها أصحابها أنها محور التقدم والجمود فى حياة الشعوب .

منذ خمسين سنة كان الأكثرون بين أصحاب هذه القوانين ينعون على الإسلام أنه دين جمود لأنه يعوق المعاملات الاقتصادية ولا يسمح بتنظيم المصارف والشركات لتحريمه قروض الربا وإنكاره لكل ربا الجاهلية على كل صورة من صوره البينة أو الخفية . (١)

فلم يمض جيل على هذه الصيحة حتى سمعنا أصحاب قوانين أخرى يصيحون بأن رأس المال كله نكبة على الإنسانية وعائق من عوائق الحرية الكريمة والعمل النافع .

فماذا ينفع الناس بين هذه القوانين من إله « نسبى » يتحول مع التجارب الحسية والفروض التى يسمونها بقوانين الطبيعة ؟

إذا كان للناس أن يحسوا بالحاجة الخاصة إلى الإيمان بالربوبية فى ذات إلهية لها كمالها المطلق ومشيئتها الباقية ، فحاجتهم فى هذا العصر إلى تلك العقيدة أمس وأقوى من حاجتهم إليها فى عصر الدعوة المحمدية ؛ لأن تزعزع الأساس الذى يسند قوانين العلوم الطبيعية لم يثبت - علميا - كما ثبت فى عصرنا هذا الموسوم بسمة التحقيق والتقرير .

هنا يشعر الضمير الإنسانى بالحاجة إلى الإيمان بالكمال المطلق والحكمة الخالدة بين أشتات من المعارف والفروض كلها مضاف إلى غيره وبعضها ينقض بعضا فى مدى عمر الإنسان .

والإسلام يأذن للمسلم أن يبدل فروضه الحسية كيفما شاء وشاءت له تجارب الحس وضرورات الحياة الموقوتة ، ولكنه لا يأذن له ولا يضطره إلى تبديل إلهه كلما خرجت له تجربة جديدة من هذا المعمل أو ذاك وكلما قال قائل باسم العلم إنه يثبت هذا وينكر ذاك ، وليس وراء كل ثابت ومنكر إلا قلق الضمير ثم اعتماده على الوجود المطلق بين هذه النسب والإضافات .

« قل هو الله أحد الله الصمد »

ألا إنه بكل شىء محيط .

والله الذى يحيط بكل شىء ، وبكل زمن ، هو إله الإيمان ، وطلبة الإنسان ؟ .

عباس محمود العقاد

---

(١) انظر فى : « بريد المجلة » من هذا العدد فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر عن الدين .

مختار من الشعر القديم والحديث

أبوّة و بنوّة

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

« كان الشاعر مع أولاده الثمانية ، وعدد كبير من أفراد أسرته فى مصيف « قرنايل » ثم سافروا جميعا ، بسبب افتتاح المدارس ، وبقى وحده ، فى خلوة شعرية خصبة ، كانت طليعتها القصيدة التصويرية الوجدانية التالية »

أين الضجيجُ العذبُ والشغَبُ ؟ أين التدارسُ شابَهُ اللّعبُ ؟
أين الطفولةُ فى توقدِها أين الدُمىْ فى الأرضِ ، والكتُبُ
أين التشاكُسُ دونَما غرَضٍ أين التشاكى ما لهُ سَبَبُ
أين التباكى والتضاحُكُ ، فى وَقْتٍ معاً ، والحُزنُ والطرَبُ
أين التسابُق فى مُجاوَرَتى شَغَفاً ، إذا أكلوا وإنْ شَربوا
يَتَزاحمونَ على مُجالستى والقُرْبِ منى حيثُما انقلَبوا
يتوَجّهونَ بسَوْقِ فِطْرتهم نَحْوى ، إذا رَهبوا وإن رَغبوا
فنشيدُهم : « بابا » إذا فَرحوا ووعيدُهُم : « بابا » إذا غَضِبوا
وهتافُهُم : « بابا » إذا ابتَعدُوا ونَجِيْهُم : « بابا » إذا اقتَرَبُوا

* * *

بالأمس كانوا مِـلءَ منزِلِنـا ... واليوم — ويح اليوم — قدْ ذهبُوا
وكأنما الصمْتُ الذى هبَطتْ ... أثقالُه فى الدارِ إذ غَرَبُوا
إغفاءةُ المَحْمُومِ ، هَدْأتُها ... فيها يَشيعُ الهَمّ والتَعَبُ
ذهَبوا ، أجَل ذهبوا ومَسْكنُهمْ ... فى القلبِ . ما شطُّوا وما قَرُبُوا
إنّى أراهُمْ أينَما التَفَتَتْ ... نفسى ، وقد سكنُوا ، وقد وثَبوا
وأُحِسُّ فى خَلَدى تلاعُبَهُمْ ... فى الدّار ، ليسَ يُصيبُهم نَصَب
وبَريقَ أعيُنِهم ، إذا ظفروا ... ودُموعَ حُرقتِهم إذا غُلِبوا
فى كلِّ رُكنٍ مِنهُمُ أثَرٌ ... وبكلِّ زاويةٍ لَهُم صَخَبُ :
فى النافِذات ، زجاجها حَطموا ... فى الحائط المَدْهونِ ، قد نَقَبُوا
فى البابِ ، قد كسروا مَزَالِجَهُ ... وعليه قد رَسَمُوا وقد كَتَبُوا
فى الصحنِ ، فيه بعضُ ما أكَلُوا ... فى عُلبة الحلوى التى نَهَبُوا
فى الشَّطْرِ مِنْ نُفّاحَةٍ قضموا ... فى فَضْلَةِ الماءِ التى سَكَبُوا
إنى أراهُمْ حَيثُما اتجَهَتْ ... عينى ، كأسرابِ القَطَا ، سَرَبوا
بالأمسِ فى « قرنايلٍ » نَزَلُوا ... واليومَ قد ضمّتْهُمُ « حَلَبُ »

* * *

دُمعى الذى كتَمتُهُ جَلَداً ... لمّا تباكَوا . عندما رَكِبُوا
حتى إذا ساروا وقد نَزَعوا ... من أضلُعى قلباً بِهِمْ يَجِبُ
ألعَيشُ كالطِفْلِ عاطِفَةً ... فإذا بِهِ كالغيثِ ينسكِبُ
قد يَعجَبُ العُذّالُ من رجُلٍ ... يَبْكى ، ولو لم أبكِ فالعَجَبُ
هيهاتَ ما كُلُّ البُكا خَوَرٌ ... إنى ، وَرَبى عَزْمُ الرجالِ ، أبُ

عمر بهاء الدين الأميرى
حلب

الكتب

نقد وتعريف

نار وأصفاد

(ديوان شعر للأستاذ محمود حسن إسماعيل)

بقلم الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

منذ أشهر صدر ديوان « نار وأصفاد » يؤكد من جديد أن الشعر لم يتخلف عن ركب الحياة ، وأن القصيدة لم تترك معارك التحرير والبعث ، وتنغمس فى الآهات وتضل بين الشكوى والأنين كما رمى الشعر بذلك أناس ؛ بل إن ديوان « نار وأصفاد » جاء ينفى هذه التهمة ويرد عن الشعر المعاصر مسبة التقصير عن المشاركة فى معاركنا الوطنية .

وقد اتخذ صاحب الديوان من الحرية وحدة تدور حولها قصائد ديوانه بأسرها . فهو لم يكتف بأن يجعل من القصيدة وحدة حتى تخطى ذلك إلى ما هو أبعد مدى بأن جعل الديوان كله وحدة تدور فى فلكها قصائده كلها ، وليس هذا الاتجاه بجديد على صاحب الديوان ، فقد رأينا له هذا الاتجاه من قبل ، فى ديوان « أغانى الكوخ » الذى صدر سنة ١٩٣٤ وهو يصور حياة الريف والفلاح والطبيعة ، وفى سنة ١٩٣٨ صدر له ديوان « هكذا أغنى » وفيه يتحدث عن الرق الاجتماعى الذى اتخذ له مظهراً فى ذلك الوقت فى الصراع الحزبى وسيطرة الإقطاع ، وفى سنة ١٩٤٨ صدر له ديوان « ابن المعز » وفيه يتحدث عن الرق الإنسانى. إذن فليس بغريب على صاحب « نار وأصفاد » أن يجعل من ديوانه وحدة متكاملة تدور فى فلكها قصائده كلها .

والديوان مقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : نبى الحرية

القسم الثانى : فى معارك الحرية .

القسم الثالث : فجر الحرية .

القسم الرابع : أغانى الحرية .

وقبل أن نمضى مع قصائد الديوان نحب أن نشير إلى أنه كان من الأوفق لصاحب الديوان ـ ما دام قد اتخذ من الحرية فكرة لديوانه ـ أن يجعلها عنوانا له كأن يسميه « فى موكب الحرية » أو يسميه ببعض أجزائه « أغانى الحرية » أو غير ذلك ، فإن هـذه التسمية فيما أظن أوفق وأدل على مقصد الشاعر وأهدافه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنك حينما تستعرض قصائد الديوان ترى الشاعر فى القسم الثانى الذى سماه « معارك الحرية » جاء بقصيدة اسمها « هادم الظلم » أنشدها فى المولد النبوى ، وتحدث فيها عن صاحب الرسالة وجانب من كفاحه . وكان الأولى بهذه القصيدة أن تضاف إلى القسم الأول ، نبى الحرية ، فإنها به ألصق ، فإذا ما أوغلت فى الديوان حتى القسم الثالث رأيت قصيدة بعنوان « عصا المعرى » ولم أستطع أن أهتدى إلى رابط يربط هذه القصيدة بقصائد القسم الذى جاءت فيه وكلها تتحدث عن معارك الحرية .

وتستطيع أن تدرك أى عاطفة كان يجمجم بها صدر الشاعر وهو ينفث قصائده ، حينما تقرأ له فى مطلع الديوان هذه الأبيات الثائرة المنطلقة كالحمم المعبرة أصدق تعبير عن الثورة الحبيسة التى كانت تضطرم بها النفوس فلا تجد لها منفذاً فترتد ضراما يحرق المشاعر ويفرى الأفئدة .

ولما تشاكى القيد حولى وأعولت
من الرق أيامى وضجت سلاسلى
وأخرس جلاد الطغاة قياثرى
وشلّ حديد المستبد أناملى
ودوخ أرضى ظالم فحصادها
بكفيه أحزان الربى والجداول
وجئت حوالى الحياة فدمعة
تقول لأخرى : ذاب فى التيه ساحلى
وحرب على القضبان غنّى عذابه
وآخر حرب فى قيود الجاهل
ومزّق أقوامى غريب فأصبحوا
وهم غربة تشقى بحزن المنازل
وأطرق غابى من ذهول وأوغلت
أفاعى الأسى ، ترمى بسمّ المقاتل
تلفت فانساب الدجى من مزاهرى
مزامير ليل عن خطا الفجر غافل

والذى يلفت المتصفح للديوان أن الشاعر حينما يتناول موضوعا من موضوعاته كثيرا ما يكون غيره من الشعراء قد تناوله ، نجده قد انفرد بجانب لم يلتفت إليه غيره من الشعراء ، ولنأخذ مثلا على ذلك حديثه عن النبى العربى ودعوته إلى الحرية والثورة على الجمود ، وكثيرا ما أنشد الشعراء فى هذا المعنى

واتخذوا من هجرة الرسول نقطة انطلاق لقصائدهم وخيالهم وطافوا بأحداثها ولكن صاحب الديوان يقف عند حادث من أحداث الهجرة ويستغله استغلالا يدل حقا على الخلق والإبداع . استمع إليه حين يتحدث عن نسج العنكبوت على فم الغار ، إنه يأبى إلا أن يكون الحديث على لسان العنكبوت فيقول :

أنا نسّاج الحصون الشم
من أوهى الستور
وقف الدهر على بابيَ
مذعـــور الضمير
وحجاب الشمس لاقانى
بأجفان الضرير
والضحى خرّ كليل
فوق أعنابى أسير
أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور

ولا يملك المرء أن يمسك دهشته من هذه الصور المتتابعة فى قوة وتماسك تتدرج فى السمو حتى تبلغ الغاية فى قوله :

أنا شك جاء يحمى
كل إيمان الدهور

ومن السهل أن تدرك أن الشاعر فى القسم الثانى من ديوانه كان كالمقيد المغلول حينما يتحدث عن الحرية ، وضياعها فى هذه الفترة من حياة الوطن ، ولهذا تراه يلف كثيرا ويدور ، ويتغلف بغلاف من الرمز يجعله يجمجم ولا يبين ، وترى ذلك فى قصيدته الموءودة ، ويقصد بها الحرية ، تلك التى أغلقت كل السبل دونها .

هلكت كل طريق نحـــوها
وانتهى بحثىَ عنها للعـــدم
قيل لى فوق الثرى مسكنها
فضربت التيه واجتحت الظلم
وهو لهذا يسأل عنها كل مظاهر الحياة
عله يجد لها أثرا فيعجزه ذلك أيما عجز حتى
مظاهر الطبيعة أيضا فقدت حريتها مثل
الريح والنجم والطير . استمع إلى جانب من
تساؤله هذا :
كم سألت الريح عنها فشكت
برحها وانسربت فوق الجبال
ثم قالت : إننى طوافـــة
هكذا منذ تعلمت الرحال
وخطاى فى يد مجنـــونة
تنهب الأفق ، ولا تدرى المآل
وعصا عمياء تغتاب الصدى
لم تزل تنشد بى أرض الزوال

وهو وإن لم يستطع أن يبكى حرية الإنسان الضائعة خشية البطش والعسف فهو يبكى حرية الطبيعة الضائعة وينطلق مع هلال شوال المبشر بالعيد يرى فيه ذلك

الأحدب النشوان يطل مبتسما ساخرا مما يعانيه الشرق من قيود ، ويدفعه خوف البطش إلى الحديث عن الهلال حديثا معجبا شائقا .

مَن الأحدب النشوان طاف العوالما
وأوما إلى الشرق المصفد باسما ؟
يدب على ساق من النور لم تدع
على الأرض ركنا مظلم الأفق واجما
ويمشى كما يمشى نـــبي مبشر
بوحى ، يزف الخطو كالطيف حالما
ويرنو كما يرنو إلى الله عابد
يكاد من الإصغاء يحسب نائما
له قامة أحنت يد الدهر عودها
فهل كان شيخا من حمى الخلد قادما؟

وهذا الباب من الديوان يتنقل مع معارك الحرية فى الشرق العربى كله من المغرب والجزائر إلى ضفاف النيل وبطاح فلسطين وهو وإن خص معارك النيل مع المحتلين بفيض من قصائده إلا أنك تلمح فيها كما قلنا الخوف من عصا البطش والعسف . ولكنه يزايله هذا الخوف إن تحدث عن فلسطين أو الجزائر . استمع إلى بعض ما قاله فى قصيدة خيمة البهتان التى يتحدث فيها عما يعانيه اللاجئون من قسوة هؤلاء الذين يتظاهرون بالعطف عليهم وتقديم يد المعونة إليهم .

هنا فى كبوة الأقدا ر بين السيل والويل
وبين عواء شيطا ن طريد الجن مختل
يقعقع للرعود السو دمأخوذاً من الهول
سمعت فحيح ثعبا ن على رئتى منسل
تدفق جسمه المقرو ر بين حفائر السل
وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل

وإذا ما انتقل الشاعر إلى القسم الثالث من ديوانه ، ذلك الذى يتحدث فيه عن فجر الحرية وتهزج قوافيه مع ثورة البعث تراه ينطلق فى قوة ووضوح تلمح فى قوله إصرار الحر وانطلاقه فيقول :

وإذا صوت على الوادى له
فجأة الصور وإصرار القـــدر
من دموع الكوخ ، من أشجانه
ولياليه ، الضريرات البصر
من حديد الفأس ، من نقرتها
وهى تروى عن مآسيها العبر
من أسى الفلاح فى إطراقه
فى الثرى وهو شقى مصطبر
من فم المظـــلوم ، من دعوته
وهى كالغيب إلى الله تفر
من جراحات الضحايا ساقهم
نافخ للحرب كذاب أشر
من كفاح الشعب ، من وقفته
بين إقطاع تمطى وجبر
زأر الصوت الذى هز الورى
ومضى للقيد حـراً فانكسر

وكما كانت الثورة نقطة انطلاق رمى الشاعر

فيها قيود الرمز وجابه الشمس فى مثل قوتها ووضوحها، كانت كذلك الوحدة ، فقد غناها أجمل الأغنيات وأعذبها وأقواها ، وانطلق يتغنى بالأمجاد العربية ويقف فى ساحتها الخالدات يعدد مواقفها ويشيد بأيامها .

وقد وجد فى مؤتمر الأدباء بالكويت فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ مجالا رحبا يعبر فيه عن آماله وأمجاد أمته فى حلبة كلها تهتف بمجد العرب ، فأنشد قصيدته . . راية الوحدة :

وإذا راية تمس يد الشمس
وتمضى لسدة النيرات
نفضت عن جبينها حسرة الذ
ل وداست على جبين الطغاة
قلت : من أنت ؟ فانبرت تحصد
الصمت . وتروى العظائم الخالدات
أنا بنت الوليد ، بنت صلاح الدين
بنت الملاحم الخالدات
البطولات نورت بين كفى
وشع الضياء من عتباتى
والنبوات أشرقت فوق أرضى
وأضاءت بنورها قسماتى
وقف الغرب خاشعا عند بابى
واستمد الوجود من راحاتى
ورمت خيمتى على الكون جذرا
صد عنه الغواشى الحالكات
أنا بنت النجوم والغرب يدرى
قصتى من عصوره المظلمات
كنت إشعاعة الضحى ، وهو جاث
راكع العقل ضارع لقناتى

إلى أن يقول :

ردنى فارس العروبة للشمس
ودك الحدود من طرقاتى
ومضى ينسج الضياء لوجهى
ويخوض المعارك الداميات

والقصيدة متماسكة آخذ بعضها بحجز بعض بحيث يصعب عليك كثيراً أن تأخذ بعضها وتترك البعض الآخر .

ولاشك أن الديوان زاخر بالآيات الفنية التى تدل على رسوخ قدم الشاعر وعلو كعبه ، وقد كان الشاعر يطالع الناس بين وقت وآخر من خلال المجلات التى كانت تقود الحركة الأدبية فى العقد الماضى من هذا القرن وفى مقدمتها الرسالة ، فلما حيل بين الرسالة وقرائها ، أحس عشاق الأدب والشعر بفراغ كبير فى حياتهم الأدبية وتعالت الهمسات بتخلف الشعر عن الركب ، ولكن الديوان كما قلنا جاء ردا قاطعا على هذه الفرية ، وأن القضية قضية النشر لا قضية الشعر .

وبعد : فإن كان لنا من ملاحظة نبديها على بعض ما ضمه الديوان من قيم فنية ، فهى حشد الشاعر لطائفة ضخمة من الصور بمالا يتحملها الموضوع الذى قيلت فيه ، وأمامى وأنا أبدى هذه الملاحظة قصيدة . .

(البقية على صفحة ٥٢٩)

بريد المجلة

بين الرئيس جمال عبد الناصر والأستاذ الأكبر :

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية لمناسبة رحلته فى سبيل السلام :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فنرجو لسيادتكم التوفيق فى السفر والإقامة والحل والترحال ، وأن يجعل الله من هذه الرحلة المباركة خدمة للإنسانية وإقراراً للسلام العالمى تحقيقاً لدينه القويم فى رعاية الله وحصانته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمود شلتوت

وقد تلقى فضيلته الرد الآتى من سيادة الرئيس :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فقد تلقيت بسرور برقيتكم التى حملت إلىّ جميل مشاعركم ، وصادق تمنياتكم بمناسبة سفرى لحضور دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة .

راجياً أن يوفقنا الله جميعاً فى كل عمل يعود بالخير والرفاهية على البشرية . ودعم السلام العالمى .

وانى لأبعث إليكم بأطيب تمنيات الصحة والعافية ؟
جمال عبد الناصر

وأرسل فضيلته إلى سيادة الرئيس البرقية التالية لمناسبة عودته من هذه الرحلة الموفقة :

السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فتستقبلك أمك الحنون الجمهورية العربية المتحدة بعد أن نشرت فى الأمم المتحدة كلمتها ، ورفعت رايتها وأعلنت رسالتها مدوية فى الغرب تطلب للإنسانية السلام والطمأنينة والتعاون على التعايش السلمى ، بحمد الله تستقبلك على سلامة وصولك ، ونرجو لك دوام التوفيق حتى تأخذ بيد الإنسانية العامة إلى أقصى درج السلام .

وإنى أنتهز هذه الفرصة باسم الأزهر علمائه وطلابه وموظفيه فأبعث إلى سيادتكم بالتهنئة على هذه النهضة الكبرى التى هيأ الله لسيادتك سبلها . دمت مدافعا عن حقوق الإنسانية ورائداً للعروبة وقوة دفاعة لفضائل السلام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمود شلتوت

وتلقى فضيلته الرد التالى من سيادة الرئيس :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإنى أبعث إليكم بأخلص الشكر على برقيتكم التى حملت إلى كريم التهانى وصادق المشاعر بمناسبة العودة من الخارج ، وإنا لنحمد الله العلى الكبير على ما أفاء علينا من فضل ، إذ وفقنا فى الجهاد من أجل السلام ونصرة الحق ، وحرية الشعوب وسيادتها .

وإنى لأعرب لكم عن أطيب التمنيات بموفور الصحة والسعادة راجيا للسادة علماء الأزهر وطلابه وموظفيه كل توفيق وسداد ؟

جمال عبد الناصر

موجة من الإلحاد فى إندونيسيا :

الإسلام هو دين الأمة الإندونسية إلا فئات قليلة منها تدين بالبوذية والمسيحية والهندوكية. والذى نعلمه أن هذه الأمة العظيمة وعلى رأسها الرجل المؤمن الصالح أحمد سوكارنو تؤمن بدينها كل الإيمان وتحرص عليه كل الحرص ، ولم يستطع الاستعمار الهولندى على طول مدته وشدة كيده أن يفتنها عنه ولا أن يشككها فيه . ولكن بعض الناس هناك قد اعتقدوه من غير يقين وتلقوه من غير فهم فمال فى نفوسهم المريضة إلى عقيدة ممسوخة تقبل الزيغ وتحق الباطل وتموه على الناس دين الله بالآراء الضالة والبدع الدخيلة ، حتى هجموا فى هذه الأيام على ضمائر المسلمين بنحل إلحادية هدامة إذا غفلت عنها الدولة الإندونسية ولم تنهض لها الجامعة الأزهرية تكشفت عن خطر كبير يصيب الإسلام والمسلمين فى هذه الأمة العزيزة .

فقد جاءنا من سفارتنا فى إندونيسيا مذكرتان تعلنان هذا الخطر بظهور أديان جديدة أضلت بعض الناس وأحدثت بعض الحوادث نلخصها فيما يأتى : ـ

ظهر فى إندونيسيا فى الآونة الأخيرة دينان جديدان :

الدين الأول (سابنا دهارما) :

ومعناه الالتزامات السبعة وهى الولاء للبانتشاسيلا الإلهية وأن الله سام فى كل شىء وخالد ، ومن عقائد هذا الدين عدم خرق أى قانون للدولة والاشتراك الإيجابى فى صيانة الدولة والأمة ، والاستعداد الدائم لمديد المساعدة للآخرين والقدرة على الاعتماد على النفس ، واليقين بأن الظروف الدنيوية ليست خالدة الصفات وإنما تتعرض دائما للتغيرات . ولهذا الدين تعاليمه الخاصة بالزواج والوفاة .

وصرح الكابتن سوسميارتو أحد الداعين إلى هذا الدين أنه لا يجب قمع عقائد هذا الدين لما

فى إندونيسا من حرية دينية ، وإذا ارتكب أحد أتباع هذا الدين جرماً فلا يجب اعتبار ذلك الجرم متصلا بمذهبه الدينى ، وإنما يجب اعتباره عملا فرديا خاصا ، وأن عقائد هذا الدين لا تخرق قوانين إندونيسيا ولا تخل بمبادئ الأخلاق .

وصرح هذا الكاتبتن بأن عدد أتباع الدين الجديد حتى الآن عشرة آلاف ، وقد طلبوا من الحكومة الموافقة على قانونية قيامه . وقد أعلن رئيس الشئون الدينية فى جنوب سومطرة أن إمكانياته لا تمكنه من الوقوف فى وجه هذا الدين ، مما يدل على سرعة انتشاره .

والدين الثانى : عقيقات :

وقدظهر هذا الدين فى منطقة سوكابومى بجاوة الغربية وشوهد بعض أتباعه فى مدينة بوجور على بعد نحو ستين كيلومترا من العاصمة الإندونيسية ويوجب هذا الدين على معتنقيه أن يؤدوا فروضهم الدينية فى المسجد فى عرى تام إذا ما أرادوا التقرب إلى الله .

وقد اكتشف أمر هذا الدين الجديد فى ليلة عيد الأضحى من هذا العام (٤ / ٦ / ٦٠) حين نمى إلى قيادة الفرقة الرابعة أن هذا الدين منتشر فى قرية « شبى روبوم » بمنطقة سوكابومى وأن ثمة جماعة مجتمعة فى مسجد القرية وهم عراة ـ رجالا ونساء ـ وأنهم شوهدوا فى أوضاع مخجلة يزعمون بذلك أنهم يتقربون إلى الله .

وقد أعلن رئيس هذه الجماعة ويدعى « نواوى » نفسه نبياً .

وقد حدث صدام بين أتباع هذا الدين ورجال الجيش حين أوفدت القيادة قوة منها للتحقق مما بلغهم عن هذا الدين فهاجمها أتباعه بالعصى والسكاكين حتى قتل قائد القوة ، وفى اليوم التالى أرسلت القيادة قوة أكبر قوبلت بمقاومة شديدة من أتباع هذا الدين وإن كانت قد تمكنت فى النهاية من تشتيتهم فى الجبال بعد أن قتل منهم ٢٢ شخصا من بينهم نبيهم نواوى ، وقتل خمسة من أعضاء القوة ، كما سلم ثلاثون شخصا من معتنقى هذا الدين أنفسهم للسلطات .

* * *

كذلك ظهرت بالقرب من « باندونج » نحلة من بين المراسم التى يقوم بها أتباعها أعمال تمس الدين الإسلامى كوطء القرآن الكريم بالأقدام ، ويدعى زعيم هذه النحلة الشريرة أنه إله قدير مقدس يشفى المريض ويبرئ الصم والبكم . ولابد أن يتعرض المتقدم لعضوية هذا المذهب لبعض اختبارات قاسية كوضع أسلاك كهربائية محملة بالتيار الكهربائى فى مواضع مختلفة من جسمه ، فإذا تحملها قبلت عضويته . ويؤدى أتباعه مراسمهم مساء كل يوم جمعة وأحد وسط

الصيحات المنفرة ، ثم يتبعون ذلك بشرب الخمر حتى يغيبوا عن وعيهم . وقد انضم لعضويته بضع مئات من أهالى المنطقة ولم يعرف أسم رئيس هذه الطائفة بعد .

وقام طبيب يدعى الدكتور « صـــالح » فى جاوة الوسطى بالإعلان عن مذهب دينى جديد يزعم أنه تفسير جديد للإسلام مؤداه أن المسلمين طبقتان : طبقة العلماء وطبقة الشعب وأن العبادة مفروضة على الطبقة الأولى فحسب ، أما الشعب فيكفيه أن يقوم بأعماله التى يتعيش منها ، وأن مجرد قيامه بهذه الأعمال عبادة .

وقد هاجم السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينية فى إندونيسيا أحد الأديان الجديدة التى ظهرت تحت اسم « الإسلام الأبيض » ، وصرح بأن الهولنديين كانوا يعملون على إيجاد مثل هذه المذاهب وأبدى عجبه من سكوت الجمعيات الإسلامية عن مهاجمة مثل هذه المبادئ والحركات الدينية ، وتهكم عليها قائلا : إنها ربما كانت مشغولة عن الدين بالشئون السياسية . وأضاف أن من واجب هـذه الجمعيات العمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ، وأن على المدعى العام أن يتخذ من الإجراءات ما يراه كفيلا بالقضاء على هذه المذاهب ومنع ظهورها مستقبلا .

كما صرح متحدث باسم إدارة الشئون الدينية فى غرب جاوه بأن أكثر من مائة حركة دينية انتشرت خلال عام ١٩٥٩ وأن كثيراً منها يعتبر حركات ضارة يأتى أتباعها بأعمال منافية للنظام العـام والآداب ، من ذلك أن أحد زعماء إحدى هـذه الحركات تسبب فى وفاة بعض المرضى وإلحاق كثير من الأذى بآخرين بادعائه القدرة على شفاء الأمراض ، وأن بعض هذه الحركات يقتضى القيام بأداء طقوس تتنافى مع الأخلاق ، ويسبب البعض الآخر تشويشا لأفكار العامة .

وذكرت الإدارة أن تحرياتها أثبتت أن هذه الحركات الدينية تنبع من أحد المصادر الآتية : ـــ

(ا) الرغبة فى فرض شىء من النفوذ الشخصى على الأفراد .

(ب) العمل على زيادة الشعور نحو دين معين.

(ج) نشاط بعض الأحـزاب السياسـية تدفعها مؤثرات خارجية للعمل على نشوء حركات دينية هدامة .

(د) الرغبة فى الحصول على ربح مادى .

وانتهى المتحدث من تصريحه إلى أن الإدارة أرسلت إلى وزارة الشئون الدينيـة بحاكرتا اقتراحات لمواجهة هـــذه الحركات الدينية الهدامة لإحالتها إلى مكتب المدعى العام لاتخاذ الوسائل التنفيذية للحد منها . كما أن الجيش اتخذ خطوات هامة فى هذا الشأن .

وصرح الدكتور جواندا الوزير الأول أنه نظراً لما للدين من دور هام فى حياة إندونيسيا فإن كل ماله علاقة بالدين سوف يخضع لعناية الدولة .

هذا وقد تقرر إعادة تنظيم الرقابة على النشاط الدينى حتى تعمل على الحد من انتشار هذه الحركات التى تظهر تحت اسم الدين وتسىء إلى النظام العام وقواعد الأخلاق . والتى تعتقد أن الغرض الأساسى منها هو النيل من الإسلام ومحوه من هذه البلاد ـ وقد نيطت رئاسة هذه الرقابة إلى مساعد النائب العام « كاداروسمان » ويتكون أعضاؤها من ١٨ عضواً من ممثلى الهيئات المدنية والعسكرية ، وستقوم بإصدار ماتراه من قرارات خاصة بمنع انتشار هذه الحركات وحماية الشعب من أضرارها .

ومن المعلوم أن الحكومة لاتقف ضد انتشار المذاهب والأديان الجديدة إلا إذا صدر عن هذه الحركات ما يخل بالآداب والنظام والأمن ، أو إذا كان فى وجودها خطر على الحكومة وذلك استناداً إلى الفقرة الثانية من المادة التاسعة والعشرين من دستور عام ١٩٤٥ المطبق حاليا والتى تكفل حرية الأديان والعقائد .

الربا الذى نزل فيه القرآن :

يسأل السيد محمد ناجى المهندس عن حكم تحديد الربا وعن الاقتراض من البنوك بفائدة محددة يتقاضاها البنك هل هو من الربا المحرم . ؟ وما حكم اقتراض الدولة شرعا من بنك أو من دولة أخرى بفائدة؟ وماحكم النظام المالى المعروف بالأسهم والسندات والفرق بينهما ؟ .

وقد أجاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عن هذه الأسئلة بما يلى :

لا شك فى أن القرآن عندماحرم على المؤمنين التعامل بالربا حدده بالعرف الذى نزل فيه القرآن ، أى بالدين يكون لرجل على آخر ، فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر: أخر عنى دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك، (وهو الربا أضعافا مضاعفة) فنهاهم الله عنه فى الإسلام .

وواضح أن هذا الصنيع لا يجرى عادة إلا بين معدم غير واجد ، وموسر يستغل حاجة الناس غير مكترث بشىء من معانى الرحمة التى يبنى الإسلام مجتمعه عليها ، والتى لو عدمت فى المجتمعات لأصبحت كبقية الحيوانات المفترسة . وهذا النوع من الربا لا تقبل إنسانية فاضلة الحكم بإباحته . وقد قابل القرآن الكريم حرمته فى جميع الآيات التى وجد فيها بالصدقة التى تبذل فى مساعدة الفقير المحتاج ، وتشير هذه المقابلة إلى أن تلك الحالة كان جدير بها أن تجرى فيها الصدقة ،

وهى التبرع المحض ، فإن لم تكن صدقة فلا أكثر من الرد بالمثل ، ومن النظرة إلى الميسرة : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » « لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » أما الزيادة والمضاعفة فيها فهما ظلم وعدوان ، وهما من موجبات المقت والغضب عند الله : « واتقوا النار التى أعدت للكافرين » .

والفقهاء تمشياً مع توسيع نطاق التراحم والبعد عما يفتح على الناس باب التراحم المادى فى الضغط على أرباب الحاجات ، توسعوا كثيراً فيما يتناوله الربا ، وكان لهم فى ذلك مشارب مختلفة وآراء متعددة ، ورأى كثير منهم أن الحرمة فيما يحرمون تتناول المتعاقدين معا المقرض والمقترض ، وإنى أعتقد أن ضرورة المقترض وحاجته مما يرفع عنه إثم ذلك التعامل لأنه مضطر . أو فى حكم المضطر ، والله يقول : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » .

وقد صرح بذلك بعض الفقهاء فقالوا : يجوز للمحتاج الاستقراض بالربح .

وإذا كان للأفراد ضرورة وحاجة تبيح لهم هذه المعاملة ، وكان تقديرها مما يرجع إليهم وحدهم وهم مؤمنون بصيرون بدينهم فإن للأمة أيضا ضرورة أو حاجة ، كثيرا ما تدعو إلى الاقتراض بالربح ، فالمزارعون كما نعلم ، تشتد حاجتهم فى زراعتهم وإنتاجهم إلى ما يهيئون به الأرض للزراعة ، والحكومة ، كما نعلم ، تشتد حاجتها إلى مصالح الأمة العامة ، وإلى ما تعد به العدة لمكافحة الأعداء المغيرين ، والتجار تشتد حاجتهم إلى ما يستوردون به البضائع التى تحتاجها الأمة وتعمر بها الأسواق . ونرى مثل ذلك فى المصانع والمنشئات التى لا غنى لمجموع الأمة عنها والتى يتسع بها ميدان العمل فتخفف عن كاهل الأمة وطأة العمال العاطلين . ولا ريب أن الإسلام الذى يبنى أحكامه على قاعدة اليسر ورفع الضرر والعمل على العزة والتقدم وعلاج التعطل ، يعطى للأمة فى شخص هيئاتها وأفرادها هذا الحق ، ويبيح لها — ما دامت مواردها فى قلة — أن تقترض بالربح ؛ تحقيقاً لتلك المصالح التى بها قيام الأمة وحفظ كيانها .

تقدير الحاجة :

غير أنى أرى أن يكون تقدير الحاجة والمصلحة مما يؤخذ عن (أولى الرأى) من المؤمنين القانونيين والاقتصاديين والشرعيين ويكون ذلك فى ناحيتين : ناحية تقدير الحاجة ، وناحية تقدير الأرباح ، واختيار مصادر القروض ، فلا يكون قرض إلا حيث تكون الحاجة الحقيقية ، ولا يكون قرض إلا بالقدر المحتاج إليه ، ولدفع الضرورة والحاجة ،

ولا يكون قرض إلا من جهة تضمر استغلالنا واستعمارنا ولو أن الأمم الإسلامية تكاتفت على وضع أساس اقتصادى يحقق مصالحها ، ويقيها شر التحكم الأجنبى لوجد من مبادئ الإسلام الاقتصادية ما يجعلهم فى مقدمة الأمم اقتصادا وقوة وحضارة .

أما الفرق بين الأسهم والسندات فهو أن الأسهم من الشركات التى أباحها الإسلام باسم المضاربة ، وهى التى تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها ، وأما السندات ، وهى القرض بفائدة معينة لا تتبع الربح والخسارة ، فإن الإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التى تفوق أضرار السندات التى يعرفها الناس ويقررها الاقتصاديون .

محمود شلتوت

معركة بيت المقدس :

اطلعت على المقال الممتع الذى كتبه الدكتور أحمد بدوى عن (معركة بيت المقدس وأثرها فى الأدب) وذلك فى عددى الربيعين من عام ١٣٨٠ هـ فكان لذلك أثره العميق فى نفسى إذ وصلنى من جديد بماضى الجهاد العظيم الذى ينهض به بطل الإسلام أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى رضى الله عنه وأرضاه ، وجزاه عن أمة محمد حتى تقوم الساعة خير ما يجزى عبقرى وقف مواهبه على صيانة دينه واستنقاذ مقدساته .

على أن المقال قد أثار فى صدرى لا عجاً من الأسى ، إذ ذكرنى بما لم أنسه بعد من تهجم منكر قام به مدرس الأدب فى ثانوية رسمية من الإقليم الشمالى على اسم صلاح الدين ..

وما أحسبنى إلا معذوراً إذا أنا أسيت لمثل هذا التناقض العجيب يقع بين ما قرأناه فى مقال الدكتور بدوى عن عظمة صلاح الدين ، وما « نطقه » هذا الأستاذ من الإزراء بمقام صلاح الدين ...

ولعل مما يثير الدهشة أن حديث هذا التهجم قد ملأ أسماع المثقفين والمدرسين ، حتى إن موظفاً غير صغير قد فاتحنى بأنه تلقى خبره وهو فى دمشق .

ولقد رأيت من واجبى الأدبى والشعبى أن ألفت نظر المسئولين إلى الموضوع رجاء أن يوضع حد لمثل هذه الشعوبية السامة ، يحصن طلابنا المساكين من شرورها ، ويصون لمقدساتنا القومية الشامخة مكانتها فى تلك القلوب الغضة .

وها أنذا أضع قضية هذا التهجم المنكر بين يدى هيئة الأزهر ، وشيخها الأكبر ، ومجلتها الموقرة ملتمساً نشر هذه الكلمة ليطلع عليها الرأى العام بعد الرأى الرسمى .

أبو هاله

مدرس الأدب العربى
اللاذقية — الإقليم الشمالى

أنباء الثقافة

• يوجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الدعوة إلى علماء المسلمين وأهل الرأى فيهم لعقد مؤتمر إسلامى عام فى القاهرة فى شهر يوليو من سنة ١٩٦١ .

وتشترك وزارة الأوقاف فى تنظيم المؤتمر والدعوة له .

• تطبع قريباً « آيات الدعاء فى القرآن » وهى تجريد الآيات القرآنية الكريمة الواردة فى الدعاء والتوجه إلى الله . وقد قام بتجريدها فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . ويطبع منها عدد كبير يوزع على الهيئات فى البلاد الإسلامية والعربية والإفريقية .

• وضع مشروع لإنشاء دار جديدة للكتب الإسلامية والعربية على أن تكون أضخم دار فى البلاد العربية كلها .

• قبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود

(بقية المنشور على صفحة ٥٢١)

« الله والشرق » التى يتحدث فيها عن ملهاة الاستعمار ومحاولته صرف الناس عن قضيتهم ببعض المظاهر الخادعة ، والشاعر يبدأ القصيدة بالاستغاثة بالله من إطباق الدجى :

رباه ضاع السر من يديَّا
وأطبق الليل على عينيا
ولم أجد فوق الحياة شيَّا
يطفى العذاب الهادر الخفيَّا
إلا ندائى فى الدجى يارب

وقد تعجب حينما تراه يعقب ذلك بمزج هذا الجو الصارخ من ظلم الحياة بحديث الأنغام والرحيق والأكواب والشراب فيقول :

طرقت بالأنغام كل باب
وطفت بالرحيق والأكواب
ولم أدع أفقا بلا شراب
وعدت لا أحل فى عبابى
غير الأسى يسقى الأسى فى قلبى

وبعد : فهذا ديوان « نار وأصفاد » للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل جاء يؤكد من جديد رسالة الشعر ويحفظ له مكانته .

محمد ابراهيم الجيوشى

شلتوت رئاسة الشرف للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى أنشأته وزارة الأوقاف .

وقد استقبل فضيلته السيد أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف وبعض كبار رجال الوزارة لوضع الأسس التى يقوم عليها عمل المجلس . وأصدر السيد الوزير قرارا بتعيين أمين عام للمجلس يعاونه سكرتير عام وسكرتير مساعد .

* يتقدم بعض رجال التعليم الذين عملوا فى الباكستان بمذكرة إلى الجهات المختصة فى شأن توثيق العلاقات الثقافية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

ومن المقترحات فى هذا الشأن إنشاء مراكز إسلامية وثقافية فى كل من كراتشى ولاهور ودكان ، واختيار نحو خمسين من مدرسى اللغة العربية للإشراف على تدريسها فى مدارس الباكستان . واختيار عدد آخر من العلماء لشرح أصول الدين لأهل البلاد ، واستقدام النابهين من أبناء باكستان لإتمام دراستهم فى الأزهر وجامعات الجمهورية العربية المتحدة .

* يعمل المجلس الأعلى للفنون والآداب على تحقيق ونشر مجموعة من الكتب التاريخية القديمة منها : ارتياح الخواطر فى معرفة الأواخر ، بلوغ المنى فى تراجم أهل الغنى ، ذيل سلك الدرر ، عنوان الزمان فى تاريخ الشيوخ والأقران ، معادن الذهب فى الأعيان المشرفة بهم حلب ، إعلام الورى بمن ولى نائبا عن الأتراك بدمشق الكبرى ، تاريخ أعيان حلب ، نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر .

* فى الأسبوع الأول من شهر أكتوبر الماضى احتفلت الأوساط الثقافية فى العالم بذكرى مرور ٩١ سنة على ميلاد غاندى .

* يصدر الاتحاد السوفيتى دائرة معارف عالمية لمناسبة مرور ٢٥ سنة على وفاة مكسيم جوركى . يشترك فيها كبار الأدباء والسياسيين فى العالم والجمهورية العربية المتحدة .

* أرسل أربعة عشر طالبا من تايلاند إلى مشيخة الجامع الأزهر يطلبون إلحاقهم بكليات الأزهر ومعاهده . وقد أمر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر بقبول طلباتهم .

* يعقد بالقاهرة فى يناير القادم المؤتمر الدولى الثانى للدراسات الجغرافية فى إفريقيا وآسيا .

* يقام فى شهر مارس المقبل بالقاهرة مهرجان

يستمر أسبوعا لمناسبة مرور مائة سنة على إنشاء المجمع العلمى المصرى . وتشترك فى المهرجان الهيئات العربية العلمية والأدبية ويدعى إليه ممثلون لأكاديميات العلوم فى شتى أنحاء العالم . ويناقش فى المهرجان مائة وعشرون بحثا يعدها العلماء المختصون .

* يفتتح فى شهر يناير القادم فى إندونيسيا مركز ثقافى عربى يقوم على نشر هذه الثقافة فى إندونيسيا والبلاد الأخرى الغير العربية التى يدين أهلها بالإسلام وترغب التوسع فى دراسة الثقافة العربية . وتقع معظم هذه البلاد فى جنوب شرق آسيا .

ويقوم المركز بإنشاء وحدة ثقافية متنقلة بين بلاد إندونيسيا للاتصال بأكبر عدد ممكن من السكان .

* يوجد فى المملكة المغربية ٦٨ مدرسة لليهود تملكها الطائفة الإسرائيلية تضم حوالى ٣٢ ألف طالب ويشرف على تعليمهم ٤٧٠ مدرساً يهودياً .

وقد قررت حكومة المغرب إلغاء هذه المدارس تدريجا وإدماجها فى المدارس الوطنية . على أن تبدأ فوراً فى تدريس اللغة العربية لغة أساسية .

* عقد فى موسكو فى شهر أغسطس الماضى مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين واشترك فيه ممثلون وعلماء من الجمهورية العربية المتحدة والمغرب ولبنان والعراق والجامعة العربيـــة وأعضاء أوربيون كثيرون من المستشرقين .

وعندما اقترح وفد الجمهورية العربية المتحدة عقد الدورة القادمة فى الإقليم المصرى وقف ممثلو العراق وأعلنوا أن العرب كلهم أمة واحدة . وأن عقد الدورة القادمة يستوى عندهم أن تعقد فى دمشق أو القاهرة أو بيروت لأنها كلها عواصم الأمة العربية وأيدهم فى ذلك ممثلو المغرب ولبنان .

وقد قررت هيئة المؤتمر طبع البحث الذى أعده الأستاذ أمين الخولى وألقى خلاصته فى الدورة عن : « صلات بين النيل والفولجا » ونشرت جريدة برافدا الروسية بحثاً طويلا عنه .

وقد تقرر أن تعقد دورة المؤتمر القادمة فى مدينة دلهى بالهند .

الفهرس

صفحة

٤٠٧ ثوراتنا الثلاث تعوزهن رابعة !
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٤١١ صدى جامعة القرويين فى الجمهورية العربية المتحدة
لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر

٤١٥ الأدب العربى أدى رسالته ويؤديها
للأستاذ عباس محمود العقاد

٤٢١ الإيمان بالله
للأستاذ الدكتور محمد البهى

٤٢٥ مقوماتنا الروحية أمام المادية العالمية ـ ٢ ـ
للأستاذ محمد محمد المدنى

٤٢٩ نفحات القرآن : موقف الناس بين الدعوة إلى الهداية والجنوح إلى الغواية
للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٤٣٤ من القيم الإنسانية فى الإسلام : المحبة
للدكتور محمد يوسف موسى

٤٣٩ مشكلة الخط العربى للدكتور تمام حسان

٤٤٤ المصطلحات العروضية
للدكتور عبد الله درويش

٤٤٩ الشيخ عبد الجواد رمضان
للأستاذ على العمارى

٤٥٥ الشباب العربى والحياة المعاصرة
للأستاذ محمود الشرقاوى

٤٥٩ آراء معاصرة حول : التفسير العلمى للقرآن
للأستاذ محمد رجب البيومى

٤٦٦ جامعة القرويين بين الماضى والحاضر
للأستاذ أسعد حسنى

٤٧٣ أبو الحسن الشاذلى فى معركة المنصورة
للدكتور عبد الحليم محمود

٤٧٦ تأليهة القرن الثامن عشر وهل معتقدوها مؤمنون ؟ ـ ٢ ـ للدكتور محمد غلاب

٤٨١ جلال الدين السيوطى
للأستاذ حسن الشيخة

٤٨٥ الإسلام فى أمريكا الجنوبية
للدكتور جمال الدين الرمادى

٤٨٨ من روائع الفكر الروحى : الانفعال الخلاق عند الفيلسوف برجسون
للأستاذ محمد فتحى عثمان

٤٩٣ الدعوى الجنائية فى التشريع الإسلامى
للأستاذ محمد عطية راغب

٥٠٠ الوازع الدينى والثقافة العلمية
للأستاذ راشد رستم

٥٠٤ دور الكتب وأثرها فى الثقافة الإسلامية
للأستاذ سعد توفيق حمدى

٥٠٨ ديمقراطية الإسلام : حول أسامة بن زيد
للأستاذ عباس طه

٥١١ ما يقال عن الإسلام : عقيدة الذات الإلهية فى الإسلام . للأستاذ عباس محمود العقاد

٥١٥ أبوة وبنوة (قصيدة تصويرية)
للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى

٥١٧ الكتب : نار وأصفاد (ديوان شعر للأستاذ محمود حسن إسماعيل) للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشى

٥٢٢ : بريد المجلة : بين الرئيس جمال والأستاذ الأكبر ـ موجة من الإلحاد فى إندونيسيا : الربا الذى نزل فيه القرآن ـ الضرورات والحاجات ـ تقدير الحاجة والمصلحة لأولى الرأى ـ معركة بيت المقدس .

٥٢٩ أنباء الثقافة

THE MONTH OF RABI AL AWAL IN THE LIFE OF THE PROPHET

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

It is a surprising coincident in the life of the Prophet that among all the months Rabi Al Awal was his month, and among the days Monday was his day. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he appeared in Mecca, and Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day on which he immigrated to Medina. Monday of the second week of Rabi Al Awal was the day he passed away. There is a secret in these coincidents known to those chosen among mankind for God's message. A whisper of this secret is the Rabi Al Awal is the month of prosperity, fertility and beauty, and that Monday was the day of the moon for the ancient people. The moon in Islam is of particular importance: for the people it constitutes a time measurement for fasting and pilgrimage, for the nation as well as the congregation it is the symbol of the banner. The relation between cosmos and fate, i.e. seasons, zodiacs and days, is still a secret to man. If Rabi Al-Awal was the beginning of the Hijra Year, and Monday was the weekly day of rest, this would have agreed with the date of immigration, the glory of the incident, the position of the Prophet and the sanctity of the month.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal, the fifty third year before the immigration, the vast area between the house of Ibrahim, near the mosque and the house of Sayeda Amnah, at Beni Hashem Lane in Mecca, was a place for the angels and the souls of the prophets to sing, thanking God for having relieved the world by the birth of that Arab. Before the birth of Muhammad, Son of Abdulla, the world was indulging in sin and bad deeds, like a blind beast being led by a blind on an uneven road. This beast was led from the East by the Persians who were in a great state of corruption, and from the West by the Greeks who were in a great state of meaness and wickedness. The Throne of Kisra and the Court of Caesar were quarrelling over the sovereignty of the

world, using force and injustice. So when in Mecca the cradle of the Orphan Arab was touched by the hand of God, both Throne and Court collapesed, and a whisper from the unseen said to the two great leaders: "Today history ends and history begins. Never after this day will there be a king, or a master, worship shall be to God, leadership to the Prophet, and sovereignty to religion, government to the Arabs and the world for all."

Mohammad was brought up, an orphan, in the midst of Mecca with its hills and valleys, leading his life in the same way as the Qureish. He worked as a shepherd for his relatives and his people, then started trading, with the help of his wife's money. The care of God was upon him in every step and every stage. God cared for him when he was a poor orphan, when he was a young shepherd. When he was a hired merchant God gave him success. It was God's will to prepare him for His message. He disciplined and taught him, and protected him from the uncleanliness of idolatory. He never drank wine nor took usury, nor gambled; he never witnessed places of amusements nor turned his face towards an idol. The poor orphan became the master of the Island, and the young shepherd a shepherd of the world, and the wandering trader a conqueror of the earth; the pure and honest became ready for receiving the inspiration and for conveying the message of God.

Then a door opened from heaven to the cave of Hira and angels and the Holy Spirit descended to the people on the earth, and the first radiation of God's inspiration burst forth to the heart of Muhammad. So the truthful and honest descended from the mountain of light carryiug the torch of guidance and attacking polytheisms with monotheism; for the sake of spreading God's call, he suffered the hardship of the atheistic leaders of the Qureish.

On Monday, the 8th of Rabi Al-Awal of the first year after the "Incident" of the Elephant the hostility of the Qureish towards the messenger of God had reached its utmost, to the degree that they conspired to kill him.

Muhammad-peace be upon him - had seen that the deserts of polytheistic Mecca had become so dry for implanting the message and therefore the fruit was rotten, the poison of which was about to destroy his effort. He then migrated, under the care of God, to the good town chosen by God to be the base for his tower, a field for his seed, a center for his power and a light house for his guidance. There with patience, truth, faith, firmness, good manners

and strong personality the plant bore fruit, the light became bright, people united in one belief, the area extended; therefore, Medina became a world, the minority a majority and the three villages, Mecca, Tayef and Yathrib, became three continents, namely Asia, Africa and Europe. Islam, which started with Khadiga, Ali, Abi Bakr and Zeid, became the people's religion, the earth's world, called for at the extreme West, on the shores of the Atlantic Ocean, by Oqba-Ibn-Nafi, who drove his horse to the water saying: " O God, Lord of Muhammad, had it not been for this sea, I would have conquered the whole world to raise Your word. " God be my witness. At the extreme East, Qutayba El Bahily decided to penetrate China and a fellow of his warned him saying: "You have penetrated Turkey, oh Qutayba, events are between the wings of days, come and go." Qutayba answered: " Being sure of God's victory I penetrated, if one loses the chance, the equipment will be useless." The friend answered: " Go your way as you please, no one can break this determination except God. "

The blessed migration from Mecca to Medina was the separating Line between Islam and the pre-Islamic era, monotheism and idolatory, nationalism and tribal fanaticism, humanity and beastness and between a long dark night and a bright morning promising security, peace and guidance.

After that the Messenger could, thanks to God, with wisdom and power prevent the unbelievers from doing evil and bring up the Moslems by means of preaching and being himself example. He debated with the disbelievers, using the Logic of Qu'ran the opponents he fought with the sword, until God's victory was obtained, and he saw multitudes of people entering into God,s religion; he rejoiced and thanked his Lord, and he was sure of the fate of his message and his people. He worked on the codification of the Laws showing the people the road which will give them assurance of Leading to their ultimate goal. Before ten years had elapsed since the migration, God's Religion and His grace had been completed and the Qu'ran had been completely revealed while the Arabs were ready to take over the reign of the earth. Muhammad then performed his Last pilgrimage and delivered the welfare speech at Arafa, in which he asked God to be his witness that he had conveyed the message and accomplished the task. On that day was revealed to him: " Today I completed your religion, gave you all My blessing and chose for you Islam as Religion." Then the Prophet knew that God was calling him to rest at His side.

On Monday, the 12th of Rabi Al Awal of the eleventh year after

the Hijria, the Prophet joined the Highest Companion. Before his death he had suffered a severe fever for two weeks during which he never ceased to mention God's name and abide to His religious instructions. To be absent from the mosque when Bilal called for prayer was more painful for him than his sickness. On the last day of his sickness, when his body felt light, he wrapped his head. and with great effort leaning on his two cousins, Ali and Al Fadl, left the house of aisha for the mosque. Upon seeing the sick Prophet the people were startled with joy and cleared the way for him. So he stepped inside and sat to the left of Abi-Bakr where he performed his prayers after Abi-Bakr. Finishing his prayers the Prophet ascended the tribune, and knowing that his severe sickness had given some hypocritss the chance for infidelity towards Islam, for the Osud in Yemen, Musaylama in Yamama and Tulayha in Bani -Asad had encouraged their people to rebel against Islam, he thanked God and addressed the people saying: " You people, the fire has spread and hypocracy overshadowed like the darkest. I shall not allow except what Qu'ran has allowed, and shall not forbid except what Qu'ran has forbidden. A slave of God was given the liberty to choose between the world and what God had, and he chose what God had."

Then he stopped. faithful His friend realized that the Prophet meant himself and he burst into tears. When leaving the Prophet prayed for Osama-Ibn-Zay and instructed him to prepare his army to defeat the Romans.* The Prophet returned to his house with a relapse from which he did not recover. Seeds of disunity were sown in the land of Saqifa. The book of God was the only thing left to guide the people, to bring back the ones gone astray and to straighten the road.

This is the month of Rabi Al-Awal, and these are its three parts, the events of which have been summarized as the history of the Prophet· Its times recorded in the various stages of the message. These formed the frame for the holy picture drawn by the hand of the Creator as a beauty for history, or a shade for the divine lamp lit by the holy olive tree, neither Eastern nor Western, whose oil would light without being touched by fire.

In memory of all these events that took place during the month of Rabi Al-Awal in general and on Monday in particular, we should celebrate this month and this day. This is why Monday is the popular day for charity and fasting.

---

* *The Romans, at that time, occupied a part of Arabia.*

THE SEAL OF THE PROPHETS

BY

Abbas Mahmoud El Akkad

Mohammed is the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets.

It is a belief the Muslim accepts in the way he accepts the doctrines of the religion; furthermore, he understands it as he understands scientific facts and logical proposition; because, as long as he perceives Prophecy with its defined characteristics in Islam, he will certainly know that it is a prophecy which seals all prophecies and paves the way in the human history for the message of sound reason, conscience and inspiration.

Sealing of the prophecies is a Mohammedan characteristic, but it is not solely confined to Mohammed, peace be upon him. This characteristic, being necessitated by the history of all nations, includes every believer and every one who accepts the call; it is not something confined to Mohammed either during his life or after his death.

It is something that a Muslim perceives without trouble, but, despite its vividness in the eyes of the believers, it is taken as something queer by others, pious people and non-believers all the same. Some misunderstand it, and some are rather impertinant and assume that it is an act of selfishness on the part of Mohammed by which he denies others the right to convey their prophecies, in the way a king denies others the right to come to power and confines it to his own folk or those he chooses.

It is needless to argue with those non-believers about this particular case of sealing of prophecies, apart from other various and different cases relating to religious prophecies, as they do not believe in prophecy itself from first to last. They never admit its necessity or utility in all times. To them there is no difference between the time in which People respond to the call, or the time in which they do not; both are times wasted in listening to a thing where it is unbecoming to listen.

But those pious people who

consider sealing of the prophecies a queer thing, actually do so to a fact which believers in prophecies accept either through understanding and contemplating, or accept it conventionally as something which does not need rationalization. All those who believed in the prophecies of the Bible, also believed in the sealing of prophecies. Some of those sealed religions calls altogether by the religion of one Particular descent *(descendants of Abraham)* who was the only descent to receive His Revelation. That was what they believed in the past and what they still believe in at present.

The Muslim's belief in the seal of the prophecies does not involve any queerness either in acceptance or in contemplation. To the Muslim, the prophecy which sealed all prophecies is an everlasting call as it makes Faith a mental conception and establishes it on the basis of the belief in One God, the Lord of the whole universe.

Nations, before the Mohammedan Call, took the prophecy as a means of prediction and uncovering of secrets, by which they could restore what was lost or stolen and to tell of omens of good and evil.

Among the nations were those who took prophecy as a mediation between the worshipped and the worshipper to plead and offer sacrifices.

They asked for the mediation the prophets in order to prevent catastrophes which they deserved or which inevitably befell them.

The Islamic prophecy came along with an everlasting new thing that had no equivalent in the Calls of the past. It needs nothing new or innovated as it addresses the soul and the responsible conscience in Man, to which neither begging nor redemption is of any avail.

It is a prophecy of understanding and guidance, not a prophecy of prediction and astrology. A prophecy of guidance through contemplation, scrutiny and thinking, not a prophecy of supernatural elements and catastrophes which frighten both sight and insight and plants fear and dread in the conscience when it fails to attain acceptance through persuasion. It is a prophecy that bears good tidings as well as warnings, having no power to benefit or to hurt, it does nothing for the people other than what they do themselves through their own free will, guided by their mind and sound conscience :

" Say : For myself I have no power to benefit, nor power to hurt, save that which Allah willeth. Had

Iknowledge of the Unseen, I should have abundance of wealth, and adversity would not touch me. I am but a warner, and a bearer of good tidings unto folk who believe."

· True. There is neither temptation nor bargaining for a sacrifice or penalty and reward in give and take:

"Say: I say not unto you I possess the treasures of Allah. nor that I have knowledge of the Unseen; and I say not unto you: Lo! I am an angel. I follow only that which is inspired in me. Say: Are the blind man and the seen equal? Will ye not then take thought?"

The opportunity came to rumour a miracle of the prophet when the sun eclipsed on the death of his son Abraham; the people thought it had eclipsed for his death; but the True prophet would not admit it and said: "The sun and the moon are two Signs of God. They never eclipse on the death or the birth of any one."

Men of understanding are apt to believe this prophet when he tells them: "The miracle is no avail to those who do not benefit from their mind and conscience:

"And even if We opened unto them a Gate of Heaven and they kept mounting through it. They would say: Our sight is wrong — nay, but we are folk bewitched."

So if the Prophet came with this Message, which leaves Man to a "human characteristic" and provides evidence through what he sees for himself, and what is not absent to mind and thoughts, where to does this Message end? and, what is felt for the next message that might come to abolish and succeed Mohammed's Message?

The only thing left for a new message to do is to abolish the reason or take it back again to early centuries. Such a call is not needed by those sound-minded believers who have been already guided. Those who are not sound-minded are actually in need of a teacher to uncover to them what they could not see of the guidance involved in prophecy, rather than a new prophet to repeat what was established before him.

The Islamic prophecy was preceded by many of the great ,Calls which had great bearing in the history of faith. If those Calls were given to a historian who studies the developments of history — whatever his religious belief is — he could not possibly seal prophecies in the history of humanity with one of them, despite its eminence and bearing on its succeeding ages. This is because

Such Calls began and ended before the development of the general priciple of humanity and the principle of Man being responsible for the honesty of reason and conscience.

The prophecies of the Sons of Israel are still confined to one human descent, isolated by its past and present from other nations.

Jesus christ made a wide shift when he accepted his spiritual sons of Abraham as his physical sons. He conveyed his Message, but left Man after him badly in need of a message to help him to be self - dependant in trying to escape his own errors and to redeem his bad deeds and be responsible for his own goodness.

The role of the prophecy in the history of humanity will not end unless it succeeds in planting a general meaning of humanity in the souls of human beings.

Prophecies will not be sealed unless Man can be addressed mentally and is accordingly responsible within this scope, and unless Man participates being on the same footing with his fellow men — in worshipping One God, the Lord of the whole universe.

He is not the God who bestows his blessing on one descent in return of naught of their own making.

When the Islamic Prophecy came. it was mentally accepted as a seal of all other prophecies as it is present in all times with the sound-minded responsible Man.

"Do! in the creation of the heavens and the earth, and the difference of night and day, and the ships which run upon the sea with that which is of use to man, and the water which Allah sendeth down from the sky, thereby reviving the earth after its death, and dispersing all kinds of beasts therein, and (*in*) the ordinance of the winds, and the clouds obedient between heaven and earth: are signs for people who have sense."

Again we say, the sealing of prophecies has been accepted by reason after the Mohammedan Call. It can be added that it is acceptable if judged by reality and history. The human world which experienced so many sucessive prophecies before Mohammed, did not experience one sound prophecy after him.

Those who came after Mohammed were but imposters with no followers either in their life or after their death. No one of them had an

original message they all refered to the Islamic prophecy, that is, to its regulations and principles.

Mohammed, being the seal of all prophets, is acceptable to a Muslim through his faith, and furthermore, because it is a scientific fact which he can perceive through his reason and can witness its evidence in past ages as well as in his own age; in doing so he is obeying the orders of his religion.

It may be a pleasure to many in modern times, proud of their achievements in science and their inventions, to say: "We are living in the age of science. It is the age of Signs of Nature."

Let them say as they please. Let them say it again and again in challenge to all prophecies; but not in challenge to the prophecy that sealed all prophecies, the prophecy that, 14 centuries ago, stated what they are saying now. The one that showed them that they are to live guided by their own insight, and by what they witness of these Signs of Guidance in nature, by secrets of creation and visual proofs. Every miracle of science to-day is but a part of the miracles of the religion Mohammed conveyed to us:

"And thou wilt see and they will see."

BELIEF IN GOD

by

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

People have always discussed belief in God and have differed in their opinions.

Their discussion of belief in God, its value, and their different ideas on this subject are not today's topic, nor that of the recent or far past. There are repeated discussions, which will be repeated so long as man is man, ever changing in his way of thinking, and what he believes today to be sound and logical will tomorrow be uncovered as false imaginations.

Some people see harm in believing in God, some consider belief unnecessary for life, while others regard it as a necessity for the good of the individual and the happiness of society.

Those who see harm in believing in God do not actually mean to abolish belief from the life of man but to transfer it from the circle of God to some other circle. The reason for this is to monopolize authority in guidance and leadership, or at least to free themselves from so-called subordination and trusteeship.

It is known that in Europe a certain religious organization monopolized belief in God and in doing so assumed authority to know religion and direct people, in their thoughts as well as conduct.

This situation stirred up some thinkers, and later on some politicians, who denied this organization authority for monopoly over religion and consequently over people. They called for freedom from monopolized religious guidance exerted by the authority of that organization. At this point some thinkers even called for the transfer of belief in God to belief in the human mind, believing in the capability of the mind and its independence in guidance without having to rely on any outside authority such as the authority exercised by this religious organization. But this doctrine of belief in the capability of the mind exaggerated its

capability by assigning to it a creative function in the life of man.

However, this doctrine did not escape criticism. The human mind, even if freed of all subjectivity in judgement, planning and guidance, is influenced by ever changing circumstances of man. Man feels secure at one time and worries at another, he is healthy today and sick tomorrow, happy now and unhappy the next moment an ever-changing, unstable creature. Thus man's thinking, the function of his mind, cannot be taken as foundation for a code of laws for a nation, not to speak of humanity in general.

In the light of this objection to the value of the mind and its sufficiency in guidance some thinkers, later on, advocated the transfer of belief from the scope of God and the mind of man to the circle of senses and actuality. Their justification was deriven from the claim that religion as the source of belief in God is but a source of deception for man, because man may understand religion from the behaviour of the people of that certain religious organization, who monopolized its interpretation together with the authority in guidance. They also justified their doctrine by asserting that, if the mind was independent from senses and actuality, it would be as deceiving as opium. The mind very often goes astray and very often imagines. Therefore, their circle of belief centered around senses and actuality.

They saw that actuality was everything in man's life: actuality dictates and man has to obey. What is understood by actuality is the law of life and man is part of nature, influenced by the laws of life.

Again, this doctrine like the preceding one, raised criticism, which was probably even stronger and clearer The criticism goes that if the nature of senses and actuality is to dictate, man is made up of senses and actuality; consequently he also dictates, When man is being dictated, he himself dictates someone else: thus he is acting by means of senses and actuality and not amerely reacting. This means that he gives and takes, directs and is directed influences and is influenced. He is not just a receiver, always influenced by others.

This means also that man has positiveness as well as actuality. The doctrine of transferring belief from the circle of God and that of the mind to the circle of God and that of the mind to the circle of senses and actuality is based on exaggeration, being deceived by senses

and actuality just like the doctrine of transfering of beliefs from the circle of God to that of the mind.

This means confining belief to the mind alone, or to senses and actuality alone, is most harmful since it is based on exaggeration and deception. Their argument is not, as some thinkers tried to put it, to picture belief in God as harmful to man.

The other group, that sees no necessity for belief in God in the life of man, states that so long as there is a conscience in man to guide him towards the good, there is no need for belief in God. They contend that for people the ultimate value of believing in God is to persuade man to do good and avoid evil.

This point may sound convincing, but in fact it reveals some deception. One may ask, "Is there a conscience in every person to lead him toward the good?" If the answer is in the negative, he will ask again: "What is the source of the formation of conscience in man if it is not naturally implanted in him? ".

Is philosophy the source of the formation of conscience? And which philosophy is it? Who is the philosopher, or the father of this philosophy?.

Is he a human being stripped from the ever-changing conditions of man and from the effects of environment and heredity?.

Does he not fall sick, or become unfit? Does he not worry and feel restless? Is he never angry or emotionally upset? Is his life so monotonous that he dose not sometimes feel enjoyment of life and at some other times sadness ?.

Whers is this philosopher? Among what nation is he to be found? To what society does he belong? Does he belong to the white or to the black race ?.

If this philosopher is not above human emotions, his philosophy will not suffice as foundation to bring forth the conscience in man, pure and inclined to do good towards all people.

Up to this moment, we do not know where to find this philosopher. Consequently, the source of the formation of conscience in man must be a general source for all people, regardless of colour and race.This source is nothing else but the message of God, for God is the Creator of all people and He is the organizer of the universe He is merciful to men.

So there is no other way but to believe in God if we acknowledge the necessity of conscience in man as a motivator towards doing good.

We deceive ourselves if we depend on the mind or on actuality alone.

Actually, belief in God is a necessity for the existence and nature of man. It is man's inclination to obey that is, by nature he chooses to follow or separate. He only obeys the one whom he considers superior in authority, in wisdom, etc. Once he surpasses the one he believed superior in certain qualities, or discovers some defect in him, he ceases his opedience towards him. Man is man, however, he will never surpass ultimately, nor will the belief of surpass last in him.

Therefore, continuous obedience should be to an ever-surpassing being. It is God alone who is the ultimate surpasser throughout the universe.

Thus, belief in God is dictated by the nature of man. As belief in God is dictated by the nature of man, its value is manifested in the fact that belief in God is the basis of the belief in the message, transmitted by the messenger. The message of the messenger is nothing but laying out the straight road which, if followed by man, will lead to perfect individuals and to society. The planning of the straight road is the revelation of thd ultimate superior being, above human partiality to one race or another, beyond all needs and changeability. God is the ultimate, self-sufficient, superior being.

If man believes in this message, the message of the straight road, he himself will benefit, and will benefit others in his society. The happiness of man is achieved when he is satisfied and has gained tranquility. He cannot attain this tranquility unless he realizes his position and that of his fellow men, and cooperates with them as a brother, working for peace and the good.

There is no fear that blief in God, which is for the good of all nations, may lead to fanaticism. Fanaticism bears the connotation of aggression, but the power of belief is manifested in understanding life and tolerance in dealing with people. Fanatictism is a sign of partiality, but tolerance is not a sign of leniency in belief, but a sign of good interaction and discipline

Thie is the ultimate goal of religion and message of Islam.

THE BIRTHDAY OF MOHAMED THROUGH HISTORY

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

On the twelfth of last Rabie El Awal festivals. were held on the celebration of the memory of the prophet Mohamed's brithday. This induce us to speak about this glorious day through history.

In fact the brith of Mohamed was the exordium of a new life and the preface of blessed days in the history of the Arabs and Islam.

Fortunately for Islam that this happy event occured in the elePhant year through which Abraha Al Ashram the representative of Nagashy on Yemen was overcome and expelled from kaaba,. Therefore Mecca was saved from the tremendous peril of Abyssinia.

For this reason the elephant year was a nice begining for a new century, generally in the history of the Arabs and especially in the history of Koraish tribe.

Religions before Islam :

Idolism before the brith of the prophet spread throughout the Peninsuala. The idolists were accustomed to offer sacrifices to thier gods and to walk Collectively around their temples.

The Jewish religion spread throughout Yemen, Alkira Vally, Yathreb, Khayber, and Taymae.

Christianity spread amongst the tribes of Taghleb, Hassan, and kodaa, in the north, and in Yemen in the south.

Persian religions were well known in Yemen, Haran, and the north of Iraq.

Among the Arabs there were enlightened people who perceive the corruption of the religious conditions, and attempted to rescue themselves from idolism to some high beliefs.

Some of them disdained the worship of idols and were convinced of a single God, and the day of judgement. They came to the conclusion that God will award everybody on his deeds whether they are good or evil.

These people were known as Honafaa. The word is derived from the word "Hanif" which was the religion of the prophet Ibrahim.

Across these environments wrapped up in the darkness of idolism God sent Mohamed with God's message to the world to teach the people the immortal fact that there is no God except our single God, who knows alone what is hidden in the hearts of the people, the meaning of every sight, and God deals with everybody by his own coin, whether it is good or evil.

The birth of light:

The Prophet Mohamed received the light of life on the 12th of Rabie El Awal as it is stated in the majority of the Arabic references.

Mohamed's father died before Mohamed's birth. He gave his infant to a bedouin nurse whose name was Halima to suckle him as it was the dominated habit among the noblemen of koraish tribe.

The baby grew up in the bedouin sphere and was able to master the Arabic language in a short space of time.

His mother died when he was si years old, and Mohamed was accustomed to go out with his foster brothers to graze goats and sheep.

For this reason his heart became filled with mercy, kindness, and bounteous qualities.

Mohamed, worked after that as a merchant, made for Yemen and Syria several times. Consequently he widened his talents, deepened his experience, and became aware of the ways of treetment and the characters of people.

Moreover he was utterly versed in the various styles of buying and purchasing. He was known by his truth, fidelity which was his slogan from the very begining of his life.

He became celebrated amongst his tribe for his modesty, patience, clemency, long suffering, and generousity.

Mohamed loathed the worship of idols, and hated all sorts of wine, and declined earnestly to eat what was slaughtered on the signposts.

He refused to attend the assembly of follies, and evils, preferred solitude, and praying. When he reached the age of forty God communicated the secret to him, God inspired him with the new religion on the 17th of Ramadan, the month of fasting.

A. message to an illiterate prophet.

Notwithstanding Mohamed was illiterate, and did not attend any school, he was able to read what

he was inspired with. He gathered his relatives and asked them whether he was once a liar. They replied to him that he was never this creature.

Then he informed them that he is the God's messenger to them especially, and to all people generally, but his message fell on deaf ears. On the contrary they insulted him invoked evil upon him, left no stone unturned to torment him. and put him to extreme pain.

Thirteen years of suffering.

Mohamed spent about thirteen years suffering this tremendous torture, hearing all sorts of bad names. His opponents accused him of being a quack, or a wizard or an outstanding liar.

They all launched an attack and opened hostilities against him, but in the end he was able to overwhelm all these obstacles, entered Medina, and spread Islam everywhere.

But this is not the time to demonstrate this glorious stiefe of our prophet. To sum up he was able to surrender all the Arab tribes to Islam, planted amity and fiendly relations, among the hearts of the Arab tribes. He abolished vengeance, and fanaticism, and bigotry.

He was capable to establish a central respective government. Owing to Islam the pre Islamic morals were changed, and virtue found its way to the hearts of people.

No wonder, therefore, that the Moslems celebrate Mohamed's birthday. But it is a matter of fact that the Moslems did not congregate on that day during the life of Mohamed.

No word is uttered in "Hadith" concerning this habit, and no official ceremoniy was made on this occasion at the beginning of Islam.

Many pious people considered the ceremonies and festivals a sort of novelity in Islam, but on the other side other people devoted to Godliness and righteousness found it necessary to celebrate that day to recollect it along the days.

Kargy who was one of the ascetic people offered his iife to religious devotion during the fourth century of Higra was accustomed to break his fast only in the Lesser Bariam, the greater, or coiban Bairam, and Mohamed's birthday.

Since that time the moslems celebrated that day.

The Abassids spare no effort to attract the attention of their peoples. They distributed gifts, offers, alms, and charities amongst the poor. The

donors grasp this opportunity to show their generosity.

The first of Ramadan, the Persian new year's day, and the memory of birth day of the prophet, and the memory of the bithday of the caliphate were anniversary official feasts during that period held in high respect

The first prince who celebrated Mohamed's birthday.

The prince Abu Said Mozafar Eldin Elerbely died 630 Higra was the first caliphate who celebrated that day throughout the Islamic orient. Many people from Baghdad, Mosel, Nassibine, and Persia associated with him for this purpose.

Many of them dropped at "Irbel" from the beginning of Moharam and remained till the end of the feast.

This prince set up numerous sects for the singers, musicians, and the people passed across them to join the rejoicings.

Moreover he spread many tables provided with different sorts of food for the people.

Instantly the prince comes with his royal procession riding his horse and handling candles, then he returns to his palace where a gerat festival is set on the occasion of this day.

Orators begin to narrate the "Sirah" of Mohawed and the story of "Mirag".

In Egypt the Fatimids paid much attention to religious feasts amongst which the memory of Mohamed's birthday, the memory of the day of Higra, the memory of Ali birthday, and his sons El Hassan and El Hossayn the memory of the birthday of Fatma Elzahraa, the first day of Ragab, and Shaaban, and the middle of Ragab and Shaaban.

The Fatimids insisted on giving Mohamed's birthday what it is due to its glory and religious importance.

They were accustomed to set dining tables and distrilbute thousands of loaves and "dinars" on their subjects.

Numerous tons of sugar were prepared to make many sorts of sweets which were distributed on the judges, readers, orators, and the employees of the mosques.

The ways leading to the caliphate's palace or Azhar mosque should be swept and sprinkled with water.

The minarets should be enilightened, and the Qur'an should be read every where.

The Fatimid government took the necessary steps to keep discipline and to avoid disturbance.

For this reason the Wali and his assistants stood at the top of the crowded streets to prevent the people from rioting and brawling.

The Moslems during the Ayubid, and Mameluke periods sticked to celebrate this day.

Till now the Moslems in Egypt consider it as a day off, and the government work becomes suspended.

People congratulate one another upon Mohamed birthday, and invoke a blessing on one another.

Palaces, Mosques, streets, are all enlightened on that night, and nearly all the shops are Packed with sweets, sweet dolls, and horsemen for the children.

Benevolent, and philanthropic deeds are widely spread in the course of this day.

The rich spend from their affluence, and wealth on the poor, and the strong show their mercy to the weak, and the old cite the nobe ends, and honourable intentions of the prophet to the young.

In these last aspects appears the quintessence of this glorious memory.